

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
كلية الدعوة وأصول الدين  
الجمعية العلمية السعودية  
لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب



مَجَلَّةُ الدِّينِ رِاسَاتِ الْعُقَدِيبِ

مجلة علمية محكمة متخصصة

العدد ١٦ - السنة الثامنة - محرم ١٤٣٧هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة  
لمجلة الدراسات العقدية

ردمد: ١٦٥٨-٥١٦X

رقم الإيداع: ١٤٣٠/ ٧٦١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير

جوال: ٠٥٥٢٥٣٤٢٨٢

هاتف: ٠١٤٨٤٧١١٥٥

فاكس: ٠١٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الالكتروني

[aqeedaamm@gmail.com](mailto:aqeedaamm@gmail.com)

## تعريف بالمجلة

مجلة الدراسات العقديّة: مجلّة علمية محكمة تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، بإشراف الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، تختصّ بنشر البحوث والدراسات العلمية المتخصصة في حقل علوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب الفكرية؛ يتولّى تحريرها هيئة علمية مختصة مكونة من عددٍ من أساتذة جامعيّين، تجيز نشر البحث بموافقة اثنين من المختصّين، صدر أوّل عدد من المجلة في محرّم ١٤٣٠هـ، وتصدر دورياً بواقع عشرين سنوياً.



## قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

- ١ - أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ٢ - أن تكون خاصة بالمجلة.
- ٣ - أن تكون أصيلة من حيث الجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ٤ - أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.
- ٥ - أن تكون في مجال تخصص الجمعية.
- ٦ - أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تم نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).
- ٧ - أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.
- ٨ - أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.
- ٩ - أن تصدّر بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتعريف بها.
- ١٠ - أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبين عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.
- ١١ - أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج: الورد  $xp$  أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: *Lotus Linotype*.

ج- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢ سم × ٢٠ سم = (إعداد الصفحة: ٥ أعلى، ٤.٧٥ أسفل، ٤.٥ أيسر وأيمن).

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود.

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢ غير مسود.

ز- رأس الصفحة: ١٢ أسود.

ح- العنوان الرئيسي: ١٨ أسود.

ط- العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان

قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه

+١٥ مستلّة منه.

# مَجَلَّةُ الدِّرَاسَاتِ الْعَقْدِيَّةِ

## هيئة التحرير

رئيس التحرير:

أ.د. صالح بن محمد العقيل

مدير التحرير:

د. بدر بن مقبل الظفيري

الأعضاء:

أ.د. يوسف بن محمد السعيد

أ.د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي

أ.د. سامي بن علي القليطي

د. محمد با كريم محمد با عبد الله

أمين المجلة:

لؤي بن غالب الصمادي

**المواد المنشورة  
في المجلة  
تعبّر عن آراء أصحابها**

## محتويات العدد

الصفحة	الموضوع
١٣.....	❁ مراتب وحي الله عزَّجَلَّ للبشر في ضوء قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]
٧٧.....	❁ دراسة نصية عقديّة لقوله ﷺ: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» د. مريم حسن تيجاني.....
١٣٧.....	❁ أحكام الآثار في الشريعة الإسلامية دراسة عقديّة د. خالد بن عبد العزيز السيف.....
١٩٣.....	❁ لوازم محبة النبي ﷺ القولية والفعلية والاعتقادية د. موفق بن عبد الله علي كدسة.....
٢٧٣.....	❁ منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع د. عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل.....
٣٤١.....	❁ براءة زيد بن علي من مذهبي الرفض والاعتزال د. محمد أحمد خضي.....
٣٨٣.....	❁ المفاضلة بين الأنبياء والأئمة في دين الشيعة الاثني عشرية د. بدر بن ناصر بن محمد العواد.....
٤٥٩.....	❁ النصوص التوراتية بالوعد الإلهي وأرض الميعاد ومحاولة تهويد القدس عرض ونقد د. أبو بكر عبد المقصود محمد كامل.....



## مراتب وحي الله عز وجل للبشر

في ضوء قول الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ  
مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ  
بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ

[الشورى: ٥١]

### د. ذياب بن مدحل العلوي

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول  
الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية



## ملخص البحث

جعلت البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث؛ جاءت المقدمة في مبحثين: الأول: في تعريف الوحي، مرجحاً في اللغة أنه يشمل كلَّ إعلام، وفي الاصطلاح أنه لفظ يشمل كل ما أعلم الله عزَّجَلَّ به نبيه ﷺ، وأخبره عنه، والثاني: في أن مراتب وحي الله عزَّجَلَّ للبشر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١] ثلاثٌ، لا يخرج عنها من مراتب الوحي شيء.

ثم تكلم البحث عن المرتبة الأولى: مرتبة الوحي، وأنها تشمل كل ما لم يكن داخلاً في مرتبة التكليم من وراء حجاب، أو مرتبة الوحي بإرسال رسول، وأنها تشمل الوحي في حال اليقظة، وفي حال المنام، وأن الوحي من الله عزَّجَلَّ في المنام أحوال: الأولى: أن يرى النَّائِمُ الله عزَّجَلَّ في المنام، فيكلمه الله عزَّجَلَّ النَّائِمَ، ويكلمه النَّائِمَ، والثانية: أن يري الله عزَّجَلَّ للعبد في منامه ما سيحصل في حال يقظته في المستقبل، والثالثة: أن يضرب الله عزَّجَلَّ للعبد في نومه الأمثال لما سيحصل في حال اليقظة.

ثم المرتبة الثانية: تكليم الله عزَّجَلَّ مباشرة، بدون رؤية، لكن من وراء حجاب، وهي أعلى المراتب الثلاث، وهي خاصة بالرسول، لا يشركهم فيها غيرهم، والذي يظهر أن هذه المرتبة خاصة ببعض الرسل.

ثم المرتبة الثالثة: إرسال الله عزَّجَلَّ الرسول الملكي إلى الرسول البشري، وأنها أنواع: الأول: أن يأتي الملك إلى النبي في صورته التي خلقه الله عزَّجَلَّ

عليها، وهذا النوع لم يحصل لغير نبينا محمد ﷺ مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يُنقل أنه حصل للنبي ﷺ إلا مرتين، والثاني: أن يتمثل الملك في صورة رجل، فيراه النبي، ويخاطبه، ورؤية الملائكة في صورة رجل تحصل للأنبياء، ولغيرهم، وتأتي على أنحاء شتى، فقد تكون للبشارة بالخير، وقد تكون للابتلاء، والاختبار، وقد تكون لأُمور أُخر، والثالث: أن يسمع النبي صَوْتَ الملك، ويرى نوره، لكن من غير رؤية كاملة، والرابع: أن يأتي الملك النبي في مثل صلصلة الجرس، وفي هذا النوع من الوحي يتلبس الملك بالنبي ﷺ، ويدخل فيه، والخامس: أن ينفث الملك في نفس النبي، من غير أن يراه، وأنه يكون بالقلب، والنفس، لا بالسمع.

د. ذياب بن مدحل العلوي

diyabmedhel@gmail.com

***Allah's revelation to humans are of different levels understood in the light of the verse where He says :***

***"It is not given to any human being that Allah should speak to him unless (it be) by revelation, or from behind a veil, or (that) He sends a Messenger to reveal what He wills by His Leave. Verily, He is Most High, Most Wise" (ash Shura: 51)***

***Dr. Diyab bin Medhel Al-Eliwi***

*Saudi Academic, Associate Professor in the Department of Islamic Creed, Islamic University in Madinah*

### ***Abstract***

*I have divided the research into an introduction and three chapters. The introduction itself is further divided into two chapters.*

*The first chapter: discusses the definition of revelation preferring the linguistic meaning that comprehend all sorts of notifications. And its conceptual definition is as follows: "A term which comprehends everything that Allah conveyed to His Prophet (may Allah exalt his mention and send peace on him) and informed him about".*

*The second chapter: mentions that there are three levels of Allah's revelation to humans and does not exceed that. They are mentioned in His saying: "It is not given to any human being that Allah should speak to him unless (it be) by revelation, or from behind a veil, or (that) He sends a Messenger to reveal what He wills by His Leave. Verily, He is Most High, Most Wise" (ash Shura: 51).*

*Subsequently the research describes the first level which comprises the level of revelation. This level contains everything that is not included in the levels of "speaking behind the veil", or sending messengers. It also covers*

revelation during an awoken or sleeping state. The revelation from Allah during sleep is of different kinds:

**The first:** that the sleeping person sees Allah in his dream, and Allah speaks to him and he speaks to Allah.

**The second:** that Allah shows His servant a dream of what is going to happen in the future when he's awake.

**The third:** that Allah puts forth similitudes for His slave in his dreams pertaining that which is going to occur in the future when he is awake.

Thereafter follows the second level: which is that Allah speaks directly to the person, without him seeing Allah, but this occurs behind a veil. This is the highest of the three levels, and it's specific for the messengers. No one except them reaches this level. It appears that this level is exclusive to some of the messengers.

Afterwards is the third level: which is that Allah sends a messenger from the angels to a human messenger. This is of different categories:

**The first category:** that the angel comes to the prophet in the shape that Allah created him. This category didn't occur to anyone else except our Prophet Muhammad (may Allah exalt his mention and send peace on him) with Gabriel. It has only been mentioned that it occurred twice .

**The second category:** that the angel appears in the shape of a human being, so the prophet sees him and speaks to him .

Both the prophets and other than them can see the angels in the shape of a human being. It occurs during different circumstances; it can be as a glad tiding for something good, a test or a trial. It can occur for other reasons too .

*The third category: that the prophet hears the voice of the angel and sees his light without seeing him completely .*

*The fourth category: that the angel appears to the prophet like the sound of a bell.*

*The fifth category: that the angel breathes into the soul of the prophet without the prophet seeing him. This affects the heart and the soul without him hearing it.*

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله،  
وصحبه، ومن بإحسان تبعه، وبعد:

فهذا بحث ينبئ عن شيء مما يتعلق بمراتب الوحي للبشر، وأحواله،  
جعلت عمدي ومنطقتي فيه قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا  
وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ  
[الشورى: ٥١].

حاولت فيه أن أجمع الأصول، وأنبه على كثير من الفروع، جاعلاً إياه في  
مقدمة، وثلاثة مباحث؛ جاءت مرتبة على الآتي:

المبحث الأول: تعريف الوحي: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الوحي في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الوحي في الاصطلاح.

المبحث الثاني: مراتب وحي الله عَزَّجَلَّ إلى البشر.

ثم أعقبت الجميع بثبت لأهم المراجع، ثم بفهرس للموضوعات التي  
تطرق لها البحث.

راجيا العلي العليم أن أكون عنده من المرضيين، ولجنته من الداخلين،  
إنه أكرم مسؤول، وأرجى مأمول.

وصلِّ اللهم وسلم؛ على عبدك، ونبيك محمد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

## المبحث الأول: تعريف الوحي

### المطلب الأول: تعريف الوحي في اللغة:

الوحي في اللغة: من الفعل: وحى، وأوحى، لغتان فاشيتان، وأوحى في القرآن أكثر، يقال في الأول: وحى، يحيى، وحيًا، ويقال في الثاني: أوحى، يوحى، إيحاءً، يقول الفراء: «العرب تقول: أوحى ووحى، وأومى وومى؛ بمعنى واحد، ووحى يحيى، وومى يمي»<sup>(١)</sup>.

### أما أصل الكلمة:

فاتفقت كلمة أهل العلم باللغة على أن الوحي إعلام، ثم تعددت أقوالهم: أهو إعلام مجرد، أم إعلام مقرونٌ بالسرعة أو الخفاء؟:

فقال: الوحي: الإعلام الخفي، السريع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإيحاء: الإعلام الخفي، السريع»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن القيم: «الوحي في اللغة هو: الإعلام السريع، الخفي»<sup>(٣)</sup>.

ويقول: «الإيحاء هو: الإعلام السريع، الخفي، ومنه: الوحا، الوحا، أي:

(١) ذكره عنه الأزهري في معجم تهذيب اللغة (٤/٣٨٥٢)، وابن منظور في لسان العرب (٢٤٠/١٥).

(٢) بغية المراتد (٣٨٥).

(٣) مدارج السالكين (١/٦٢).

الإسراع، الإسراع»<sup>(١)</sup>.

وقيل: الوحي: الإعلام السريع، يقول القرطبي: «الوحي: إلقاء الشيء في سرعة»<sup>(٢)</sup>، ويقول الملا علي القاري: «الوحي لغة: إشارة بسرعة»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: الوحي: الإعلام الخفي، يقول ابن حجر: «الوحي لغة: الإعلام في خفاء»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الكسائي: «وحيت إليه بالكلام، أحي به، وأوحيته إليه، وهو: أن تكلمه بكلام يخفيه من غيره»<sup>(٥)</sup>.

وقيل: الوحي: الإعلام بأي صورة كانت، يقول ابن فارس: «الواو، والحاء، والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب، والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان... وكل ما في باب (الوحي) فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه»<sup>(٦)</sup>.

وهذا الأخير هو الذي ترجمه وتأييده استعمالات اللغة لكلمة: (الوحي)، فهو يطلق على: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، وهذه

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٠٩).

(٢) المفهم (١/ ٣٧٤).

(٣) مرقاة المفاتيح (١/ ٤٤٦).

(٤) فتح الباري (١/ ١٥-١٦).

(٥) ذكره عنه ابن منظور في لسان العرب (١٥/ ٢٤٠).

(٦) معجم مقاييس اللغة ص (١٠٤٧).

كلها الجامع المشترك لها الإعلام، دون السرعة، والخفاء، فيصدق عليها كلام ابن فارس المتقدم: «كل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحى كيف كان».

ويقول ابن منظور: «الوحي: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك»<sup>(١)</sup>.

ويحتمل أن يكون للفظ أصل إما الإعلام في خفاء، أو غيره، ثم نقل عنه حتى استقر على ما ذكرت، يقول أبو بكر الأنباري: «الوحي: ما يوحيه الله تعالى إلى أنبيائه، سمي وحيا، لأن الملك ستره عن جميع الخلق، وخص به النبي المبعوث إليه، قال الله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، فمعناه: يسر بعضهم إلى بعض، فهذا أصل الحرف، ثم قُصِرَ الوحي للإلهام، ويكون للأمر، ويكون للإشارة»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: تعريف الوحي في الاصطلاح:

تعددت أقوال أهل العلم في تعريف الوحي اصطلاحًا، من ذلك:

قول القرطبي في تعريفه للوحي: «هو في عرف الشريعة: إعلام الله - تعالى - لأنبيائه بما شاء، من أحكامه، أو أخباره»<sup>(٣)</sup>.

(١) لسان العرب (١٥/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٢) ذكره عنه ابن منظور في لسان العرب (١٥/ ٤٠).

(٣) المفهم (١/ ٣٧٤).

ويقول الحافظ ابن حجر: «الوحي... شرعاً: الإعلام بالشرع»<sup>(١)</sup>.

ويقول العيني: «في اصطلاح الشريعة هو: كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه»<sup>(٢)</sup>.

ولا أحب أن أطيل في ذكر التعريفات بقدر ما أريد أن أنبه على أن كل ما أخبر الله عزَّجَلَّ به النبي ﷺ فهو من وحي الله عزَّجَلَّ لِنبيه ﷺ، وليس الوحي مقتصرًا على الشرع فقط، كما قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حفظت من رسول الله ﷺ وعائين، فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم»<sup>(٣)</sup>.

يقول القرطبي: «قال علماؤنا: وهذا الذي لم يبثه أبو هريرة، وخاف على نفسه فيه الفتنة، أو القتل؛ إنما هو مما يتعلق بأمر الفتن، والنص على أعيان المرتدين، والمنافقين، ونحو هذا، مما لا يتعلق بالبينات، والهدى، والله - تعالى - أعلم»<sup>(٤)</sup>.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم، والفتن، فالملاحم: الحروب التي بين المسلمين، والكفار، والفتن: ما يكون بين المسلمين.

(١) فتح الباري (١/١٥-١٦).

(٢) عمدة القاري (١/٤٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ص (٢٦)، رقم: (١٢٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/١٢٥).

ولهذا قال عبد الله بن عمر: لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتمكم، وتفعلون كذا، وكذا؛ لقلتم: كذب أبو هريرة<sup>(١)</sup>، وإظهار مثل هذا مما تكرهه الملوك، وأعوانهم، لما فيه من الإخبار بتغير دولهم<sup>(٢)</sup>.

إذا عُلِمَ هذا، فالذي يترجح أن تعريف الوحي في الاصطلاح هو: لفظٌ يشمل كل ما أعلم الله عزَّجَلَّ به نبيه محمداً ﷺ، يقول المناوي في تعريف الوحي: «شرعاً: إعلامُ الله نبيّه بما شاء»<sup>(٣)</sup>.

(١) لم أجده مسنداً، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه، منها: بغية المرتاد ص (٣٢٣)، ومجموع الفتاوى له (٢/٢١٨)، ومنهاج السنة النبوية (٨/١٣٨).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٢٥٥-٢٥٦)، وانظر: مجموع الفتاوى له (٢/٢١٨) و(٥/١٧٠)، وكذا قال ابن كثير في البداية والنهاية (١١/٣٦٩).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/٩١).

## المبحث الثاني: مراتب وحي الله عزَّجَلَّ إلى البشر

حصر الله عزَّجَلَّ مراتب الوحي للبشر في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه الآية: «بَيِّنَ - سبحانه - أنه لم يكن لبشر أن يكلمه الله إلا على أحد الأوجه الثلاثة: إما وحياً، وإما من وراء حجاب، وإما أن يرسل رسولاً؛ فيوحي بآذنه ما يشاء، فجعل الوحي غير التكليم (٢)» (١).

(١) فائدة: ذكر الواحدى في أسباب النزول (١/ ٣٩٠)، والبغوي في تفسيره ص (١١٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير ص (١٢٧٢)، والقرطبي (١٦/ ٣٦)، وغيرهم: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً، كما كلمه موسى، ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله عزَّجَلَّ، فأنزل الله عزَّجَلَّ هذه الآية. وكلهم ذكروه بدون إسناد، قال الحافظ ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف (٤/ ٢٣٨): «لم أجده» ١. هـ، ولعله أراد أنه: لم يجده مسنداً، والله أعلم.

(٢) فائدة: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه (١٢/ ٤٠٢) في هذه الآية: «قد دل كتاب الله على أن اسم (الوحي) و(الكلام) في كتاب الله فيهما عموم، وخصوص، فإذا كان أحدهما عامًّا اندرج فيه الآخر، كما اندرج الوحي في التكليم العام في هذه الآية، واندرج التكليم في الوحي العام حيث قال تعالى: ﴿فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ١٣]. وأما التكليم الخاص الكامل فلا يدخل فيه الوحي الخاص الخفي؛ الذي يشترك فيه الأنبياء وغيرهم، كما أن الوحي المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص الكامل، كما قال تعالى لذكرياً: ﴿أَيُّتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ تَلَّثَ لَيْلٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، ثم

ويقول: «إن هذه الآية قد جمع فيها جميع درجات التكليم، كما ذكر عن السلف»<sup>(٢)</sup>.

والنفي والاستثناء في الآية، ثم التقسيم بعد الاستثناء يفيد الحصر، والحصر في الآية يشمل أموراً؛ منها أمران مهمان لنا في هذا البحث:

الأول: حصر جميع أنواع وحي الله عزَّجَلَّ للبشر من الأنبياء والرسل وغيرهم في هذه الأنواع الثلاثة، فلا يخرج عنها شيء البتة.

الثاني: حصر كل قسم في قسمه، فكما أن وحي الله عزَّجَلَّ بواسطة الملائكة لا يدخل في تكليم الله عزَّجَلَّ لأنبيائه من وراء حجاب، فكذلك هاتان المرتبان لا تدخلان تحت الوحي الخاص بحال، وإن كان الجميع وحيًا من الله عزَّجَلَّ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في آية الشورى أنفة الذكر: «بَيَّنَّ أَنَّ الْكَلَامَ لِلْبَشْرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: مِنْهَا وَاحِدٌ يَكُونُ بِتَوْسُطِ الْمَلِكِ،

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ [مريم: ١١]، فالإيحاء: «ليس بتكليم، ولا يناقض الكلام»<sup>١</sup>هـ.

ويقول ابن القيم في مدارج السالكين (١/٦٢): «قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]. وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] الآية، فجعل الوحي في هذه الآية قسما من أقسام التكليم، وجعله في آية النساء قسيما للتكليم، وذلك باعتبارين، فإنه قسيم التكليم الخاص الذي هو بلا واسطة، وقسم من التكليم العام الذي هو إيصال المعنى بطرق متعددة»<sup>١</sup>هـ.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩/١٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٩٧/١٢).

ووجهان آخران ليس للملك فيهما وحي»<sup>(١)</sup>.

ويقول السُّدِّي: «قوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾: يوحى إليه، ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾: موسى كلمه الله من وراء حجاب، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ﴾: جبرائيل يأتي بالوحي»<sup>(٢)</sup>.

وعليه: فوحي الله عَزَّجَلَّ للبشر لا يكون إلا بإحدى طرق ثلاث، وعلى ثلاث مراتب:

### المرتبة الأولى: مرتبة الوحي:

وهي المذكورة في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ [الشورى: ٥١].

وتعددت أقوال المفسرين في تفسيرهم للوحي في الآية فمنهم من يذكر: النفث في الرُّوع، ومنهم من يذكر: الوحي في المنام، ومنهم من يذكر غير ذلك، يقول البغوي: ﴿﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾﴾: يوحى إليه في المنام، أو بالإلهام<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>. ويقول النووي: «الجمهور على أن المراد بالوحي هنا: الإلهام، والرؤية

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣٧٥).

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره (١١/ ١٦٢)، بسند حسن، كما في موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٤/ ٢٩٦).

(٣) يقول الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح (١/ ٤٤٥): «الإلهام لغة: الإبلاغ، وهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَذْفُ بِالْحَقِّ﴾ [سبأ: ٤٨].»

(٤) تفسير البغوي ص (١١٦٣).

في المنام، وكلاهما يسمى: وحيًا»<sup>(١)</sup>.

والذي يظهر لي: أن الوحي المذكور في الآية يشمل هذا وهذا، بل ويشمل غيره إن ذكر أحد شيئاً أغفلته أنا، ووجهه: أن الله عزَّجَلَّ حصر الوحي للبشر في ثلاثة طرق: الوحي، والكلام من ورواء حجاب، والكلام بإرسال الرسول، فكل ما لم يكن كلاماً مباشراً من الله ﷻ، ولم يكن بإرسال الرسول من الله عزَّجَلَّ؛ وكان وحيًا للبشر؛ فهو داخل تحت مرتبة الوحي، إذ القسمة ثلاثية، وهذا بيِّنٌ، واضح، وسبق تقرير شيء من هذا في بداية هذا المبحث.

إذا علم هذا؛ فوحي الله عزَّجَلَّ إلى عباده قد يكون في اليقظة، وقد يكون في المنام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قلت: فالأول: الوحي وهو: الإعلام السريع، الخفي، إما في اليقظة، وإما في المنام»<sup>(٢)</sup>.

### القسم الأول: الوحي في حال اليقظة<sup>(٣)</sup>:

الوحي من الله عزَّجَلَّ لعباده في حال اليقظة قد يكون بتوسط الملك، وهذا داخل تحت قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]، وليس هو المقصود هنا.

(١) شرح النووي صحيح مسلم (٣/١٠)، وانظر: تفسير الطبري (١١/١٦٢)، وتفسير ابن كثير (١٢/٢٩٤)، وزاد المسير ص (١٢٧٢)، وكشف المشكل من حديث الصحيحين (٤/٣٦٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٣٩٧-٣٩٨).

(٣) وهو الذي يسميه بعض أهل العلم بالإلهام، وبعضهم يقول: التحديث الخاص.

وقد يكون من الله عَزَّوَجَلَّ للعبد مباشرة، وهو المقصود هنا، يقول مجاهد في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾: «أي: أن ينفث في نفسه»<sup>(١)</sup>، ولم يذكر أنه عن طريق الملك.

ويقول الحافظ ابن حجر في معرض كلامه عن حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في سؤال الحارث بن هشام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للنبي ﷺ<sup>(٢)</sup>: «أما الإلهام فلم يقع السؤال عنه، لأن السؤال وقع عن صفة الوحي الذي يأتي بحامل، وكذا التكليم ليلة الإسراء»<sup>(٣)</sup>، والإلهام والتكليم ليلة الإسراء ليس من الوحي الذي يأتي بحامل.

والوحي قد يكون للبشر، وقد يكون لغيرهم<sup>(٤)</sup>، ومقصودنا هو الأول.

والوحي من الله عَزَّوَجَلَّ في حال اليقظة ليس خاصاً بالأنبياء، بل قد يحصل لغيرهم، كما في المُحدِّثين<sup>(٥)</sup>، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا﴾ [الشورى: ٥١]: يتناول وحي الأنبياء، وغيرهم، كالمُحدِّثين الملهمين، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار (٢/٤٧٨).

(٢) انظر الحديث تحت النوع الرابع من أنواع المرتبة الثالثة من مراتب الوحي، ص (٥٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/٢٧).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

(٥) فائدة: يذكر ابن القيم في مدارج السالكين (١/٦٣) نقلاً عن شيخه ابن تيمية تعريف المحدث

بقوله: «المحدث: هو: الذي يحدث في سره وقلبه بالشيء، فيكون كما يحدث به».

«قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم»<sup>(١)</sup>.

وقال عبادة بن الصامت: رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في منامه<sup>(٢)</sup>. فهؤلاء المحدثون الملهمون المخاطبون يوحي إليهم هذا الحديث؛

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب في مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ص (٦٢٠)، رقم: (٣٦٨٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال البخاري عقب الحديث: زاد زكرياء بن أبي زائدة، عن سعد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون، من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر».

والتكليم المراد منه هنا: التكليم بمعناه العام؛ الذي يشمل إيصال المعنى بأي طريق، والمرادف للوحي بمعناه العام، على ما سبق بيانه في أول المبحث، عند الحديث عن آية الشورى.

وروى الحديث أيضا: مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضائل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ص (١٠٥٥)، رقم: (٦٢٠٤)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وفيه: «فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر، فإن عمر بن الخطاب منهم»، وقال مسلم عقب الحديث: قال ابن وهب: تفسير مُحَدَّثُونَ: مُلْهُمُونَ.

(٢) رواه عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا إلى النبي ﷺ: ابن أبي عاصم في السنة ص (٢٢٤)، رقم: (٤٨٦)، وقال الألباني في ضلال الجنة ص (٢٢٤): «إسناده ضعيف»، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٨/ ٢٧٥)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (١/ ٣٩٠)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري له (١٢/ ٣٧٠): «هو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر، وهو واه، وفي سنده جنيد»، وضعف سنده السيوطي في شرح الصدور ص (١٩٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٧٤): «رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، رقم: (٣٠٧٨).

وعليه فالصحيح أنه موقوف على عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من قوله.

الذي هو لهم خطاب، وإلهام، وليسوا بأنبياء معصومين مصدقين في كل ما يقع لهم، فإنه قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لا تكون من إحاء الرب، بل من إحاء الشيطان. وإنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء، فهم الذين يفرقون بين وحي الرحمن، ووحى الشيطان، فإن الشياطين أعداؤهم، وهم يوحون بخلاف وحي الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]»<sup>(١)</sup>.

وظاهر لفظ قصة أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنها من هذا النوع، ففيه: فجعل يقول: «وما يدريك أنها رقية»، قال: قلت: يا رسول الله! ما دريت أنها رقية، شيء ألقاه الله في نفسي<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: قلت: ألقى في روعي<sup>(٣)</sup>.

ولعل منه: ما جاء في قصة أبي بكر الصديق عند وفاته، التي يحدثنا عنها ابن رجب في قوله: «أما العلم بما في الأرحام: فينفرد الله تعالى بعلمه قبل أن يأمر ملك الأرحام بتخليقه، وكتابته، ثم بعد ذلك قد يطلع الله عليه من يشاء

(١) النبوات (٢/٦٩١-٦٩٤).

(٢) رواه بهذا اللفظ: ابن حبان في صحيحه (١٣/٤٧٦)، رقم: (٦١١٢)، وقال محققه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والحاكم في مستدرکه (١/٧٤٦)، وقال: «صحيح على شرط مسلم».

(٣) رواها: أحمد في المسند (١٨/٥٠)، رقم: (١١٤٧٢)، وقال محققوه: «حديث صحيح، وهذا إسناد فيه ضعف»، وينظر: إرواء الغليل، رقم: (١٥٥٦).

من خلقه، كما أطلع عليه ملك الأرحام. فإن كان من الرسل فإنه يطلع عليه علمًا يقينًا، وإن كان من غيرهم من الصديقين والصالحين فقد يطلعه الله تعالى عليه ظاهرًا، كما روى الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال لها - في كلام ذكره - : إنما هو أخواك، وأختاك، قالت: فقلت هذا أخوأي، فمن أختاي؟، قال: ذو بطن ابنة خارجة، فإني أظنها جارية.

ورواه هشام، عن أبيه، عن عائشة: أنها قالت له عند ذلك: إنما هي أسماء؟، فقال: وذات بطن بنت خارجة، أظنها جارية.

ورواه هشام، عن أبيه: قد ألقى في روعي أنها جارية، فاستوصي بها خيرًا، فولدت أم كلثوم<sup>(١)</sup>.

والوحي من الله عزَّجَلَّ في حال اليقظة ليس خاصًا بالرجال، بل قد يحصل للنساء، والأمثلة في هذا كثيرة:

فمن أمثلة الوحي للرجال: وحي الله عزَّجَلَّ إلى الحواريين؛ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١].

ومن أمثلة الوحي للنساء: وحي الله عزَّجَلَّ إلى أم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛

(١) فتح الباري لابن رجب (٦/٣٤٤)، وروى هذه القصة مسندة: ابن بشران في أماليه (١/٨٣)، وابن سعد في طبقاته الكبرى (٣/١٤٥)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/٤٢٤).

المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

والوحي من الله عزَّجَلَّ في حال اليقظة ليس خاصًا بالكبار، بل قد يحصل للصغار، كما أوحى الله عزَّجَلَّ إلى يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو صغير، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس كل من أوحى إليه الوحي العام يكون نبياً... قال تعالى عن يوسف - وهو صغير - : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]»<sup>(١)</sup>.

والوحي من الله عزَّجَلَّ في حال اليقظة الأغلب أنه متعلق بالقلب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]: يقتضي أن التكليم من وراء حجاب نوع غير الوحي، وأن المُكَلِّمَ بذلك محجوب أن يرى الله، لأن التكليم المسموع قد يكون مع رؤية المستمع للمتكلم، وقد يكون مع كونه محجوباً عنه، بخلاف الوحي، فإنه يقع في قلبه، فلا يحتاج أن يجعل نوعين»<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون الوحي من الله عزَّجَلَّ في حال اليقظة بصوت مسموع في نفس الإنسان، ليس خارجاً عن نفسه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في آية

(١) النبوات (٢/ ٦٩١).

(٢) درة تعارض النقل والعقل (١٠/ ٢١٣).

الشورى: «هذا الوحي يكون لغير الأنبياء، ويكون يقظة، ومنامًا، وقد يكون بصوت هاتف، يكون الصوت في نفس الإنسان ليس خارجًا عن نفسه، يقظة، ومنامًا، كما قد يكون النور الذي يراه أيضًا في نفسه.

فهذه الدرجة من الوحي؛ التي تكون في نفسه، من غير أن يسمع صوت ملك؛ في أدنى المراتب، وآخرها»<sup>(١)</sup>.

القسم الثاني: الوحي في حال المنام<sup>(٢)</sup>:

الوحي من الله عزَّجَلَّ في المنام أحوال:

الحال الأولى: أن يرى النَّائِمُ اللهُ عزَّجَلَّ في المنام، فيكلم اللهُ عزَّجَلَّ النَّائِمَ، ويكلمه النَّائِمُ:

جاء من حديث معاذ بن جبل قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نترأى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعًا، فثوب بالصلاة، وصلى، وتجوَّز في صلاته، فلما سلم قال: «كما أنتم على مصافكم، كما أنتم»، ثم أقبل إلينا، فقال: «إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل، فصليت ما قدر لي، فنعست في

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/٣٩٨).

(٢) فائدة: يقول ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ص (٢٣٠): «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان»: الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النَّائِمُ في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير، والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر، والقبيح، ومنه قوله تعالى: ﴿أَضَعْتُ أَحْلَامِي﴾ [يوسف: ٤٤]، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، وتضم لام الحلم، وتُسَكَّنُ» ١.هـ.

صلاّتي حتى استثقلت، فإذا أنا برّبي في أحسن صورة، فقال: يا محمد! أتدري فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: لا أدري، يا رب، قال: يا محمد! فيم يختصم الملاء الأعلى؟، قلت: لا أدري، رب، قال: يا محمد! فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: لا أدري، يا رب، فرأيتّه وضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلّى لي كل شيء، وعرفت، فقال: يا محمد! فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: وما الكفارات؟، قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات، وجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء عند الكريهات، قال: وما الدرجات؟، قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم! إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي، وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك»، وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق، فادرسوها، وتعلموها»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد في المسند (٤٢٣/٣٦)، رقم: (٢٢١٠٩)، والترمذي، كتاب، باب، ص (٧٣٥-٧٣٦)، رقم: (٣٢٣٥)، وقال: «حديث حسن، صحيح»، وقال: «سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث؟، فقال: هذا حديث حسن صحيح»، والبغوي في شرح السنة، (٣٥/٤)، رقم: (٩٢٤)، وروي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم: أنس، وأبي أمامة، وعمران بن حصين، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، وغيرهم، يقول ابن منده في الرد على الجهمية ص (٤٨): «روي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ، ونقلها عنهم أئمة البلاد، من أهل الشرق، والغرب»<sup>١</sup>. هـ وأطال الدارقطني في ذكر روايات الحديث انظر كتابه: «رؤية الله»، ص (٣٠٨) فما بعدها، وانظر في شرح الحديث: =

هذا النوع من الرؤيا في المنام غير داخل في مرتبة التكليم من الله عزَّجَلَّ، لأن مرتبة تكليم الله عزَّجَلَّ تكون من وراء حجاب، وفي هذا الحديث يقول النبي ﷺ: «رأيت ربي»، فهو غير داخل في التكليم من وراء حجاب، وهو غير داخل في مرتبة إرسال الرسول، فهو من مرتبة الوحي<sup>(١)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر: «جوز أهل التعبير رؤية الباري عزَّجَلَّ في المنام مطلقاً، ولم يجروا فيها الخلاف في رؤيا النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الله أخبر أنه يكلم البشر وحيًا، ويكلمه بملك يوحى بإذنه ما يشاء، والثالث: التكليم من وراء حجاب.

وقد قال بعض المفسرين: المراد بالوحي هنا: الوحي في المنام، ولم يذكر أبو الفرج غيره<sup>(٣)</sup>، وليس الأمر كذلك، فإن المنام تارة يكون من الله، وتارة يكون من النفس، وتارة يكون من الشيطان، وهكذا ما يلقي في اليقظة،

---

رسالة ابن رجب الحنبلي: «اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملائم الأعلى»، والحديث صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم: (٣١٦٩).

(١) ذهب بعض أهل العلم إلى أن التكليم في حديث معاذ من التكليم من وراء حجاب، يقول صاحب طرح الثريب في شرح التقريب (٤/ ١٨١) في تعداد لمراتب الوحي: «السادس: أن يكلمه الله -تعالى- من وراء حجاب: إما في اليقظة، كما في ليلة الإسراء، وإما في النوم، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي: "أتاني ربي في أحسن صورة، فقال فيم يختصم الملائم الأعلى" ١.هـ، والصحيح ما ذكرت؛ لما ذكرت، والله أعلم.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٠٤).

(٣) سبق ذكر هذا ص (٢٦).

والأنبياء معصومون في اليقظة، والمنام، ولهذا كانت رؤيا الأنبياء وحيًا، كما قال ذلك ابن عباس، وعبيد بن عمير، وقرأ قوله: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ آيَاتٍ أَدْبَحُكَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

وليس كل من رأى رؤيا كانت وحيًا، فكذلك ليس كل من ألقى في قلبه شيء يكون وحيًا، والإنسان قد تكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه، كالمصلي الذي يتناجي ربه، فإذا جاز أن يوحى إليه في حال النوم فلماذا لا يوحى إليه في حال اليقظة، كما أوحى إلى أم موسى، والحواريين، وإلى النحل؟ لكن ليس لأحد أن يطلق القول على ما يقع في نفسه أنه وحي، لا في يقظة، ولا في المنام، إلا بدليل يدل على ذلك، فإن الوسواس غالب على الناس، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

**الحال الثانية:** أن يُرِيَ الله عَزَّوَجَلَّ للعبد في منامه ما سيحصل في حال يقظته في المستقبل<sup>(٢)</sup>:

وهذه كانت بدايات الوحي إلى النبي ﷺ، كما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/٩٦-٩٨).

(٢) مما هو مشتهر: أن للرؤيا ملكًا موكلًا بها، ولا أعلم له دليلاً صحيحًا، يقول القرطبي في هذه القضية في المفهم (٦/٧): «يحتاج في ذلك إلى توقيف من الشرع»<sup>١</sup>، وانظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٧٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ص (١)، رقم: (٣).

يقول ابن القيم: «كامل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة: إحداها: الرؤيا الصادقة: وكانت مبدأ وحيه ﷺ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»<sup>(١)</sup>.

ويرى بعض أهل العلم أن صدق رؤيا النبي ﷺ في المنام كما يشمل: صدقها، وأنها لا تتخلف، يشمل كذلك: سرعة وقوعها، وحصولها، فهي تتحقق من يومها، يقول ابن عثيمين: «كان أول ما بدئ بالوحي: أن يرى الرؤيا في المنام، فإذا رأى الرؤيا في المنام جاءت مثل فلق الصبح في يومها، بيّنة، واضحة»<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون منه: رؤيا إبراهيم عليه السلام؛ التي ذكرها الله عزَّجَلَّ بقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَآبَتِ أُمَّعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيْنَهُ أَن يَتَّيْرَهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمِيئُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصفات: ١٠٢-١١٠].

الحال الثالثة: أن يضرب الله عزَّجَلَّ للعبد في نومه الأمثال لما سيحصل في حال اليقظة:

ومنه: ما جاء في حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتَ فِي

(١) زاد المعاد (١/ ٧٧).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٨٤).

المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة، أو هجر، فإذا هي المدينة، يثرب، ورأيت في رؤيائي هذه أني هزرت سيفاً، فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هزرته أخرى، فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح، واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضاً بقرًا، والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق؛ الذي آتانا الله بعد يوم بدر»<sup>(١)</sup>.

وهذه تقع للأنياء، وقد تقع للمؤمنين الصادقين، وقد تقع للفاستق، والكاذب، بل وقد تقع للكفار، لكنها نادرة أو قليلة للكفار بالنسبة إلى المؤمنين، وقد أخذ النبي ﷺ وشرع لنا شيئاً من الدين برؤيا رآها أحد أصحابه، جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبٌ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ بَشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يَحْدُثُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ، فَلْيَصِلْ، وَلَا يَحْدُثْ بِهَا النَّاسَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص (٦٠٨)، رقم: (٣٦٢٢)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، ص (١٠٠٧)، رقم: (٥٩٣٤)، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، ص (١٢١٠)، رقم: (٧٠١٧)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب كون الرؤيا من الله، وأنها جزء من النبوة، ص (١٠٠٣)، رقم:

يقول القرطبي: «وكذلك الكافر، والفاسق، والكاذب، وقد يرى المنام الحق، ويكون ذلك المنام سبباً في شر يلحقه، أو أمر يناله، إلى غير ذلك من الوجوه المعتبرة، المقصودة به، وقد وقعت لبعض الكفار منامات صحيحة، صادقة، كمنام الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن، ومنام عاتكة<sup>(١)</sup> عمّة رسول الله ﷺ، ونحوه كثير، لكن ذلك قليل بالنسبة إلى مناماتهم المخلطة، والفاسدة»، ثم ذكر روايات الأحاديث في عدد أجزاء النبوة؛ التي جعلت رؤيا الرجل الصالح واحداً منها، ثم قال: «الوجه الذي يتعين المصير إليه أن يقال: إن هذه الأحاديث - وإن اختلفت ألفاظها - متفقة على أن الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من أجزاء النبوة، فهذه شهادة صحيحة من النبي ﷺ لها بأنها وحي من الله - تعالى -، وأنها صادقة، لا كذب فيها، ولذلك قال مالك وقد قيل له: أَيْفَسَرَّ الرُّؤْيَا كُلَّ أَحَدٍ؟، فقال: أيلعب بالوحي؟! ...»

وقد كان النبي ﷺ يقتبس الأحكام من منامات أصحابه، كما فعل في رؤيا الأذان، وفي رؤيا ليلة القدر، وكل ذلك بناء على أنها وحي صحيح<sup>(٢)</sup>.

---

(٥٩٠٥)، واللفظ له.

(١) ينظر القصة في: سيرة ابن هشام (١/٥٣٧).

(٢) المفهم (٦/١٣-١٥)، وعقد البخاري في صحيحه في كتاب التعبير بابا سماه: «باب رؤيا

أهل السجن، والفساد، والشرك»، انظر: صحيح البخاري ص (١٢٠٦).

## المرتبة الثانية: تكليم الله عزّوجلّ مباشرة، لكن من وراء حجاب<sup>(١)</sup>:

(١) جاء من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لقيني النبي ﷺ، فقال لي: «يا جابر! مالي أراك مُنْكَسِرًا»، فقلت: يا رسول الله! استشهد أبي، وترك عيالاً، ودينًا، فقال: «ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟»، قلت: بلى، يا رسول الله!، قال: «ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وإن الله أحيا أباك، فكلمه كفاحا، فقال: يا عبدي! تَمَنَّ أَعْطُكَ، قال: تحييني، فأقتل قتلة ثانية، قال الله: إني قضيت أنهم لا يرجعون»، ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

رواه ابن حبان (٤٩٠ / ١٥)، رقم: (٧٠٢٢)، وقال محققه: «إسناده جيد»، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة آل عمران، ص (٦٧٧)، رقم: (٣٠١٠)، وقال: «حسن، غريب»، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ص (٤٠٥)، رقم: (٢٨٠٠)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢ / ٣٩٢).

ظاهر الحديث أنه في البرزخ، وأن الله عزّوجلّ كَلَّمَ وَالِدَ جَابِرٍ مَبْشَرَةً، من دون واسطة، وأن والد جابر رأى الله عزّوجلّ كفاحا، فتضمن الحديث الكلام المباشر، والرؤية، يقول القرطبي: «قد تضمن هذا الحديث فضيلة عظيمة لعبد الله، لم يُسْمَعْ بمثلها لغيره، وهي: أن الله -تعالى- كَلَّمَهُ مَشَافَهَةً، بغير حجاب حجب به، ولا واسطة؛ قبل يوم القيامة، ولم يفعل الله -تعالى- ذلك مع غيره في هذه الدار، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١].

وكما قال رسول الله ﷺ في هذا الحديث: «وما كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قط إلا من وراء حجاب». وظاهر هذه الآية، وهذا الحديث: أن الله -تعالى- لم يفعل هذا في هذه الدار لحي، ولا لميت؛ إلا لعبد الله هذا خاصة<sup>١</sup>. هـ، من المفهم للقرطبي (٦ / ٣٨٦)، وانظر: شرح السندي على سنن ابن ماجه (١ / ١٢٤)، والصواعق المرسله لابن القيم (٤ / ١٢٤٧).

ويقول ابن كثير في تفسيره في الحديث (١٢ / ٢٩٤): «هذا في عالم البرزخ، والآية إنما

هي في الدار الدنيا» ا.هـ.

المقصود من هذه المرتبة: أن الله عزَّجَلَّ يكلم خلقه مباشرة، يقظة، بدون واسطة، لكن بدون رؤية، بل من وراء حجاب، يقول ابن القيم في تعداده لمراتب الهداية: «مرتبة تكليم الله عزَّجَلَّ لعبده، يقظة، بلا واسطة، بل منه إليه: وهذه أعلى مراتبها، كما كلم موسى بن عمران -صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه-، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]»<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن جرير في آية الشورى: «يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيًا يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهامًا، وإما غيره، ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه، ولا يراه، كما كلم موسى نبيه ﷺ، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولًا، إما جبرائيل، وإما غيره، ﴿فَيُوحِي بِأَذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء، يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر، ونهي، وغير ذلك، من الرسالة، والوحي»<sup>(٢)</sup>.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]. يقتضي أن يكون الحجاب حجابًا يحجب البشر، كما حجب موسى، فيقتضي ذلك أنهم لا يرونه في الدنيا، وإن كلمهم، كما أنه كلم موسى، ولم يره موسى، بل سأل الرؤية فقال: ﴿قَالَ رَبِّ

وعليه: فلا تعارض بين الحديث والآية، والله أعلم.

(١) مدارج السالكين (١/٦٠).

(٢) تفسير ابن جرير (١١/١٦٢).

أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ<sup>١</sup> قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الأعراف: ١٤٣]﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه المرتبة خاصة بالرسول، لا يشركهم فيها غيرهم، والذي يظهر من الأدلة أن هذه المرتبة خاصة ببعض الرسل، وليست عامة للجميع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «القسم الثالث: التكليم من وراء حجاب، كما كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ... وهذا التكليم مختص ببعض الرسل، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال بعد ذكر إيحائه إلى الأنبياء: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]﴾<sup>(٢)</sup>.

وقص الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ علينا تكليم الله عَزَّوَجَلَّ لعدد من الأنبياء، والرسول، من هذا:

أولاً: تكليم الله عَزَّوَجَلَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِيئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

ثانياً: تكليم الله عَزَّوَجَلَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٣١٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٤٠١).

تَكْلِيمًا ﴿ [النساء: ١٦٤].

ثالثا: تكليم الله عزَّجَلَّ نبينا محمداً ﷺ، يدل له: حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطويل في قصة المعراج، وفيه: «فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ: قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه»<sup>(١)</sup>.

### المرتبة الثالثة: إرسال الله عزَّجَلَّ الرسول الملكي إلى الرسول البشري:

إرسال الله عزَّجَلَّ الرسول الملكي إلى الرسول البشري أنواع:

#### ● النوع الأول: أن يأتي الملك إلى النبي في صورته التي خلقه الله

عزَّجَلَّ عليها:

هذا النوع لم ينقل لنا على وجه صحيح أنه حصل لغير نبينا محمد ﷺ، ولم ينقل لنا أنه حصل للنبي ﷺ إلا مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم ينقل أنه حصل للنبي ﷺ إلا مرتين<sup>(٢)</sup>، وهاتان المرتتان ذكر الله عزَّجَلَّ أولاهما في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣].

وهي المذكورة في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ص (٦٢)، رقم:

(٣٤٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض

الصلوات، ص (٨٣)، رقم: (١١)، واللفظ له.

(٢) لا يشكل على هذا سجود الملائكة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورؤيته لهم، فإن هذا الذي نقل إلينا أنه

في الجنة، قبل هبوطه إلى الأرض، والله أعلم.

رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: «فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض»، قال رسول الله ﷺ: «فجئت (١) منه فرقاً، فرجعت، فقلت: زملوني، زملوني، فذرني، فأنزل الله - تبارك، وتعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ (١) فُوقَ أَنْزَارٍ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِيرٍ (٣) وَيُنَادِيكَ فَطَهْرٌ (٤) وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدر: ١ - ٥]، قال: «ثم تتابع الوحي» (٢).

والمرة الثانية: ذكرها الله عز وجل في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣].

وفسر النبي ﷺ هاتين المرتين بأنها رؤية جبريل عليه السلام، كما في قصة مسروق مع عائشة رضي الله عنها، وفيه: فقلت: يا أم المؤمنين! أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]؟، فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إنما هو جبريل عليه السلام، لم أره على صورته التي خلق عليها

(١) فجئت، بالهمز، وفي رواية: «جئت»، وهما بمعنى واحد، يقال: جئت، وجئت، وهو مجزؤث، ومجثوث، أي: فزع، ومذعور، وفي رواية البخاري: «فرعبتُ منه»، ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٣٨١).

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ص (٢)، رقم: (٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ص (٨١)، رقم: (٤٠٦)، واللفظ له.

غير هاتين المرتين<sup>(١)</sup>، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظماً خلقه ما بين السماء إلى الأرض<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: قال مسروق: قلت لعائشة: فأين قوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿[النجم: ٧ - ١٠]؟﴾، قالت: إنما ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته؛ التي هي صورته، فسد أفق السماء<sup>(٣)</sup>.

وجاء من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما سئل عن قول الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿[النجم:

(١) رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام المرة الثانية كانت ليلة الإسراء، والمعراج، وفي هذا أحاديث في الصحيحين، وغيرهما، والمرة الأولى كانت بمكة، في أوائل البعثة، كما في حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في النص أعلاه، وجاء في بعض روايات حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند الترمذي، في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم، ص (٧٤٥)، رقم: (٣٢٧٨): أن المرة الأولى كانت في منطقة جباد، المعروفة بمكة بهذا الاسم إلى اليوم، والمرة الثانية عند سدرة المنتهى، لكن حديث الترمذي ضعف سنده الألباني في ضعيف الترمذي، ص: (٣٥٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة والنجم، ص (٨٦٠)، رقم: (٤٨٥٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول معنى قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، ص (٩٠) رقم: (٤٣٩)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة - صلوات الله عليهم -، ص (٥٣٩) - (٥٤٠)، رقم: (٣٢٣٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول معنى قول الله عزَّجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، ص (٩١) رقم: (٤٤٢)، واللفظ له.

١١ - ١٣]، قال: «إنه رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح»<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم:

١٣]، قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى، عليه ستمائة جناح، يتثر من ريشه التهاويل: الدر، والياقوت»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الحديث: ذكر مكان الرؤية الثانية، وهو: سدرة المنتهى، وصفة المرئي وهو: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعدد أجنحته، وأنها تهول من رآها لجمالها، وحسنها، وبهائها.

#### • النوع الثاني: أن يتمثل الملك في صورة رجل، فيراه النبي، ويخاطبه:

يقول ابن القيم في تعداد له لمراتب الوحي: (الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه، حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً)<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا النوع قد يأتي الملكُ النَّبِيَّ في صورة رجل يعرفه، ويعرف أنه ملك، وقد كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، جاء من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة-صلوات الله عليهم-، ص (٥٣٩)،

رقم: (٣٢٣٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، ص (٨٩)، رقم: (٤٣٤)، واللفظ له.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣١/٧)، رقم: (٣٩١٥)، وقال محققوه: «إسناده حسن».

(٣) زاد المعاد (٧٧/١).

النبي ﷺ في صورة دحية»<sup>(١)</sup>.

والسبب في هذا تماثل الصورة بين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودحية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد جاء في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَرَأَيْتُ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبَ مِنْ رَأْيْتِ بِهِ شَبَهًا دَحِيهَ بْنَ خَلِيْفَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد يأتي المَلَكُ النَّبِيُّ في صورة رجل لا يعرفه، ولا يعرف أنه ملك إلا بعد مدة<sup>(٣)</sup>، كما في قصة إبراهيم، ولوط عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ مع الملائكة.

فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعرفهم، حتى أخبروه خبرهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

ولوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعرفهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾

(١) رواه أحمد في المسند (١٠٢/١٠)، رقم: (٥٨٥٧)، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، ص (٨٧)، رقم: (٤٢٣).

ويقول العيني في عمدة القاري (٨٥/١): «اختصاص تمثله بصورة دحية دون غيره من الصحابة لكونه أحسن أهل زمانه صورة، ولهذا كان يمشي مثلثًا خوفًا أن يفتتن به النساء» ا.هـ.

ولعل مستنده في هذا -والله أعلم- ما جاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يأتيني جبريل على صورة دحية الكلبي»، قال أنس: ودحية كان رجلاً جسيماً، جميلاً، أبيض، رواه الطبراني في الكبير (١/٢٦٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/٣٧٨): «فيه عفير بن معدان، وهو ضعيف».

(٣) انظر: المفهم للقرطبي (١٦/٦).

وَصَاقَ بِهِمْ ذَرَعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ [هود: ٧٧].

حتى أخبروه خبرهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

وكما في حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل المشهور، ففي أوله: قوله: إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، وفي خاتمته: قول النبي ﷺ: «فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(١)</sup>.

وجاء في بعض رواياته: فلما استبعد قال: «التمسوا الرجل»، فالتمسوه، فلم يوجد، قال رسول الله ﷺ: «هذا جبريل، جاءكم يعلمكم دينكم، لم يأت في صورة إلا عرفته، غير هذه الصورة»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «ما جاء في صورة قط إلا عرفته، غير هذه المرة»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية: ثم قال: «علي الرجل»، فطلبوه، فلم يروا شيئاً، فمكث يومين أو ثلاثة، ثم قال: «يا ابن الخطاب! أتدري من السائل عن كذا وكذا؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «ذاك جبريل، جاءكم يعلمكم دينكم»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ص (٧٩)، رقم: (١).

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٣٧٦).

(٣) رواه البزار في مسنده، ينظر: البحر الزخار (١١/١١١).

(٤) رواها أحمد في المسند (١/٣١٤)، رقم: (١٨٤)، وقال محققوه: «إسناده صحيح، على

شرط الشيخين»، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل (١/٣٤)، رقم: (٣)، ورواه

الفريابي في القدر ص (١٦٨).

وفي رواية: قال سفيان - أحد الرواة - : فبلغني أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوه»، فلم يجدوه، قال: «هذا جبريل، جاءكم يعلمكم دينكم، ما أتاني في صورة إلا عرفته، غير هذه الصورة»<sup>(١)</sup>.

ورؤية الملائكة في صورة رجل تحصل للأنبياء، ولغيرهم، وتأتي على أنحاء شتى، فقد تكون للبشارة بالخير، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟، قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟، قال: لا، غير أني أحببته في الله عزَّجَلَّ، قال: فيني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك، كما أحببته فيه»<sup>(٢)</sup>.

وقد تكون للابتلاء والاختبار، كما في حديث الثلاثة نفر من بني إسرائيل: الأعمى، والأقرع، والأبرص، وقصتهم معروفة<sup>(٣)</sup>، وقد تكون لأمر آخر.

(١) روى الإمام أحمد هذه القصة من حديث ابن عمر، وجاء قول سفيان هذا في آخرها، المسند (٤٣٩ / ١)، رقم: (٣٧٤)، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، والألباني في إرواء الغليل (٣٤ / ١)، رقم: (٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر، والصلة، باب فضل الحب في الله - تعالى -، ص (١١٢٥)، رقم: (٦٥٤٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص، وأعمى، وأقرع؛ في بني إسرائيل، ص (٥٨٣)، رقم: (٣٤٦٤)، ومسلم، كتاب الزهد، باب الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، ص (١٢٨٣)، رقم: (٧٤٣١).

## • النوع الثالث: أن يسمع النبيُّ صوتَ الملك، ويرى نوره، لكن من

غير رؤية كاملة:

كان النبي ﷺ قبل بعثته ومشاهدته لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يرى ضوء الملائكة حين تقرب منه، ويسمع صوتها حين تخاطبه، ولكنه لا يرى الملك الذي يصدر منه الضوء، ولا يرى من يكلمه، ويخاطبه، قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة: يسمع الصوت، ويرى الضوء؛ سبع سنين، ولا يرى شيئاً، وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً»<sup>(١)</sup>.

يقول القاضي عياض: «يسمع الصوت»: أي: صوت الهاتف من الملائكة، (ويرى الضوء): أي: نور الملك، وأنوار آيات الله، حتى رأى الملك بعينه، وشافهه بوحى ربه»<sup>(٢)</sup>.

## • النوع الرابع: أن يأتي الملكُ النبيَّ في مثل صلصلة الجرس:

جاء من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الحارث بن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل النبي ﷺ فقال: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس»<sup>(٣)</sup>، وهو أشدها

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كم أقام النبي ﷺ بمكة، والمدينة؟، ص (١٠٣٤)، رقم: (٦١٠٤).

(٢) إكمال المعلم (٧/٣١٩).

(٣) الصلصلة-بفتح الصادين-: الصوت المتعاقب المتدارك؛ الذي يدرك ويعقب بعضه =

علي<sup>(١)</sup>، فيفصم<sup>(٢)</sup> عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا، فيكلمني، فأعي ما يقول»، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد<sup>(٣)</sup> عرقاً<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا النوع من الوحي يتلبس الملك بالنبي ﷺ، ويدخل فيه، يقول

بعضا، لا يثبت السامع أول سمعه له، ولا يفهمه إلا بعدُ، يدل عليه تعاقب أحرف الكلمة، وإدراك بعضها بعضا، يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ص (٥٣٩-٥٤٠): «الصاد واللام أصلان: أحدهما: يدل على ندى، وماء قليل، والآخر: على صوت... وأما الصوت: فيقال: صل اللجام، وغيره، إذا صوت، فإذا كثر ذلك منه قيل: صلصل، وسمي الخزف صلصالا لذلك، لأنه يصوت، ويصلصل» ١.هـ.

فكل صوت متدارك متعاقب يسمى: صلصلة، فيقال: صلصلة الجرس، وصلصلة الطست، وصلصلة الفخار، واللجام، والنحاس، والحديد... لكن خص الجرس دون غيره من الآلات لأن صوته لا يقع إلا متداركا، متعاقبا؛ غالبا، ثم صوته مرتفع، وانظر لما تقدم بيانه: الاستذكار (٢/٤٧٨)، وفتح الباري لابن حجر (١/٢٧)، وعمدة القاري للعيني (١/٨٦).

(١) يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري له (١/٢٨): «قوله: "وهو أشده علي": يفهم منه أن الوحي كله شديد، ولكن هذه الصفة أشدها، وهو واضح، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود».

(٢) قوله: «فيفصم عني»: أي: ينفصل وينفجر ويذهب عني، انظر: أعلام الحديث للخطابي (١/١٢٠)، والمفهم للقرطبي (٦/١٧٣)، وعمدة القاري (١/٨٧).

(٣) يقول العيني في عمدة القاري (١/٨٨): «قوله: "ليتفصد" بالفاء، والصاد المهملة: أي: يسيل، من: التفصد، وهو: السيلان، ومنه: الفصد، وهو: قطع العرق لإسالة الدم».

(٤) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ص (١)،

رقم: (٢).

ابن القيم في تعداده لمراتب الوحي: «الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد»<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن القيم أيضاً: «الرسول الملكي قد يتمثل للرسول البشري رجلاً، يراه عياناً، ويخاطبه، وقد يراه على صورته التي خلق عليها، وقد يدخل فيه الملك، ويوحي إليه ما يوحيه، ثم يفصم عنه - أي: يقلع<sup>(٢)</sup> -، والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

ولعل كلام ابن القيم هذا مفسر لكلام شيخه ابن تيمية الذي يرى أن نزول الملك على النبي ﷺ في مثل صلصلة الجرس يكون في الباطن، وهذا في قوله: «أخبر ﷺ أن نزول الملك عليه تارة يكون في الباطن بصوت مثل صلصلة الجرس، وتارة يكون متمثلاً بصورة رجل يكلمه، كما كان جبريل يأتي في صورة دحية الكلبي...

وقد سمى الله كلا النوعين إلقاء الملك، وخطابه: وحيًا؛ لما في ذلك من الخفاء، فإنه إذا رآه يحتاج أن يعلم أنه ملك، وإذا جاء في مثل صلصلة الجرس يحتاج إلى فهم ما في الصوت»<sup>(٤)</sup>.

(١) زاد المعاد (١/ ٧٧).

(٢) من كلام ابن القيم.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٦٣).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٤٠١).

والذي يظهر أن المراد من قوله ﷺ: «يأتيني في مثل صلصلة الجرس»: المَلَكُ (الحامل)، لا الوحي (المحمول)، فالذي يظهر: أن المراد به مجيء الملائكة بالوحي، فتأتي الملائكة ولها صوت كصوت صلصلة الجرس، ثم تلقي الوحي على النبي ﷺ، يدل له (في)<sup>(١)</sup> التي هي للظرفية، فيأتي الوحي للنبي ﷺ في مثل صلصلة الوحي، وليست الصلصلة هي الوحي، يؤيد هذا أن النبي ﷺ قال في الصورة الثانية: «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً»، فكأن العبارة الأولى: أحياناً يأتيني الملك في مثل صلصلة الجرس، وأحياناً يأتيني الملك في مثل صلصلة الجرس، ويقول السندي: «قوله: "كيف يأتيك الوحي": ظاهره أن السؤال عن كيفية الوحي نفسه، لا عن كيفية الملك الحامل له، ويدل عليه أول الجواب، لكن آخر الجواب يميل إلى أن المقصود بيان كيفية الملك الحامل، فيقال: يلزم من كون الملك في صورة الإنسان كون الوحي في صورة مفهوم متبين أول الوهلة، فبالنظر إلى هذا اللازم صار بياناً لكيفية الوحي، فلذلك قوبل بصلصلة الجرس، ويحتمل أن المراد للسؤال عن كيفية الحامل: أي: كيف يأتيك حامل الوحي؟»<sup>(٢)</sup>.

ويقول السندي في قوله: «أسمع صلاصل»<sup>(٣)</sup>: «ظاهر هذا اللفظ: أن هذا

(١) اتفق على إثباتها البخاري، ومسلم، وللبخاري رواية أخرى بدونها.

(٢) حاشية السندي سنن النسائي (٢/١٠٦-١٠٧).

(٣) قطعة من حديث عبد الله بن عمرو قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! هل تحس

بالوحي؟، فقال رسول الله ﷺ: «نعم، أسمع صلاصل، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة

يوحي إليَّ إلا ظننت أن نفسي تفيض».

الصوت كان من مقدمات الوحي، وكان الوحي بعده، لا أنه كان من أقسامه، والله - تعالى - أعلم»<sup>(١)</sup>.

وعليه: فسبب صوت الصلصة هو: مجيء الملائكة، وقيل: صوت حفيف أجنحتها، والأمر قريب، ولا مانع من إرادة الأمرين، فتأتي الملائكة ولها صلصلة، وهي حافة بأجنحتها، وإن كان كثرة أجنحة جبريل عَلَيْهِ السَّلَام - وهو المختص بالوحي على المشهور - مما يستأنس به في تأييد أن المراد: صوت حفيف الأجنحة، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وذكر أهل العلم عدة حِكَمٍ لمجيء الوحي بهذه الصفة، من ذلك:

أولاً: أن الصوت يقرع سمع النبي ﷺ بقوة فيشغله عما عداه، ويبقيه خاليًا لتلقي الوحي، يقول الحافظ ابن حجر: «والحكمة في تقدمه: أن يقرع سمعه الوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: أن هذه الصفة خاصة بآيات الوعيد، وهذا ضعيف لأمرين:

الأول: أن هذا مخالف لظاهر الحديث، إذ ظاهر السؤال والجواب

---

رواه أحمد في المسند (١١/٦٤٢)، رقم: (٧٠٧١)، وقال محققوه: «إسناده ضعيف»، والمقصد من إيراده ترجيح أن صلصلة الوحي ليست من الوحي، بل من مقدماته، أو مصاحبة له.

(١) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد (٢/٣٢٠).

(٢) ينظر فتح الباري لابن حجر (١/٢٨)، وعمدة القاري للعيني (١/٨٦).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/٢٨).

العموم، وتخصيصه يحتاج إلى دليل متصل، أو منفصل.

الثاني: أن النصوص الأخرى في أنواع الوحي تشير إلى أن هذه المرتبة ليست خاصة بالقرآن الكريم، فضلاً أن تختص بآيات الوعيد، يقول الحافظ ابن حجر: «قيل: إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد، أو تهديد، وهذا فيه نظر، والظاهر: أنه لا يختص بالقرآن، كما سيأتي بيانه في حديث يعلى بن أمية في قصة لابس الجبة؛ المتضمن بالطيب في الحج، فإنه فيه: أنه رآه صلى الله عليه وسلم حالة نزول الوحي عليه، وإنه ليغط<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: أن الكلام العظيم له مقدمات وأحوال مؤذنة ومشعرة بتعظيمه، ومنه: إتيان الملك للنبي في مثل صلصلة الجرس، يقول الحافظ ابن حجر: «قال شيخنا شيخ الإسلام البلقيني: سبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به، كما سيأتي في حديث ابن عباس: "كان يعالج من التنزيل شدة"<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

ويشهد لهذا القول قوله تعالى: ﴿إِنَّا سُنِّفِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

(١) انظر الحديث في: صحيح البخاري، كتاب العمرة، باب يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج، وصحيح مسلم، كتاب الحج، باب ما يباح للمحرم بحج، أو عمرة؛ لبسه، وما لا يباح، وبيان تحريم الطيب عليه، ص (٤٨٦)، رقم: (٢٧٩٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/٢٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص (٢)، رقم: (٥)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، ص (١٨٨)، رقم: (١٠٠٥).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١/٢٨).

رابعاً: يقول الخطابي: «جملة القول فيما كان يناله من الكرب عند نزول الوحي هي شدة الامتحان له، ليلو صبره، ويُحَسِّنَ تأديبه، فirtاض لاحتمال ما كلفه من أعباء النبوة، وحسن الاضطلاع للنهوض به إن شاء الله»<sup>(١)</sup>.

خامساً: «قال بعضهم: وإنما كان شديداً عليه ليستجمع قلبه، فيكون أوعى لما سمع»<sup>(٢)</sup>.

ويذهب أهل العلم إلى أن صلصلة الجرس المذكورة في هذا الحديث هي دوي النحل المذكور في قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان إذا أنزل على رسول الله ﷺ الوحي نسمع عند وجهه كدوي النحل، فأنزل عليه يوماً، فسكتنا ساعة، فاستقبل القبلة، ورفع يديه، فقال: «اللهم! زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا»، ثم قال: «لقد أنزل علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، حتى ختم عشر آيات<sup>(٣)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر: «دوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس، لأن

(١) أعلام الحديث للخطابي (١/ ١٢١-١٢٢)، وانظر: عمدة القاري للعيني (١/ ٩٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٨).

(٣) رواه الحاكم في المستدرک (١/ ٧١٧)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا (يعني: يونس بن سليم) فقال: أظنه لا شيء»، والطحاوي في مشكل الآثار (١٠/ ٢٩٤)، رقم: (٤١٠٠)، وأحمد في المسند (١/ ٣٥١)، وقال محققوه: «إسناده ضعيف»، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون، رقم: (٣١٧٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ص (٣٣٨).

سماع الدوي بالنسبة إلى الحاضرين، كما في حديث عمر: "يسمع عنده كدوي النحل"، والصلصلة بالنسبة إلى النبي ﷺ، فشبهه عمر بدوي النحل بالنسبة إلى السامعين، وشبهه هو ﷺ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه<sup>(١)</sup>.

### • النوع الخامس: أن ينفث الملك في نفس النبي، من غير أن يراه:

كما في حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ رُوحُ الْقُدُسِ<sup>(٢)</sup> نَفَثَ فِي رُوعِي<sup>(٣)</sup>: أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجْلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدُكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يِنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري لابن حجر (١/٢٧).

(٢) ورد في بعض روايات الحديث: «جبريل»، وفي بعضها: «الروح الأمين» بدل «روح القدس»، يقول البغوي في شرح السنة (١٤/٣٠٤): «أراد بالروح الأمين وبروح القدس: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].»  
(٣) النفث: النفخ، وقيل: التفل، وقيل: هو بين النفخ، والتفل، النفخ بلا بزاق، والتفل به، والنفث بينهما، وقيل: التفل أخف من البزاق، والنفث أخف من التفل.  
والروع-بضم الراء-: النفس، والخلد.

ومعنى قوله ﷺ: «نفث في روعي»: أي: أوحى إليّ، وألقى، ينظر: النهاية في غريب الحديث ص (٩١٦)، وفتح الباري لابن حجر (١/٦٠٩).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٦)، والطبراني في الكبير (٨/١٦٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/٧٢): «فيه غفير بن معدان، وهو ضعيف»، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/١٩)، والبغوي في شرح السنة (١٤/٣٠٣)، والحاكم في مستدرکه (٢/٥)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ورواه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب الاقتصاد في طلب المعيشة، ص (٣٠٨)، رقم:

يقول ابن القيم في تعداده لمراتب الوحي: «الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه، وقلبه، من غير أن يراه»<sup>(١)</sup>، ثم ذكر حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وتلقي الوحي في هذا النوع يكون بالقلب، والنفس، لا بالسمع، كما ذكره هنا ابن القيم، ويقول العيني في تعداده لأقسام الوحي: «الثالث: وحي تلقى بالقلب»<sup>(٢)</sup>، ثم ذكر حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ويقول القرطبي: «نفث الملك في روعه: وهو: الوحي الذي يخص به القلب، دون السمع، قال وقد ينفث الملك في روع بعض أهل الصلاح، لكن بنحو الإطماع في الظفر بالعدو، والترغيب في الشيء، والترهيب من الشيء، فيزول عنه بذلك وسوسة الشيطان بحضور الملك، لا بنحو نفي علم الأحكام، والوعد، والوعيد، فإنه من خصائص النبوة»<sup>(٣)</sup>.

وهذه المرتبة يحتمل أن تكون داخلية في إحدى المراتب السابقة، لأن

(٢١٤٤)، والحاكم (٥/٢)، من حديث جابر بن عبد الله نحوه.

والبزار في مسنده «البحر الزخار» (٣١٤/٧)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال الهيثمي في المجمع (٧١/٤): «رواه البزار، وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات».

وأورد الحديث الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٢٨٦٦)، وقال (٨٦٧/٦): «وبالجملة: فالحديث حسن على أقل الأحوال»، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه زاد المعاد لابن القيم (٧٧/١): «حديث صحيح بشواهده».

(١) زاد المعاد (٧٧/١).

(٢) عمدة القاري (٨٥/١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣٦٦/١٢).

النفث: الإلقاء، وقد يكون الإلقاء مصاحباً لإتيان الملك في مثل صلصلة الجرس، أو في أثناء تمثله في صورة رجل، يقول الحافظ ابن حجر في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا المتقدم في سؤال الحارث بن هشام للنبي ﷺ: «أما النفث في الروع فيحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين، فإذا أتاه الملك في مثل صلصلة الجرس نفث حينئذ في روعه»<sup>(١)</sup>، لكن الذي يظهر أنها مرتبة مستقلة لأمرين:

الأول: أن هذه المرتبة غير داخلية في مرتبة تكليم الملك للنبي في صورة رجل، لأن هذه المرتبة وإن كان ظاهر الخبر ليس فيه أن النبي ﷺ لم ير الملك، لكنه عندما أخبر أنه نفث، ثم النفث كان في النفس، ولم يذكر رؤية، ولا كلاماً مباشراً، وإنما نوع خاص منه، وهو: النفث؛ دل بمجموعه أنه لم تقع رؤية، وإتيان الملك للنبي في صورة رجل يكون برؤية، والله أعلم.

الثاني: أن هذه المرتبة غير داخلية في إتيان الملك في مثل صلصلة الجرس، لأن لفظ (النفث) يفهم منه نوع تخفيف إذ هو دون (التفل) على ما مضى بيانه، والصلصلة فيها شدة، وقال فيها النبي ﷺ: «وهو أشدها علي»، فالذي يظهر من لفظ (النفث) و(الصلصلة) أن بينهما اختلافاً، وأنهما نوعان، والله أعلم.

وهذا النوع من الوحي ليس خاصاً بالأنبياء، بل قد يحصل لغيرهم، هذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية بأدلته في قوله: «العلم يحصل في النفس كما تحصل سائر الإدراكات، والحركات، بما يجعله الله من الأسباب، وعامة ذلك بملائكة الله - تعالى، فإن الله - سبحانه - ينزل بها على قلوب عباده،

(١) فتح الباري لابن حجر (٢٧/١).

من العلم، والقوة، وغير ذلك؛ ما يشاء.

ولهذا قال النبي ﷺ لحسان: «اللهم أيده بروح القدس»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:

.[٢٢

وقال ﷺ: «من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يطلب

القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده»<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الله بن مسعود: «كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر»<sup>(٣)</sup>.

(١) جاء من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري

يستشهد أبا هريرة: أشدك الله! هل سمعت النبي ﷺ يقول: «يا حسان! أجب عن رسول الله

ﷺ، اللهم! أيده بروح القدس؟»، قال أبو هريرة: نعم، رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب الشعر

في المسجد، ص (٧٨)، رقم: (٤٥٣) من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم، كتاب

فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص (١٠٩٤)، رقم: (٦٣٨٤).

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت:

«اهجهم، أو هاجهم، وجبريل معك»، رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل

حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص (١٠٩٤)، رقم: (٦٣٨٧).

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال

يؤيدك، ما نافحت عن الله، ورسوله»، رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل

حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ص (١٠٩٥)، رقم: (٦٣٩٥).

(٢) رواه أبو داود، كتاب، باب، ص (٥١٤)، رقم: (٣٥٧٨)، والترمذي، كتاب الأحكام، باب

ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، ص (٣٢١)، رقم: (١٣٢٤)، وقال: «حسن غريب»،

وأحمد في المسند (٢٨/٢١)، رقم: (١٣٣٠٢)، كلهم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال

محققوا المسند: «إسناده ضعيف»، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ص (١٢٤).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٦٧/٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٦٧/٩): «إسناده حسن».

==

وقال ابن مسعود أيضا: «إن للملك لمة<sup>(١)</sup>، وللشيطان لمة، فلمة الملك: إيعاد بالخير، وتصديق بالحق. ولمة الشيطان: إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق»<sup>(٢)</sup>، وهذا الكلام الذي قاله ابن مسعود هو محفوظ عنه، وربما رفعه بعضهم إلى النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وجاء من قول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر»، رواه أحمد (٢/ ٢٠٠)، رقم: (٨٣٤)، وقال محققوه: «إسناده قوي»، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ص (١٢٥)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٣٥٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٦٧): «إسناده حسن».

(١) أصل اللمة يدل على: مقارنة، واجتماع، ومضامة، ومنه: قيل للشعر النازل إلى المنكبين: لمة. وقيل: هو للمقاربة خاصة، ومنه: ألم بكذا، أي: قاربه، ودنا منه، وغلام ملم، أي: قارب البلوغ، وفي الحديث: «إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا، أو يلم»: أي: يقرب من ذلك. أما المقصود باللمة في الحديث فيقول ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ص (٨٣١): «اللمة: الهمة والخطرة تقع في القلب، أراد إمام الملك أو الشيطان به، والقرب منه، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان»<sup>١</sup>، وانظر: معجم مقاييس اللغة ص (٨٩٩)، وروضة المحبين لابن القيم ص (٣٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ١٠١)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ٢٥٩)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٧٨)، رقم: (٩٩٧)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، ص (٦٧٢)، رقم: (٢٩٨٨)، وقال: «حسن، غريب، وهو حديث أبي الأحوص، لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص»، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٧)، رقم: (١٠٩٨٥)؛ كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ص (٣/ ٢٠٠).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٣١).

## الخاتمة

من أهم ما خلص إليه البحث ما يأتي:

- أن الوحي في اللغة مداره على الإعلام، فكل إعلام يسمى في اللغة وحيًا، فالكتابة وحي، والإشارة وحي...

- أن الوحي في الاصطلاح لفظ يشمل كل ما أعلم الله عزَّجَلَّ به نبيه ﷺ، وأخبره عنه.

- أن الله عزَّجَلَّ حصر مراتب الوحي للبشر في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١]، فلا يخرج وحي الله عزَّجَلَّ للبشر عن هذه الأحوال الثلاث: إما وحيًا، وإما من وراء حجاب، وإما أن يرسل رسولًا؛ فيوحي بإذنه ما يشاء.

- أن مرتبة الوحي المذكورة في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] تشمل كل ما لم يكن داخلًا في مرتبة التكليم من وراء حجاب، أو مرتبة الوحي بإرسال رسول.

- أن وحي الله عزَّجَلَّ إلى عباده قد يكون في اليقظة، وقد يكون في المنام.

- أن الوحي من الله عزَّجَلَّ لعباده في حال اليقظة قد يكون بتوسط الملك، وهذا داخل تحت قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]، وليس هو المقصود هنا، وقد يكون من الله عزَّجَلَّ للعبد مباشرة، وهو المقصود هنا.

والوحي قد يكون للبشر، وقد يكون لغيرهم، ومقصودنا هو الأول.

والوحي من الله عزَّجَلَّ في حال اليقظة ليس خاصًا بالأنبياء، بل قد يحصل لغيرهم، وهو ليس خاصًا بالرجال، بل قد يحصل للنساء، وهو ليس خاصًا بالكبار، بل قد يحصل للصغار.

والوحي من الله عزَّجَلَّ في حال اليقظة الأغلب أنه متعلق بالقلب.

- أن الوحي من الله عزَّجَلَّ في المنام أحوال: الحال الأولى: أن يرى النَّائمُ الله عزَّجَلَّ في المنام، فيكلم الله عزَّجَلَّ النَّائمَ، ويكلمه النَّائمُ، والثانية: أن يُرى الله عزَّجَلَّ للعبد في منامه ما سيحصل في حال يقظته في المستقبل، والثالثة: أن يضرب الله عزَّجَلَّ للعبد في نومه الأمثال لما سيحصل في حال اليقظة.

- أن المرتبة الثانية من مراتب الوحي هي: تكليم الله عزَّجَلَّ مباشرة، لكن من وراء حجاب، والمقصود من هذه المرتبة: أن الله عزَّجَلَّ يكلم خلقه مباشرة، يقظة، بدون واسطة، لكن بدون رؤية، بل من وراء حجاب، وهي أعلى المراتب الثلاث.

وهذه المرتبة خاصة بالرسل، لا يشركهم فيها غيرهم، والذي يظهر من الأدلة أن هذه المرتبة خاصة ببعض الرسل، وليست عامة للجميع، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

- أن المرتبة الثالثة من مراتب الوحي هي: إرسال الله عزَّجَلَّ الرسول الملكي إلى الرسول البشري، وهو أنواع: الأول: أن يأتي الملك إلى النبي في صورته التي خلقه الله عزَّجَلَّ عليها، وهذا النوع لم ينقل لنا على وجه صحيح

أنه حصل لغير نبينا محمد ﷺ، ولم ينقل لنا أنه حصل للنبي ﷺ إلا مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم ينقل أنه حصل للنبي ﷺ إلا مرتين.

**والنوع الثاني:** أن يتمثل الملك في صورة رجل، فيراه النبي، ويخاطبه، ورؤية الملائكة في صورة رجل تحصل للأنبياء، ولغيرهم، وتأتي على أنحاء شتى، فقد تكون للبشارة بالخير، وقد تكون للابتلاء، والاختبار، وقد تكون لأمر آخر.

**والنوع الثالث:** أن يَسْمَعَ النَّبِيُّ صَوْتَ الْمَلِكِ، ويرى نوره، لكن من غير رؤية كاملة.

**والنوع الرابع:** أن يأتي الملكُ النَّبِيَّ في مثل صلصلة الجرس، وفي هذا النوع من الوحي يتلبس الملك بالنبي ﷺ، ويدخل فيه.

**والنوع الخامس:** أن ينفث الملك في نفس النبي، من غير أن يراه، وتلقي الوحي في هذا النوع يكون بالقلب، والنفس، لا بالسمع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا النوع من الوحي ليس خاصا بالأنبياء، بل قد يحصل لغيرهم.

وصلّ اللهم على عبدك، ونيك، ورسولك؛ محمد، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

## ثبت المصادر والمراجع

✻ الأحاديث المختارة أو (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما)، ضياء الدين، أبي عبد الله، محمد بن عبد الواحد، المقدسي، دراسة، وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور: عبد الملك بن عبد الله، بن دهيش، دار خضر للطباعة، والنشر، والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

✻ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين، الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

✻ الاستذكار، ابن عبد البر، قدم لها: عبد الرزاق مهدي، علق عليها، ورقم أحاديثها: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار الشروق ودار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.

✻ إكمال المعلم بفوائد مسلم، أبي الفضل، عياض بن موسى، اليحصبي، تحقيق: الدكتور: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ودار الندوة العالمية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

✻ البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: الدكتور: عبد الله، بن عبد المحسن، التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

✻ تفسير ابن عطية، لعبد الحق، بن عطية، الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

✻ تفسير البغوي، للحسين بن مسعود، البغوي، دار ابن حزم، بيروت،

الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

✻ تفسير الطبري، لمحمد بن جرير، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت،  
الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

✻ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى  
السيد محمد، ومحمد السيد رشاد، ومحمد فضل العجاوي، وعلي أحمد  
عبد الباقي، وحسن عباس قطب، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة  
الأولى، ١٤٢٥هـ.

✻ الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله، محمد، بن أحمد، القرطبي، اعتنى  
به، وصححه: الشيخ: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي،  
بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

✻ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية،  
تحقيق، وتعليق: الدكتور: علي بن حسن بن ناصر، والدكتور: عبد العزيز  
العسكر، والدكتور: حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة  
الأولى، ١٤١٩هـ.

✻ حاشية السندي على مسند الإمام أحمد، أبي الحسين، محمد بن  
عبد الهادي، السندي، حققه، وضبط نصه، وعلق عليه: طارق عوض الله،  
دار المأثور للنشر، والتوزيع، الرياض.

✻ درء تعارض العقل والنقل (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)،  
شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور: محمد رشاد سالم، دار الكنوز  
الأدبية.

✻ الرد على الجهمية، أبي عبد الله، محمد بن إسحاق، ابن منده، تحقيق:

- علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.
- ✽ رسالة اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى، أبي الفرج، عبد الرحمن، ابن رجب، الحنبلي، ضمن مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة.
- ✽ زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن، بن علي، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ✽ زاد المعاد، أبي عبد الله، محمد بن أبي بكر، بن أيوب، ابن قيم الجوزية، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه، شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٦هـ.
- ✽ سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
- ✽ سلسلة الأحاديث الضعيفة، لمحمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- ✽ سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث، السجستاني، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ✽ سنن ابن ماجه، لمحمد، بن يزيد، ابن ماجه، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ✽ سنن النسائي الصغرى، لأحمد بن شعيب، النسائي، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ✽ سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب، النسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

- ✽ السيرة النبوية، ابن هشام، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢٨هـ.
- ✽ شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- ✽ شرح السنة، محيي السنة، أبي محمد، الحسين بن مسعود، بن محمد، البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ✽ شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، جلال الدين، عبد الرحمن، السيوطي، قدم له، وفهرسه: زهير شفيق الكبّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ✽ شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، الحنفي، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٦هـ.
- ✽ شرح مشكل الآثار، أبي جعفر، أحمد، بن محمد، الطحاوي، حققه، وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.
- ✽ شعب الإيمان، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ✽ صحيح ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي، تحقيق: شعيب

- الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ✽ صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل، البخاري، دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ✽ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، القشيري، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ✽ الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه، وقدم له: الدكتور: علي بن محمد، الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
- ✽ الطبقات الكبرى، أبي عبد الله، محمد بن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ✽ ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
- ✽ ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف للنشر، والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ✽ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لمحمود أحمد، العيني، تقديم: محمد أحمد حلاق، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ✽ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، رقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام

- بإخراجه، وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي الدين محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ✽ القدر، أبي بكر، جعفر بن محمد، الفريابي، تحقيق: عبد الله بن حمد، المنصور، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ✽ كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبي الفرج، عبد الرحمن بن علي، الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
- ✽ لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
- ✽ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي، الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ✽ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، إعداد: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.
- ✽ مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، أبي عبد الله، محمد، بن أبي بكر، بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.
- ✽ المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين، بن علي، أبي بكر، البيهقي، تحقيق: الدكتور: محمد ضياء الرحمن، الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
- ✽ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي، القاري، قدم له: خليل الميس، قرأه، وخرج حديثه، وعلق عليه، وصنف فهارسه: صدقي

- محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ✽ المستدرک علی الصحیحین، لمحمد بن عبد الله، الحاکم، إعداد: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ✽ مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ✽ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبي بكر، أحمد بن عمرو، البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم، والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.
- ✽ معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور، محمد بن أحمد، الأزهرى، تحقيق: د. رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ✽ المعجم الكبير، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ✽ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد، بن فارس، اعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب، الأنسة فاطمة محمد أصلان، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ✽ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبي العباس، أحمد، بن عمر، القرطبي، حققه، وعلق عليه، وقدم له: محيي الدين مستو ويوسف علي بديوي وأحمد محمد السيد ومحمود إبراهيم، دار ابن كثير، بيروت،

الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.

✽ موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير، بن ياسين، دار المآثر للنشر، والتوزيع، والطباعة، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

✽ النبوات، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور: عبد العزيز الطويان، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

✽ نوادير الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، محمد بن علي، الحكيم، الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

## فهرس الموضوعات

- ملخص البحث ..... ١٥
- المبحث الأول: تعريف الوحي ..... ٢١
- المطلب الأول: تعريف الوحي في اللغة: ..... ٢١
- المطلب الثاني: تعريف الوحي في الاصطلاح: ..... ٢٣
- المبحث الثاني: مراتب وحي الله عَزَّجَلَّ إلى البشر ..... ٢٦
- سبب نزول قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ ..... ٢٦
- الفرق بين التكليم العام والخاص، والوحي العام والخاص ..... ٢٦
- حصر مراتب الوحي للبشر في ثلاث في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾:
- المرتبة الأولى: مرتبة الوحي: ..... ٢٨
- ما يدخل تحت هذه المرتبة:
- القسم الأول: الوحي في حال اليقظة ..... ٢٩
- القسم الثاني: الوحي في حال المنام ..... ٣٥
- الوحي من الله عَزَّجَلَّ في المنام أحوال:
- الحال الأولى: أن يرى النَّائِمُ الله في المنام، فيكلم الله النَّائِمَ، ويكلمه النَّائِمُ ..... ٣٥
- الحال الثانية: أن يُرِيَ الله للعبد في منامه ما سيحصل في حال يقظته في المستقبل ..... ٣٨
- الحال الثالثة: أن يضرب الله للعبد في نومه الأمثال لما سيحصل في حال اليقظة .. ٣٩
- المرتبة الثانية: تكليم الله عَزَّجَلَّ مباشرة، لكن من وراء حجاب ..... ٤٢
- المرتبة الثالثة: إرسال الله عَزَّجَلَّ الرسول الملكي إلى الرسول البشري ..... ٤٥

إرسال الله عزَّجَلَّ الرسول الملّكي إلى الرسول البشري أنواع:

النوع الأول: أن يأتي الملّك إلى النبي في صورته التي خلقه الله عزَّجَلَّ عليها .. ٤٥

النوع الثاني: أن يتمثل الملّك في صورة رجل، فيراه النبي، ويخاطبه: .. ٤٨

النوع الثالث: أن يسمع النبي صَوْتَ الملّك، ويرى نوره، من غير رؤية كاملة: .. ٥٢

النوع الرابع: أن يأتي الملّكُ النَّبِيَّ في مثل صلصلة الجرس: ..... ٥٢

النوع الخامس: أن ينفث الملّك في نفس النبي، من غير أن يراه: ..... ٥٩

الخاتمة ..... ٦٤

ثبت المصادر والمراجع ..... ٦٧

فهرس الموضوعات ..... ٧٥

دراسة نصية عقدية لقوله ﷺ:

«حجابهُ النور، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ  
وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»

د. مريم حسن تيجاني

أكاديمية سعودية؛ محاضر متعاون بقسم الدعوة والثقافة  
الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى



## ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة نصية عقديّة لقوله ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». ويعرّض لبيان معنى «الحجاب» عند أهل السنة والجماعة، ومخالفينهم من أهل التأويل، مع عرض شبهات المخالفين والرد عليها ببيان وجه بطلانها وفسادها. كما يعرض لبيان مفردات النص الشريف ومعناه الإجمالي باختصار، مع ذكر أهم الثمرات التربوية المستفادة من دراسته. فالخاتمة والتوصيات.

د. مريم حسن تيجاني

m.tejany@hotmail.com

***Theological Textual Study of the Saying of the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace on him)***

***"His (Allah's) veil is the light, if he removed it (the veil) the glory of his face would burn everything of his creation, as far as his gaze reaches"***

***Dr. Maryam Hasan Tejani***

*Saudi Academic, Assistant Lecturer in the Da'wah and Islamic Culture Department at the Faculty of Da'wah and Foundations of the Religion – Umm Al Qura University*

***Abstract***

*This research studies the saying of the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace on him) "His (Allah's) veil is the light, if He removed it (the veil) the glory of His Face would burn everything of His creation, as far as his gaze reaches" and presents the meaning of the veil as Ahlus-Sunnah have understood it, and the understanding of those who oppose them from the people of Ta'weel (people who distort the meaning of the Names and Attributes of Allah the Almighty). The research will also present the doubts of those who oppose the understanding of Ahlus-Sunnah and refute the aspects of their doubts, and clarify the invalidity and corruption of their understanding. As it also goes on to clarify the wording of this noble text and its complete meaning briefly, and mention the most important educational benefits that have been benefitted from this study. After that I mentioned the conclusion and recommendations based on this study.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم ربنا لك الحمد أنت قيّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق، أحمده تبارك حمداً يليق بجلاله، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين خير الوري سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن المتأمل لمختلف الأحاديث الثابتة الصحيحة -التي يعتقد البعض تعارضها-، يجد أنه لا حقيقة لهذا التعارض، وإّما الإشكال عائد في أساسه إلى فهم الناس لهذه النصوص، وتباين تلك الأفهام بنسبة بشرية فارقة، ولو رده إلى الله وإلى الرسول لعلمه الذين يستنبطونه منهم، وأما الفهم البشري فقاصر كقصور ذلك العقل الذي وكل صاحبه الفهم إليه.

كيف وجيل الهدى الأول لم تُستحدث في زمنهم تلك المشكلات، وإنما كان فهمهم على مبدأ من فطرة سليمة نقية، لذا ما وجدنا أحداً حاد عن الجادة بسبب سوء فهم لنص من نصوص الوحيين، وإنما كان ذلك في بعض من جاء بعدهم، حيث ظنوا أن نصوص القدس تخطيء أو تتناقض! وما هو كذلك.

من هنا تأتي أهمية البحث في مثل تلك النصوص الكريمة لدراستها وفقهاً فقهاً عقدياً سليماً، بحيث يحل الإشكال القائم في فهم بعض آحاد

الناس؛ جرّاء إعمالِ العقلِ وتقديمه استدلالاً وإثباتاً، ولو لا ذلك لما احتيج إلى دراستها، إذ شأن المؤمن مع ذلك كله - ما دامت قد ثبتت وروداً - أن يؤمن ويسلم تسليمًا بلسان حالٍ ومقال: «سمعنا وأطعنا».

وفي هذا البحث - إن شاء الله - سنتناول قول الهادي عليه السلام: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»؛ باستعراض بعض الإشكالات الحاصلة لدى البعض لاعتقادهم تعارضها أو خروجها عن معنى التنزيه، وما هي كذلك، وسيتبين لنا ذلك جلياً خلال البحث إن شاء الله تعالى.

أما بالنسبة لسبب اختيار الموضوع فلما آنستُ من إشكالٍ لدى بعض المتكلمين عند قراءتي لبعض شروحه لهذا الحديث، مما أثار تساؤلات في نفسي، لذا أحببتُ تناوله بشيء من الدراسة؛ لاستجلاءٍ واستيضاح مواقف السلف رضوان الله عليهم، ومعرفة الفهم الصحيح في ذلك. وقد انتهجتُ في ذلك منهجاً استقرائياً تحليلياً للنص الشريف موضوع الدراسة، وفق الخطة التالية:

المطلب الأول: المعاني اللغوية لكلمات الحديث.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للحديث.

المطلب الثالث: المباحث العقديّة المتعلقة بالحديث.

أولاً: ما يتعلق بحجاب الرب ﷻ؛ وفي الكلام عن الحجاب مسألتان:

المسألة الأولى: في معنى الحجاب عند أهل السنة.

المسألة الثانية: في معنى الحجاب عند المخالفين.

ثانياً: ما يتعلق بصفة الوجه.

ثالثاً: ما يتعلق بتردد الرواية بين النور والنار.

رابعاً: في معنى قوله ﷺ: «ما انتهى إليه بصره من خلقه».

المطلب الرابع: الثمرات التربوية والإيمانية المستفادة من الحديث الشريف.

ثم الخاتمة.

علماً أني اعتمدتُ على لفظ رواية مُسلم رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه، ولم أتعرّض لما سواها إلا على سبيل إيضاح بعض ألفاظ الحديث الواردة، كما أني اكتفيتُ ببيان ذلك الاختلاف اللفظي دون سعيٍ لحصر رواياته إلا على سبيل الإشارة لبعضها عند العزو، مع استبعاد شرح النووي للتأويل الوارد فيه، واعتماد شرح الحديث من مصدرٍ آخر.

ثم مسكُ الختامِ سُؤلي أن يستعملنا الباري جميعاً لنصرة دينه وإعزاز ورفعة الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا، اللهم آمين.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نص الدراسة<sup>(١)</sup>:

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup> قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله عزَّجَلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور -

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، «باب في قوله: ﷺ إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»؛ من رواية الأعمش ورواية شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٧٩). والإمام أحمد في أول مُسند الكوفيين من طريق الأعمش كذلك عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٩١٣٥). وابن ماجه في سننه من رواية المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم (١٦٢-١٦٣). وابن خزيمة في كتاب التوحيد، (١/٤٥-٤٧-٤٩-١٧٧). وأبو عاصم في كتاب السنة (٦١٤).

(٢) أبو موسى الأشعري؛ عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير صاحب رسول الله ﷺ. الفقيه المقرئ. وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ. أقرأ أهل البصرة، وأفقههم في الدين. وفي الصحيحين عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما». وقد استعمله النبي ﷺ ومعاذاً على زيد، وعدن. وولي إمرة الكوفة لعمر، وإمارة البصرة. وقدم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبي ﷺ، وحمل عنه علماً كثيراً. توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح. انظر: تراجم الأعلام، د. ط، د. ت، المكتبة الإسلامية، «ترجمة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وفي رواية أبي بكر<sup>(١)</sup>: النار-، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». وفي رواية أبي بكر عن الأعمش<sup>(٢)</sup>؛ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات» - ثم ذكر بمثل حديث أبي معاوية<sup>(٣)</sup> ولم يذكر من خلقه - وقال: حجابُه النور.

(١) أبو بكر ابن أبي شيبة؛ عبد الله بن محمد بن القاضي، الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار «المسند» و«المصنف»، و«التفسير»، أبو بكر العبسي مولا هم الكوفي، نشأ في بيت علم، وأبو بكر أجلّهم. وهو من أقران أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السنن والمولد والحفظ. طلب العلم وهو صبي، وأكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله القاضي؛ قال أحمد بن عبد الله العجلي: كان أبو بكر ثقة، حافظاً للحديث، مات في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر: تراجم الأعلام، «ترجمة ابن أبي شيبة».

(٢) الأعمش سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الكاهلي، مولا هم الكوفي الحافظ. أصله من نواحي الري. فقيل ولد بقرية أمه من أعمال طبرستان في سنة إحدى وستين وقداموا به إلى الكوفة طفلاً، وقيل: حملاً. رأى أنس بن مالك وحكى عنه، وروى عنه، مات الأعمش في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة. انظر: تراجم الأعلام، «ترجمة الأعمش».

(٣) أبو معاوية محمد بن خازم مولى بني سعد بن زيد مناة بن تميم، الإمام الحافظ الحجّة أبو معاوية السعدي الكوفي الضرير، أحد الأعلام. قال أحمد وجماعة: وُلد سنة ثلاث عشرة ومائة. وعمي وهو ابن أربع سنين، فأقاموا عليه مأتماً، قاله أبو داود. ويقال: عمي ابن ثمان سنين. سُئل أحمد عن أبي معاوية وجرير في الأعمش، فقدم أبا معاوية، مات سنة خمس وتسعين. انظر: تراجم الأعلام، «ترجمة أبي معاوية».

## المطلب الأول

### المعاني اللغوية لكلمات الحديث

#### أولاً: معنى القسط:

القِسْطُ: أي الميزان، سُمي به من القسط: العدل، أراد أن الله يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده، وقيل: أراد بالقسط القسم من الرزق الذي هو نصيب كل مخلوق: وخفضه تقليله ورفعهُ تكثيره، والقسط الحصة والنصيب<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: معنى السُّبُحات:

السُّبُحات: جمع سُبُحة؛ وسُبُحات وجهه؛ جلاله ونوره. كما ذكر شيخ الإسلام: ونقل هذا المعنى عن الخليل وأبي عبيد<sup>(٢)</sup>، وهو المعنى الذي ذكر النووي إجماع أهل اللغة عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لمحمد بن أبي السعادات المعروف بابن الأثير، د.ط، د.ت، المكتبة العلمية، حرف القاف (باب القاف مع السين)، ج٤، ص ٦٠. وانظر: شرح النووي على مسلم، ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، مادة «قَسَطَ».

(٢) الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، ج٥، ص ٧٤.

(٣) قال النووي: «فالسُّبُحاتُ - بضم السين والباء ورفع التاء في آخره - وهي جمع سُبُحة. قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سُبُحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه». انظر: شرح النووي على مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله لا ينام وفي قوله حجاب النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

### ثالثاً: معنى الحجاب:

الحجاب: الحجاب هو الستر؛ يُقال توارت الشمسُ بالحجاب؛ أي غابت في الأفق واستترت به<sup>(١)</sup>، وَحَجَبَ الشَّيْءُ يَحْجُبُهُ حَجَبًا وَحِجَابًا وَحَجَبَهُ: سَتَرَهُ<sup>(٢)</sup>، فهو اسمٌ لما احْتَجَبَ به، وكل ما حال بين شيئين: حجاب<sup>(٣)</sup>.

كما أنه الحائل بين الرائي والمرئي<sup>(٤)</sup>، وهو المانع من الرؤية<sup>(٥)</sup>.

### رابعاً: في معنى النور والنار:

النار: جوهر لطيف مُحرق<sup>(٦)</sup>، وتُجمع النار على أنيار، وأصلها: أنوار، لأنها من الواو<sup>(٧)</sup>. والنار: معروفة، أنثى، وهي من الواو لأن تصغيرها نوية.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن

الأثير، د.ط، د.ت، المكتبة العلمية. حرف الحاء، باب الحاء مع الجيم ص ٣٤٠.

(٢) لسان العرب مادة «حَجَبَ».

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري تعليقاً على هذا الحديث الشريف، وقد ذكر

الشارح معانٍ تأويلية أخرى، لكن ما يهمنا هنا الحجاب بمعناه العام في أصل اللغة وقد

ذكره. وأما التأويلات التي ساقها فلا تتفق فيها معه. كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

(٥) بيان تلبيس الجهمية، ج٢، ص ١٤١٨.

(٦) معجم التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي،

د.ط، د.ت، دار الفضيلة، القاهرة. ص ٢٠١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٢٦ - ١٢٧.

وفي التنزيل العزيز: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]، قال الزجاج: جاء في التفسير أن من في النار هنا نور الله عزَّجَلَّ. قال ابن سيده: وقد تُدَكَّر النار<sup>(١)</sup>.

النور: في أسماء الله تعالى (النور)؛ هو الذي يبصّر بنوره ذا العماية، ويرشد بهداه ذا الغواية. وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور. فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً. والنور جسم وعرض وفي حديث الدعاء: «اللهم اجعل في قلبي نوراً...»؛ أراد ضياء الحق وبيانه<sup>(٢)</sup>. فالنور: الضياء، وهو ضد الظلمة. وفي المحكم: النور الضوء أيّ كان، والجمع أنوار ونيران<sup>(٣)</sup>.

فلاحظ من التعريفات السابقة معنى الترادف بين النار والنور في لغة العرب؛ وكلاهما له خاصية الضياء، كما أن جذرهما اللغوي مشتركٌ أيضاً؛ فبحسب كلام أهل اللغة تُجمع النار على أنيار وأصلها أنوار، والنور يُجمع نيران وأنوار. ثم النار تتسم طبعاً بخاصية الإحراق، وهذه الخاصية قد تتوفر في نورٍ شديد التوهج والحرارة.

(١) لسان العرب، حرف النون، مادة «نور».

(٢) النهاية في غريب الأثر، ص ١٢٥.

(٣) لسان العرب حرف النون، مادة «نور».

## المطلب الثاني

### المعنى الإجمالي للحديث

معنى الحديث الشريف؛ أن النبي ﷺ قام خطيباً في أصحابه مُذكراً بخمس كلمات، أي بخمس فصول، والكلمة لغة تطلق على الجملة المركبة المفيدة. فقال: «إن الله لا ينام»؛ إذ النوم لاستراحة القوى والحواس وهي على الله تعالى محال. «ولا ينبغي له»؛ أي لا يصح ولا يستقيم له النوم. فالكلمة الأولى دالة على عدم صدور النوم والثانية للدلالة على استحالته عليه تعالى.

«يخفض القسط ويرفعه»؛ أي أن الله يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده، كما يرفع الوزن يده ويخفضها عند الوزن، فهو تمثيل وتصوير لما يقدر الله تعالى وينزل، ويحتمل أنه أشار إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]؛ أي أنه يحكم بين خلقه بميزان العدل فأمره كأمر الوزن الذي يزن فيخفض يده ويرفعها وهذا المعنى أنسب من الذي قبله، كأنه قيل: كيف كان يجوز عليه النوم وهو الذي يتصرف أبداً في ملكه بميزان العدل. وقيل: أريد بالقسط الرزق؛ لأنه قسط كل مخلوق أي: نصيبه، وخفضه تقليله ورفعته تكثيره.

«يُرفع إليه»؛ أي للعرض عليه - وإن كان هو تعالى أعلم به-، ليأمر الملائكة بإمضاء ما قضى لفاعله جزاء له على فعله، ويُرفع ليحفظ إلى يوم الجزاء.

«قبل عمل الليل»؛ أي قبل أن يشرع العبد في عمل الليل، أو قبل أن يرفع العمل بالليل. والأول أبلغ لما فيه من الدلالة على مسارعة الكرام الكتبة إلى رفع الأعمال وسرعة عروجهم إلى ما فوق السموات.

«حجابُهُ»؛ الحجاب هو الحائل بين الرائي والمرئي، والمراد هاهنا هو المانع للخلق عن إبطاره في دار الفناء، أما الكلام عن دار البقاء فلا يرد أن الحديث يدل على امتناع الرؤية في الآخرة، وكذا لا يرد أنه ليس له مانع عن الإدراك. فكيف قيل حجابُه النور؟ يريد أن حجابُه على خلاف الحجب المعهودة فهو محتجب على الخلق بأنوار عزه وجلاله وسعة عظمتِه وكبريائه، وذلك هو الحجاب الذي تدهش دونه العقول وتذهب الأبصار وتتحير البصائر.

«لو كشفهُ»؛ أي لو رفع وأزال ذلك الحجاب وتجلي لما وراءه ما تجلى من حقائق الصفات وعظمة الذات «لأحرقَتْ سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»؛ أي: كل مخلوق انتهى إليه بصره تعالى، ومعلوم أن بصره محيط بجميع الكائنات مع وجود الحجاب فكيف إذا كُشف، فهذا كناية عن هلاك المخلوقات أجمع<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: حاشية السندي على ابن ماجه، ص ٨٥-٨٦.

## المطلب الثالث

### المباحث العقديّة المتعلقة بالحديث

#### أولاً: ما يتعلق بحجاب الرب ﷻ:

والكلام عن حجاب الرب ﷻ يتناول مسألتين:

#### ● المسألة الأولى: معنى الحجاب عند أهل السنة:

الحجاب عند أهل السنة؛ هو صفة لله ﷻ وهو حجابٌ حقيقي منفصلٌ عن العبد كما يليق بربنا ﷻ؛ يكشفه متى شاء كيف شاء<sup>(١)</sup>. وحقيقته أنه سترٌ الرؤية والإحراق، لا ستر العلم والقدرة والإدراك؛ يقول شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: «والحجاب في حق الله لا يصح إلا بالمعنى الثاني؛ فإن الله عَزَّجَلَّ لا يحجبُ شيء عن أن يرى عباده، ويشهدهم، وإنما يحجب العباد عن أن يروه، وأن تحرق سُبُحاتُ وجهه ما أدركه بصرُهُ من خلقه»<sup>(٢)</sup>.

وأما قولنا: «يكشفه متى شاء كيف شاء»؛ فنقصد بتلك الكيفية أنها قد تكون تجلياً كما في تجلي الرب سبحانه للجبل، فقد أورد ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ - عند تفسيره لآية التجلي الإلهي للجبل - عن ابن عباس وأنس بن مالك

(١) انظر: بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحم الله

الجميع -، تحقيق: د. راشد الطيار، د. ط، ١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف، المدينة المنورة. ج ٨، الصفحات من ٨٢ - ١٤٢.

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ١٥٤.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ ذَلِكَ التَّجْلِي كَانَ بِمَقْدَارِ طَرَفِ الْخَنْصَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، بِخِلَافِ مَا تَفِيدُهُ مَخْتَلِفِ النُّصُوصِ الَّتِي تَذَكُرُ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِرُؤْيَا رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ، فَالتَّجْلِي أَوْ كَشْفِ الْحِجَابِ هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَخْتَلِفٌ تَمَامًا عَنِ التَّجْلِي الَّذِي كَانَ لِلْجَبَلِ هَاهُنَا. وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (١).

فَاللَّهُ وَحْدَهُ تَبَارَكَ وَعَزَّ أَعْلَمُ بِكُنْهِهِ وَحَقِيقَتِهِ. - لَا كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُؤَوَّلَةِ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سِتْرَ الْأَبْصَارِ وَمَنْعَهَا مِنْ رُؤْيَا رَبِّهِ كَمَا سَيَمُرُّ مَعَنَا -، وَإِنَّمَا الْمَتَّبِعُ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ يَجِدُ كِلَا الْمَعْنِيَيْنِ قَدْ وَرَدَا فِي سِيَاقٍ وَمُنَاسَبَاتٍ ذَكَرْتَهَا تِلْكَ النُّصُوصِ الشَّرِيفَةِ، فَهُنَاكَ نُصُوصٌ تَذَكُرُ حِجَابَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَهَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا، وَكَقَوْلِ الْبَارِي تَبَارَكَ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَغَيْرَهُمَا. وَهُنَاكَ نُصُوصٌ تَذَكُرُ حِجَابَ اللَّهِ تَعَالَى لِبَعْضِ خَلْقِهِ عَنِ رُؤْيَا رَبِّهِ أَوْ احْتِجَابِهِ عَنْهُمْ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وَكَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَعَزَّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَبَارَكَ وَعَزَّ كَانَ مُحْتَجِبًا عَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَعَلَيْهِ فَالْحِجَابُ يَتَحَقَّقُ فِيهِ الْمَعْنِيَانِ؛ مِنْ احْتِجَابِ الْبَارِي تَعَالَى عَنِ خَلْقِهِ، وَحِجَابِ الْأَبْصَارِ عَنِ رُؤْيَا رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا لَا يَتَنَافَى مَعَ صِفَةِ الْحِجَابِ لِلَّهِ تَعَالَى، بَلْ إِنَّهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ لَصِفَةُ الْحِجَابِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَعَزَّ لَا يَتَبَادَرُ إِلَى

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحات.

الأذهان إلا ما اتخذهُ ﷺ من الستر بينه وبين خلقه على وجهٍ يليق به تعالى، وهذا هو الذي يتوافق مع فطرة العقل السوي.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «إن من تأمل نصوص الكتاب، وما ورد في ذلك من الآثار عن الصحابة والتابعين، علم بالضرورة علماً يقينياً لا يستريب فيه، أن الله عز وجل حجاباً، وحُجُباً منفصلة عن العبد يكشفها إذا شاء، فيتجلى، وإذا شاء لم يكشفها»<sup>(١)</sup>.

وإذا رجعنا إلى نص الحديث الشريف نجده يثبت أن ثمة حجاباً بين الله ﷻ وبين خلقه، وهذا أمرٌ ليس بممتنع عقلاً<sup>(٢)</sup>، إذا سلمنا بأن القوانين والأقيسة الإلهية تختلف في حقائقها ومسافاتهما عن تقديراتنا العقلية معاشر البشر والمخلوقين عموماً، وأنا هنا لا أعني الأقيسة أو المسافات المادية نهائية كانت أو لا نهائية، وإنما أقصد أن ثمة قوانين لا يمكن للبشر إدراك كنهها أو الإحاطة بها مهما بلغت قدراتهم العقلية من قوة التفكير ودقته واعتماده على العلم، إذ العقل البشري قاصر محدود بإمكانات وقدرات ليس له تجاوزها بحال، لذا فمن غير الممكن أن يحيط العقل البشري

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، الرد على تأسيس التقديس، ط ١، ١٤٢٩ هـ، الدار العثمانية للنشر، الأردن، ج ٢، ص ١٤١٩.

(٢) أقول هذا على سبيل المحاجة لأهل المعقول من المتكلمين الذي أولوا معنى حجاب الرب تبارك وتعالى لأنه ليس بسائغ عقلاً!، لا على سبيل التأسيس والاعتماد على العقل ودلالته ابتداءً. وإنما تسليماً لما ورد من النصوص المثبتة هو الأصل، ثم الإيضاح والبيان أن لا تعارض بينها وبين دلالة العقل خطوةً تالية.

الناقص القاصر بمن له صفات الكمال والجلال ﷻ، ولا أن يحيط المخلوق بالخالق عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

ولذلك نجد السلف الصالح رضوان الله عليهم يثبتون الحجاب للرب سبحانه وتعالى لوروده في النصوص الشرعية - ومن بينها هذا النص الشريف موضوع الدراسة -، فقد ذكر شيخ الإسلام أن نصوص الحجاب من الكثرة بمكان، فقال في معرض رده على الرازي: «أما ذكر الحجاب في الكتاب والسنة فأضعاف ما ذكره»<sup>(١)</sup>، كما حكى تواتر أحاديث الحجب، فقال: «وقد روي في الحُجب أحاديث وآثار، وإن لم تكن في الكتب المشهورة لكنها مما رواه العلماء أهل الحديث»<sup>(٢)</sup>.

و من مواقف أهل السنة أيضاً - على سبيل المثال - : الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ حيث يقول: «أما إطلاق الحُجب فقد صح أن حجابهُ النور، فنؤمن بذلك ولا نجادل بل نقف»<sup>(٣)</sup>، وكذلك قول الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «الحجاب ثابتٌ في صحيح مسلم» استناداً إلى هذا الحديث الشريف «حجابه النور»<sup>(٤)</sup>، وغيرهما من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) بيان تليس الجهمية، ج٢، ص ١٤٠٩.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ١٤١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للإمام أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ٩، ١٤١٣ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت. ج ١٤، ص ٢٣٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، د. ط، ١٤٢١ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١، ص ٥٦٨.

وعليه فنؤمن أن الله ﷻ حجاباً من النور أو النار كما ورد بذلك الحديث الصحيح الذي بين أيدينا، ووردت به النصوص الكريمة الأخرى، وأنه عزَّجَلَّ قد اتخذهُ سترًا بينهُ وبين خلقه.

### ● المسألة الثانية: معنى الحجاب عند المخالفين:

إننا إذا تأملنا أقوال أهل الكلام في نصوص الحجاب؛ نجدهم يردون ظاهر المعنى الذي اتفق عليه أهل السنة لشبهه عارضة مستندها الأساس هو الدليل العقلي، فعند المتكلمين لا يمكن اعتقاد احتجاب الله تعالى عن خلقه، ونظراً لذلك ساقوا عدداً من المعاني والتأويلات راّدين إطلاق الحجاب إلى المخلوقين لا إلى الخالق تبارك وعز، ومن تلك التأويلات:

#### أ- تأويل معنى الحجاب بإرجاع الضمير إلى المخلوق لا الخالق جل

وعلا:

(١) يقول ابن فورك: «اعلم أن كل ما ذكر فيه الحجاب من أمثال هذا الخبر فإنما يرجع معناه إلى الخلق؛ لأنهم هم المحجوبون عنه بحجابٍ يخلقه فيهم، لا يجوز أن يكون الله عز وجل محتجباً ولا محجوباً؛ لاستحالة كونه جوهراً أو جسمًا محدوداً؛ لأن ما يستره الحجاب أكبر منه ويكون متناهيًا محاذيًا عليه المماسّة والمفارقة، وما كان كذلك كانت علامات الحدث فيه قائمة».

ويستطرد: «فأما قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه"، فقد تأول أهل العلم ذلك منهم أبو عبيد، ذكر أن معنى "لو كشفها"

فقال: أي: لو كشف رحمته عن النار، لأحرقت سُبحات وجهه، أي لأحرقت وجه المحجوب عنه بالنار، والهاء عائدة في "سُبحات وجهه" إلى المحجوب لا إلى الله عز وجل؛ لأن هذا الوصف لا يليق به سبحانه لما ذكرنا أنه يستحيل أن يكون محجوباً أو محتجباً<sup>(١)</sup>، وإلى ذات المعنى ذهب الإمام القرطبي في قوله: «وبالحقيقة فالمخلوق المحجوب، والله لا يحجبه شيء»<sup>(٢)</sup>.

ويُرد على تأويل ابن فورك بإعادة الضمير إلى المخلوق في قوله ﷺ «سُبحات وجهه»، بما ذكره شيخ الإسلام من أوجه عدة، سأذكر بعضها وأضيف آخر، فيقول رَحْمَةُ اللَّهِ: «يقال هذا من أبطل الباطل من وجوه؛ أحدها: أن هذا تحريف للفظ الحديث، وهو أبلغ من تحريف معناه؛ فإن لفظ الحديث «حجابه النار، أو النور لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه كل ما أدركه بصره»، وهذا التحريف نظير قراءة من قرأ من الجهمية ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وجعل موسى هو المكلّم الذي كلم الله عزَّوَجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

الثاني: لو كانت السُّبحات محرقه وكانت منصوبة - إذ الضمير في وجهه عائد إلى المخلوق - لكان قوله بعد ذلك: «كل ما أدركه» كلامٌ باطل<sup>(٤)</sup>،

(١) مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: موسى

محمد علي، ط ٢، ١٩٨٥م، عالم الكتب، بيروت. ص ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٥٩.

(٣) بيان تلبس الجهمية، ج ٨، ١٥٠.

(٤) انظر: بيان تلبس الجهمية، ج ٨، ١٥١.

حيثُ تعود جميع الضمائر الواردة في الحديث الشريف إلى الله عَزَّجَلَّ، فإعادة هذا الضمير دون غيره إلى العبد -حسب مذهب المتكلمين-؛ فضلاً عن كونه إخلالاً بالمعنى، فإنه يُبطل سائر المعاني الواردة والظاهرة من سياق الحديث.

الثالث: أنه قال «حجابُ النور»، والضمير عائد إلى الله لا إلى العبد، لأن العبد لم يجر له ذكر، فإنه قال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعملُ النهار قبل عمل الليل، حجابُ النور، لو كَشَفَهُ لأحرقَتْ سُبحاتُ وجهه ما أدركه بصره من خلقه»، وعلى ما ذكره لا يكون الضمير إلا إلى العبد كما صرحوا بذلك!<sup>(١)</sup>، وهذا من لوازم قولهم أن يُعاد الضمير في سائر الحديث إلى العبد لا إلى الله تعالى، ولا يخفى ما في هذا المعنى من البطلان البيّن الظاهر.

الرابع: «أنه لا يصح عود الضمير إلى العبد عندهم، لأنه لا يحجبه نور ولا نار أصلاً، وإنما الحجاب: عدم خلق الرؤية، أو ما يمنع الإحسان»<sup>(٢)</sup>، وهذا منحيّ إلزامي من شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللهِ، فمن تأمل تأويلاتهم المتناقضة يجدها يُفسدُ بعضُها البعض.

الخامس: أنه قال «حجابُه النور أو النار لو كشفها»، لم يقل لو كشف عنها، وكشف الشيء إزالته ورفعها، والكشف عنه إظهاره، كما قال في

(١) المرجع السابق، ج٢، ص١٤٢٦

(٢) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

الحديث الآخر: «فيكشف الحجاب فينظرون إليه». ولو أراد ذلك المعنى لقال لكشف عنها<sup>(١)</sup>، وهذا ملحظٌ دقيقٌ من شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ وَالزَّامُ لأهل الكلام بدلالة اللّغة.

السادس: أن قولهم: «ما ستره الحجاب فالحجاب أكبر منه» ليس بسديد.. فلا يُشترط أن يكون الحجاب أكبر، فإن الشيء الصغير إذا وُضع قريباً من عيني المرء حجه أن يرى شيئاً من الأشياء، والشيء الكبير إذا كان بعيداً من الرائي حجه ما هو أصغر منه بكثير، كما يحجب الشمس سحابة، وإن كانت الشمس بقدرها مرات لا يعلمها إلا الله تعالى، فمن أين يجب أن يكون أكبر منه؟<sup>(٢)</sup>. وهنا استشهادُ شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ بِدلالة الواقع التي لا ينكرها العقل بحال.

كما وضح رَحْمَةُ اللَّهِ مذهب أهل السنة في رده على زعم المماسّة، فقال: «وما ذكروه غلط لأننا لما بيننا أننا نثبت حجاباً لا يفضي إلى التناهي والمحاذاة والمماسّة، كما أثبتنا رؤيته لا على وجه التناهي والمحاذاة»<sup>(٣)</sup>.

وأضيف: «لأحرق سبحات وجهه»، إضافة الضمير إلى المخلوق واضحة البطلان، لأنه سيكون السياق حينئذٍ: «لأحرق سبحات وجه المخلوق». إن كان المراد أنها تحرق فهذا غير صحيح، وقد رد شيخ الإسلام على ذلك. وأضيفُ إلى ما أورده: أنه ما كلُّ المخلوقات ذوات

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ١٤٢٧.

(٣) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

أوجهٍ لنجعل لها سُبحات! فضلاً عن أن ننسب إليها أنواراً فاعلةً بالإحراق!!، فكيف بالجبال والشجر، وغير ذلك مما علمه عند الباري سبحانه؟!، فيتعين إذن أن المراد سبحات وجه الرب سبحانه.

وكذلك: لو كان المراد وجه المخلوق، لتعددت الأوجه ولما كان للحديث أن يأتي بلفظ المفرد، فدلالة اللغة هاهنا فصل. كما أن السياق الوارد فصلٌ كذلك، إذ الضمائر السابقة في أول الحديث، تعود إلى الباري سبحانه، فكذلك هذا الضمير يعود إلى الخالق سبحانه، ويرادُ به سُبحات وجهه تبارك وعز.

### ب- تأويل معنى الحجاب بأنه آيات الله ودلائله:

(٢) وقال بعضهم - والحديث لابن فورك -: تُحمل إضافة الحجاب إليه تعالى من طريق الجعل والخلق، وهو أن جعل الخلق محجوباً به لأنه يُحتجب به، فإن قالوا فعلى ماذا تحملون ما رُوي عن ابن عمر؟! (١) قيل قد ذكر بعض أهل العلم في ذلك تأويلاً؛ أن الله عرّفنا نفسه بآياته ودلائله، فقال له آيات ظهرت للخلق فكانت معرفتهم به كمعرفة العيان.

ثم عضد مسلكهم بتأويل الثلجي الذي أورده بهذا المعنى ورد عليه،

(١) الحديث الذي يرويه مجاهد عن ابن عمر رحمهما الله - وهو أثرٌ حسن -: «احتجب الله من خلقه بأربع بنايرٍ ونورٍ وظلمة ونور»، وفي بعض الروايات «بنايرٍ وظلمة ونورٍ وظلمة». انظر: بيان تلبيس الجهمية، ج٨، ص ١١١-١١٦، والإمام أبي عثمان بن سعيد الدارمي في نقضه على المعارض.

فقال: وقال محمد بن شجاع الثلجي: «معنى احتجب بالنار أي خلقها دون تلك الدلالات التي تُبهر العقول وتدل على معرفته حتى تصير كمعرفة العيان»، وهذا الخبر إذا حُمل على تأويل الثلجي كان معنى الاحتجاب عن الخلق أنه جعل دلالة فوق دلالة، ودلالة أظهر من دلالة، ويُرجع في التحقيق إلى ما قلنا أنه يحجب الخلق بما يخلقه فيهم من موانع المعرفة والربوبية لا أنه يحتجب احتجاب استتار كالأستار بالأجسام الحاوية لما يُحيط بها ويكتنفها<sup>(١)</sup>.

ورداً على هذا التأويل؛ بأن المراد بالهجب هي الآيات والدلائل يقول الإمام أبو سعيد الدرامي: فيقال لهذا المعارض: عمن رويت هذا التفسير ومن ادعى قبلك أن حجب الله آياته التي احتجب بها؟! فما معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]؟ أمعناه عندك من وراء الدلالات والعلامات؟! أم قوله: كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون؛ أمعناه عندك من وراء الدلالات والعلامات؟ أم هو عندك أن لا يروا يومئذٍ آياته ودلائله ولا يعرفوا يومئذٍ أنه الواحد المعروف بالوحدانية؟ وأنه ليس أحدٌ يوم القيامة في دعواك عنه محجوب؛ لما أن كلاً يرى يومئذٍ دلالاته وعلاماته وآياته وكلٌ يعرف يومئذٍ أنه الواحد الأحد، فما هو موضع الحجاب يومئذٍ وكيف صارت تلك الدلالات من نارٍ ونور وظلمة؟ وما يُصنع بذكر النار والظلمة هاهنا في الدلالات والعلامات؟!<sup>(٢)</sup>

(١) انظر: مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك، ص ٢١٦، ٢١٧.

(٢) انظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدرامي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي،

وهذه تساؤلات منطقية عقلانية تُظهر عوار تلك التأويلات الفاسدة التي جنح إليها أهل الكلام عموماً والرازي على وجه الخصوص. وكما يقول شيخ الإسلام: فإن «نفس الدليل الذي يحتج به المبطل هو بعينه إذا أُعطي حقه، وتميز ما فيه من حق وباطل، وبُيّن ما يدل عليه تبين أنه يدل على فساد قول المبطل المحتج به في نفس ما احتج به عليه»<sup>(١)</sup>.

### ج- تأويل معنى الحجاب بأنه منع وصول آثار إحسانه وفضله:

(٣) ذهب الرازي إلى أن معنى الحجاب: محمولٌ على أن الله تعالى لا يخلق في العين رؤية متعلقة به، وعند من ينكر الرؤية محمولٌ على أنه تعالى يمنع وصول آثار إحسانه وفضله من إنسان<sup>(٢)</sup>، وقد استدل صاحب إيضاح الدليل على هذا المعنى بمنع الكافرين عن رؤية ربهم يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].<sup>(٣)</sup>

أما صاحب مرقاة المفاتيح فيفسر الحجاب الوارد في الحديث بقوله: «وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائي والمرئي وهو هنا يرجع إلى منع الأبصار من الإصابة بالرؤية، فهو كناية عن منع رؤيته تعالى في الدنيا أو عن

ط ١، ١٤١٨ هـ، مكتبة الرشد، السعودية، ج ٢، ص ٧٤٩.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٦، ص ٢٨٨.

(٢) أساس التقديس في الكلام لفخر الدين أبو عبد الله الرازي، ط ١، ١٤١٥ هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. ص ٨١.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، ط ١،

١٤١٠ هـ، دار السلام للطباعة والنشر، مصر. ص ١٨٨.

الإحاطة بذاته في الدنيا والعقبى»<sup>(١)</sup>.

وهذا القول الذي ذكره صاحب المرقاة صحيحٌ من جانب أن منع الأبصار من الرؤية هو أحد معاني الحجاب، وكذلك ما ذكره من استحالة الإحاطة بذات الباري تعالى في الدنيا والآخرة فهذا المعنى صحيحٌ أيضاً، لكن الخطأ كل الخطأ في قصر معنى الحجاب على منع الأبصار فقط وحصره فيه فحسب، لما في ذلك من المعارضة للنصوص الصحيحة الثابتة.

فيُردُّ على ذلك بأنه لا تنافي بين معنى الحجاب الذي أورده بعض المتكلمين بمعنى منع الرؤية عن العباد بعدم خلق الإدراك في أبصارهم وبين ثبوت الحجاب حقيقة لله رب العالمين، فالأول أمرٌ والآخر أمرٌ ثاني وكلا الأمرين مستقلٌ بعضهما عن بعض. وإلى الأول يشير قوله سبحانه: ﴿فَبَصُرُكُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، وقوله ﷺ حين قال في مَعْرِضِ خطبته عن الدجال في الحديث الذي صححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «..وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»<sup>(٢)</sup>، وإلى الثاني تشير نصوص الحق المثبتة لحجاب الباري سبحانه.

ولعل الأمر يتضح بما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ حيث يقول: «وفي جانب الربوبية يكون بكشف حُجْبٍ ليست متصلة بالعباد كما قال النبي ﷺ: "حجابُهُ النور أو النار لو كشفهُ لأحرقَت سُبحات وجهه ما أدركهُ بصره من خلقه"، فهي حُجْبٌ تحجب العباد عن الإدراك كما يحجب الغمام

(١) علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ط ١، ١٤٢٢ هـ، دار الكتب

العلمية، بيروت. ج ١، ص ٢٦٦.

(٢) صحيح الجامع رقم (٢٤٥٩)، وقال حديثٌ صحيح.

والسقوف عنهم الشمس والقمر، فإذا زالت تجلت الشمس والقمر... ويدل على ذلك الحديث الصحيح: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن يُنجزكموه فيقولون: ما هو؟! ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟!، قال: فيُكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة" (١).

كما أن دلالة الكشف في قوله ﷺ «لو كشفه»؛ صريحة في إثبات وجود ما يحتاج إلى الكشف والرفع وهو الحجاب، ولا مجال هاهنا لتأويل هذه اللفظة الصريحة، وهي ترد على سائر التأويلات التي اقتضت على تناول المعنى اللغوي وهو «المنع»، وعليه فالكشف لا يكون إلا لما هو ساتر، وأما ما لا وجود له أصلاً فكيف يكون كشفه؟! يقول شيخ الإسلام: «إن ألفاظ الحديث صريحة في الحجاب المانع من الرؤية، كقوله ﷺ: "فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهو الزيادة"، وفي رواية "فيتجلى لهم" ولا يجوز تفسير النظر هنا بالإحسان لقوله: "فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه"؛ ولأن اقتران كشف الحجاب بالنظر صريح في الرؤية» (٢)؛ فهذا من جانب.

ومن جانبٍ آخر أن التأويل الذي ذهب إليه أهل الكلام يقتصر على معنى جزئي يتعلق بعدم خلق الرؤية والإدراك في أبصار الخلق وهذا لا يقوم

(١) مجموع الفتاوى، ج٦، ص ١١.

(٢) بيان تلبس الجهمية، ج٢، ص ١٤٢١.

مقام الكشف، فهو وإن كانت الصحة تواتيه من جانب إلا أن صراحة النصوص تعارضه من أكثر من جانب.

ولشيخ الإسلام هاهنا ملحظٌ موفقٌ ودقيق - وهو ما ذكرناه آنفاً<sup>(١)</sup> -، ويستند إلى دلالة اللغة، حيث يقول رَحِمَهُ اللهُ: «الوجه الثاني: أنه قال: "حجابه النور أو النار لو كشفها"، لم يقل لو كشف عنها، وكشف الشيء إزالته ورفعها، والكشف عنه إظهاره...»<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد ما ذكرناه من لازم الكشف، قصة تجلي<sup>(٣)</sup> الرب سبحانه للجبل حين طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الرؤية، والتجلي لا يكون إلا لمحبوبٍ متواري، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

كما أن المقصود بكشف الشيء إزالته، أو رفعه، وهذا لا يُوصف به المعدوم، فإن المعدوم لا يزال ولا يُرفع وإنما يُزال ويرفع الموجود، ومنه

(١) انظر: ص ٩ من هذا البحث.

(٢) بيان تلبس الجهمية، ج ٨، ص ١٥٠.

(٣) التجلي جزء من معاني الكشف، ففي اللغة: جَلَّى الأمر جلاء أي كشفه، وجَلَّى النهار الظلمة أي كشفها، وجَلَّى الهم والأمر عنه أي كشفه كذلك. وعليه فمعنى تجلي الرب سبحانه للجبل، إذا أخذنا في الاعتبار ما تقدم من أدلة تثبت صفة الحجاب له تبارك وتعالى، لا يفيد إلا الكشف بمعنى جزئي وهو ما فسر به بعض الصحابة - كابن عباس وأنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ - الآية الكريمة، من أنه كان بمقدار طرف الخنصر. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ،  
وقوله سبحانه: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾ [النمل: ٦٢] (١).

### ● شبه الإشكال في معنى الحجاب عند المتكلمين:

إننا إذا تأملنا ما أورده المتكلمون من تأويلاتٍ لمعنى الحجاب المذكور في الحديث خصوصاً والحجب بعموم، نجد أنهم إنما سلكوا ذلك السبيل لشبهة أساسية؛ وهي تنزيه الله عن الجسمية؛ فجعلوا معاني الحجاب عائدة إلى الخلق لا الخالق عَزَّجَلَّ، وقد اختلفت تعبيراتهم في ذلك:

(١) فذهب البعض إلى أن معنى حجاب الله ﷻ مجازي، حيث يلزم من إثباته حقيقة إثبات معاني الاحتواء والاستتار التي هي من صفات الأجسام عندما تكون محجوبة، وهذا المنحى يُمثله ابن فورك ومن سار على نهجه كما مرَّ آنفاً وكما سيأتي.

(٢) وذهب البعض إلى أن معنى الحجاب هو وصول آثار إحسانه للخلق؛ لأن الحجاب في حقيقته -عندهم- هو الجسم المتوسط بين جسمين، ويلزم منه أن يكون أكبر من المحجوب وإلا لم يستره؛ فقاوسوا على حجب الدنيا مما أفضى بهم إلى تأويل معنى حجاب الرب عَزَّجَلَّ، وهذا المنحى يُمثله الرازي وصاحب إيضاح الدليل كما سيأتي.

(٣) وذهب بعض آخر إلى أن معنى الحجاب هو عدم الإدراك أو منع الأبصار من الرؤية، لأن إثبات الحجاب يلزم منه إثبات المحدودية التي هي

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية، ج ٨، ص ١٢١.

من صفات الأجسام، وهذا المنحى يمثله رأي النووي وصاحب مرقاة المفاتيح.

والحق أن من تأمل آراء المتكلمين بشأن ما جنحوا إليه من التأويلات المختلفة، يجد أن السبب فيها واحد، حيث قاسوا على حُجب الدنيا، وإن تفرعت تنظيراتهم وتعليلاتهم في ذلك. فالاحتواء، والتوسط، والإحاطة، والكبر، والمماسة، والمحادة المكانية؛ كلها معانٍ تشتمل عليها حُجب الدنيا.<sup>(١)</sup>

يقول الرازي: «وحقيقة الحجاب بالنسبة إلى الله تعالى محال؛ لأنه عبارة عن الجسم المتوسط بين جسمين آخرين»<sup>(٢)</sup>، وكذلك صاحب إيضاح الدليل رَحْمَةُ اللَّهِ حيث قال: «اعلم أن كل ما جاء في الحديث من الحجاب أو الحجب فمعناه راجعٌ إلى المخلوق لا إلى الخالق تعالى.. وأما الرب تعالى فيستحيل أن يكون محتجباً أو محجوباً؛ لأن الحجاب أكبر من المحجوب، وإلا لم يستره»<sup>(٣)</sup>.

(١) هذه الخصائص التي فهمها المتكلمون من معنى الحجاب، وبنوا على ذلك أن الحجاب لا يكون إلا للأجسام، وكما هو معلوم أن ضابط تنزيه الباري سبحانه - عند المتكلمين - قائمٌ على نفي الجسمية والتشبيه عنه تعالى. ومعلومٌ أيضاً أن النصوص المقدسة الشريفة لم تورد ذلك اللفظ - أعني الجسمية -، وإنما هو مما استُحدث لدى المتكلمين مؤخراً نتيجة تأثرهم بالفلاسفة وأهل الأهواء من مختلف النحل والملل التي انفتح عليها المجتمع الإسلامي آنذاك.

(٢) أساس التقديس، ص ٨١.

(٣) ص ١٨٨. وهذان القولان - أقصد كلام الرازي وابن جماعة - يمثلان مذهب الأشاعرة.

وينبني على هذا القول أن لا حقيقة لحجاب الرب تعالى وإنما المراد المنع المجازي وهذا ما يوضحه بجلاء كلام ابن فورك الذي ساقه حكايةً عن أهل الاعتزال: «.. ولذلك عطلت المعتزلة في قولهم: إن الباري سبحانه لا يُرى؛ لأجل أنه لو كان مرئياً لرأيناه الساعة لارتفاع الحجاب والبعد واللطافة والرقّة، وذلك أن ما قالوا أنه حجابٌ ومنع فليس بحجابٍ ولا منع على الحقيقة وإنما يُطلق عليه مجازاً لأجل أن المنع يحدث عنده».. ويعقب: «فعلى ترتيب تأويل هذه الأخبار الواردة بلفظ الحجاب ويُحقق أن الله عز وجل لا يصح أن يكون محجوباً على الحقيقة، وإنما هو مانعٌ خالقٌ للحجاب، فيُضاف الحجاب إليه على معنى أنه جعله حجاباً لمن حجبه به من طريق الفعل لا من طريق الاستتار والاحتواء عليه»<sup>(١)</sup>.

فعند التحقيق مؤدى القولين واحد وهو إفادة معنى النفي، والخلاف فيمن يُضاف إليه المعنى عند كلا الفريقين، فالأشاعرة يرون الحجاب بمعنى عدم خلق الرؤية بأعين الخلق، والمعتزلة يرون معناه منع الباري تعالى خلقه من رؤيته بطريق الفعل منه عز وجل لا الاستتار الذي يتضمن معاني الاحتواء.

وقد رد شيخ الإسلام على هذه الدعوى بقوله: «إن من تأمل نصوص الكتاب، وما ورد في ذلك من الآثار عن الصحابة والتابعين علم بالضرورة علماً يقيناً لا يستريب فيه، أن الله عز وجل حجاباً، وحجباً منفصلة عن

(١) مشكل الحديث وبيانه، ص ٢١٨.

العبد، يكشفها إذا شاء، فيتجلى، وإذا شاء لم يكشفها، وإذا كان الحجاب هو الجسم المتوسط بين جسمين فلازم الحق حق. لا يُمكن أن يُدفع ما عُلم بالاضطرار من دين المرسلين بمثل نفي هذا الكلام الذي قد تبين أن نفيه من فاسد الكلام، وأن الحُجة لمثبته أقوى منها لنفيه في الفطرة والشريعة والنظر والخصام»<sup>(١)</sup>.

والمقصود أن المعهود الذهني في معنى الحجاب، والمعلوم من لغة العرب؛ لا ينفك عن معنى توسط جسم أو ستر مانع بين شيئين، وجاءت الأحاديث والنصوص تُثبتُ للرب سبحانه وتعالى حجاباً؛ دون تعرض لمثل ما ورد من أقاويل أهل الكلام، فلا يُدفع ما عُلم من الدين بالضرورة لتلك الأوهام العقلية التي اخترعها أهل الكلام وليس لها في الشرع أي مُستند، وإنما المعوّل عليه ما هو معهودٌ في الأذهان من المعاني التي أقرتها لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، والفطر السوية تُقرُّ بذلك وتعترف دون أدنى اعتراضٍ أو معارضة.

ويقول رداً على دعوى تنزيه الرب ﷻ عن الجسمية: «... قد تقدم أنه ليس في العقل، ولا في الشرع ما ينفي الجسم، وأن إطلاق القول بأن الله عز وجل ليس بجسم، ولا جوهر بدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها، بل ذلك أعظم ابتداءً من القول بأنه جسم وجوهر، وإذا كان هذا النفي بدعة باطلة: لم يكن ذلك معارضاً لما ثبت بالكتاب والسنة»<sup>(٢)</sup>.

(١) بيان تلبس الجهمية، ج٢، ١٤١٩.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ١٤١٩.

أوجهٌ أخرى من الرد:

١ / أن المعنى المستفاد من الدلالة اللغوية للحجاب هو الستر والمنع، بقطع النظر عن مطلق الكيفية التي اكتسبناها بطريق الخبرة الحسية لنا معاشر البشر - كالكبر والمماساة والاحتواء - ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين الحجب المعهودة لنا وبين حجاب الرب تبارك وتعالى، كما لا وجه لمقارنة ذاته القدسية بأي ذاتٍ أخرى. وكما هو معلوم بالضرورة من الدين وفق الأثر الشريف الذي يقرر أنه ليس في الجنة مما في الدنيا شيءٌ إلا الأسماء<sup>(١)</sup>؛ إذ البون شاسع بين حقائق الدنيا وحقائق الآخرة، وكلاهما مخلوق - فكيف بالخالق سبحانه خالق الكل وموجده؟! لذا فالحجاب حقٌ ثابت ومعناه يفيد الستر والمنع لكن الكيفية الرب أعلم بها.

لذا نجد التساؤل الاستنكاري الذي أورده شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ حول ما ذكره ابن جماعة وغيره من أوصاف الحجاب، ومنها الكبر، فيقول رَحِمَهُ اللهُ: «من أين يجب أن يكون أكبر منه؟!»<sup>(٢)</sup>.

وهو تساؤل على قدرٍ كبير من المنطقية، وعليه فإن قالوا علمنا ذلك مما أحدثته التجربة عندنا!، قلنا ليست التجربة والخبرة الحسية عندنا مقياسٌ لما وراء الغيب، خصوصاً وقد حكا الأثر بأن ليس في الجنة مما في الدنيا شيء سوى الأسماء، هذا في شأن المخلوقين، فكيف بالخالق تبارك وعز، فاعتقاد

(١) يروى هذا الأثر عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. انظر: تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، د. ط، ١٤٠٥ هـ، دار الفكر، بيروت، ج١، ص ١٧٢.

(٢) بيان تلبس الجهمية، ج ٨، ص ١٥٤.

ذلك يتأكد ضرورة<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثم يوضح رَحْمَةُ اللَّهِ تَهافت هذا الزعم بقوله: «والتحقيق أن قولهم: ما ستره الحجاب فالحجاب أكبر منه ليس بسديد، سواء كان الحجاب يحجب الشيء عن أن يراه غيره، أو يحجبه أن يرى غيره،... فإن الشيء الصغير إذا وُضِعَ قريباً من عينه حجبهُ أن يرى شيئاً من الأشياء، والشيء الكبير إذا كان بعيداً من الرائي حَجَبَهُ ما هو أصغر منه بكثير، كما يحجب الشمس سحابة، وإن كانت الشمس بقدرها مرات لا يعلمها إلا الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

وحول هذا المعنى – أي المفارقة بين مدركاتنا الحسية وبين صفات الباري سبحانه – يقول الإمام ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: «وحجاب الرب تبارك وتعالى نور وهو نار وهذه الأنواع كلها حقيقة بحسب مراتبها، فنور وجهه حقيقة لا مجاز، وإذا كان نور مخلوقاته كالشمس والقمر والنار حقيقة فكيف يكون نوره الذي نسبة الأنوار المخلوقة إليه أقل من نسبة سراجٍ ضعيف إلى قرص الشمس، فكيف لا يكون هذا النور حقيقة؟!»<sup>(٣)</sup>.

ولو أردنا أن نعقد نوعاً من المقارنة البسيطة بالنظر إلى المعنى المكتسب لدينا، عن مفهوم الحجاب سنقول – والله تبارك وتعالى المثل

(١) أقصد اعتقاد مغايرة الصفات الإلهية لصفات المخلوقين فيما عدا الأسماء.

(٢) بيان تلبس الجهمية، ص ١٤٢٧.

(٣) مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية المعطّلة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن

قيم الجوزية، د. ط، ١٤٢٢ هـ، دار الحديث. ج ١، ص ٤٢٤.

الأعلى - بحسب تجاربنا فالحجاب يحجب المحجوب عن الرؤية والإدراك، وهذا يمتنع في حق الباري سبحانه إذ هو مطلع على عباده ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وهذا المعنى يمهد للمغايرة في سائر سمات الحجاب حتى لا يبقى غير المسمى والمعنى الذي يفيد وهو الستر، تأكيداً على القاعدة المذكورة سابقاً والتي تؤكد النصوص الكريمة كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فيدخل في ذلك المعنى جميع الصفات الإلهية، ومنها صفة الحجاب. ليس بينها وبين صفات المخلوقين غير مقدار التشابه في المسميات فحسب.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في معرض بيانه لصفة حُجب الباري سبحانه: «.. وأما حجبها لله عن أن يرى ويُدرك فهذا لا يقوله مسلم، فإن الله لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وهو يرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة السوداء، ولكن يحجب أن تصل أنواره إلى مخلوقاته كما قال: "لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه"، فالبصر يدرك الخلق كلهم وأما السبحات فهي محجوبة بحجابه النور أو النار»<sup>(١)</sup>.

فالحجاب ثابت، وقد يكون «نوراً يحجبه عن خلقه، كما قال ﷺ في الحديث: "حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"»<sup>(٢)</sup>، وكما ورد في خبر آخر يُفهم أن لذلك النور عدداً أو

(١) مجموع الفتاوى، ج٦، ص ١١.

(٢) دقائق التفسير لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: محمد الجليند، ط٢، ١٤٠٤هـ، مؤسسة

مراتب، وليس شيئاً واحداً، فقد جاء فيه: «حجابه النور لو كشف طبقه لأحرق سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره»<sup>(١)</sup>، والطبق كما يبين صاحب النهاية في غريب الأثر: كل غطاء لازم على شيء<sup>(٢)</sup>.

وبناءً على ما سبق فإن حجاب الباري سبحانه ثابت حقيقة بدلالة النصوص الشريفة التي دلت عليه صراحةً، وعليه فليس لنا إلا التسليم والإيمان بما ورد به النص دون إعمال عقل في كيفية ذلك، لأن محاولة الإحاطة بعلم ذلك محال حيث يقول الباري تقدس: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وليست محاولات التأويل ليتفق ذلك مع دلالة العقل القاصرة إلا محاولة للإحاطة!، من هنا ندرك فقه من قال: «العجز عن درك الإدراك إدراك»<sup>(٣)</sup>.

علوم القرآن، دمشق، ج ٢، ص ٤٨٢.

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه بلفظ «لو كشف طباقها»، وقال صحيح الإسناد.

(٢) ج ٣، ص ١١٣.

(٣) معنى العبارة كما يفهم منها؛ أن إدراك المرء وعلمه بقصور عقله عن إدراك كنه ما لا يستطيع إدراكه، وبالتالي توقفه في ذلك بعدم إقحامه فيما ليس له أن يخوض فيه، هو في حد ذاته إدراك يُحمد لصاحبه لا وصف نقص أو ذم. -فتعني ضمناً إقراراً بالجهل بما لا يُدرك-. وقد نسبت العبارة لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في عدد من كتب أهل العلم، في حين أن شيخ الإسلام يذكر -وهو من أعلام المحققين- أن هذه العبارة لم تُحفظ عن الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقول: «قال -يقصد ابن عربي-: فمننا من جهل في علمه فقال: العجز عن درك الإدراك إدراك وهذا الكلام مشهور عندهم نسبتهم إلى أبي بكر الصديق فجعله جاهلاً وإن كان هذا اللفظ لم يحفظ عن أبي بكر ولا هو مأثور عنه في شيء من النقول

## ثانياً: ما يتعلق بصفة الوجه:

وأما الوجهُ الأكرم: فأهل السنة والجماعة يُثبتون صفة الوجه لله سبحانه وتعالى - كما يليق به تبارك وعز -، يقول شيخ الإسلام: «ومما تعرف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهاً»<sup>(١)</sup>.

فلله تبارك في علاه وجهٌ حقيقيّ يليق به، كما أخبرنا بذلك سبحانه في محكم تنزيله، وهو وحده تبارك أعلم بذاته من غيره، ونحن نؤمن بذلك إيماناً جازماً بتصديق لا يخالجه أدنى ريب تصديقاً لخبره سبحانه دون تكييف أو تأويل أو تعطيل، قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال عز من قائل سميع عليم: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال عز وجل:

المعتمدة وإنما ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر نحواً من ذلك عن بعض التابعين غير مسمى وإنما يرسل عنه إرسالا من جهة من يكثر الخطأ في مراسيلهم». مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٢، ص ٢١٥.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٥، ص ٧٤. والقاعدة التي عليها أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، كما يذكر شيخ الإسلام رَحْمَهُ اللهُ أَنْ «يُثَبِّتَ اللهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَيُنْفِي عَنْهُ مِمَّا ثَلَاةَ الْمَخْلُوقَاتِ وَيُعَلِّمُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ: لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا أَعْفَالِهِ. فَهَذَا مُصِيبٌ فِي اعْتِقَادِهِ مُوَافِقٌ لِسَلْفِ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتِهَا. فَإِنْ مَذْهَبُهُمْ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ». مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٥، ص ٢٦٣.

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].  
وقال سبحانه: ﴿إِلَّا بُنْعَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠]. وغيرها من الآيات  
الكريمة.

### ثالثاً: ما يتعلق بتردد الرواية بين النور والنار:

من أهم الإشكالات التي ترد في أذهان كثير من الناس عند ذكر هذا  
النص الشريف، توهم أن ثمة تعارض بين معانيه حيث ورد ذكر حجاب  
الرب سبحانه تارةً بلفظ النور وتارةً بلفظ النار، والحق أنه لا تعارض البتة في  
معنى الحديث كما بين ذلك علماؤنا الأجلاء الثقات رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وإنما الأمر  
عائدٌ إلى قصور أفهامنا معاصر البشر عن إدراك الفهم السليم للنص والذي  
يزول به الإشكال ووهم التعارض. وسنبين فيما يلي معنى كلٍّ منهما بحسب  
اللغة.

إذا تأملنا لفظي النور والنار نجد أن من العلماء من يجعلونهما من قبيل  
المترادفات المعنوية، كالإمام القرطبي الذي ذهب إلى أن المقصود بالنار -  
في هذا الحديث- هو النور ذاته وإنما ذكر بلفظ النار لأن العرب تجعلهما  
من قبيل المترادفات اللفظية، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض تفسيره لقوله تعالى:  
﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [النمل: ٧]: «.. فكانت النار نوراً وإنما  
ذكره بلفظ النار لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حسبه ناراً والعربُ تضع أحدهما  
موضع الآخر»<sup>(١)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، د. ط، د. ت، دار الشعب،

وكذلك شيخ الإسلام الذي يفيد كلامه معنى الترادف أيضاً حيث يقول: «فإن تردد الراوي في لفظ النار والنور لا يمنع ذلك، فإن مثل هذه النار الصافية التي كَلَّمَ بها موسى يُقال لها نارٌ ونورٌ كما سَمَى اللهُ نارَ المصباح نوراً بخلاف النار المظلمة كنار جهنم فتلك لا تُسمى نوراً، فالأقسام ثلاثة؛ إشراق بلا إحراق وهو النور المحض كالقمر، وإحراق بلا إشراق وهي النار المظلمة، وما هو نارٌ ونورٌ كالشمس ونار المصابيح التي في الدنيا تُوصف بالأمرين»<sup>(١)</sup>.

وعليه فوفق هذا المعنى الذي ذكره شيخ الإسلام والقرطبي من قبله؛ يُراد بالنار في الحديث الشريف تلك الصافية المشرقة التي لا تحرق وهي نورٌ في ذات الوقت، وبهذا يكون المعنى واحداً - أي معنى النار والنور الواردين في الحديث - إذ لا فرق بينهما من حيث الإضاءة واشتداد وهج الإنارة.

غير أننا إذا أخذنا في الاعتبار بعض النصوص التي جمعت بين ذكر النار والنور في روايةٍ واحدة، فيستفادُ من ذلك أن اختلاف لفظتي الحديث حول ماهية الحجاب قد لا يكون بسبب تردد الراوي كما ذكر شيخ الإسلام، وإنما قد يكون اللفظان كلاهما مما ورد عن النبي ﷺ، والله ﷻ أن يحتجب بما شاء، كما له أن يكشف ذلك الحجاب متى شاء أيضاً.

---

القاهرة. ج ١٣، ص ١٥٩.

(١) مجموع الفتاوى، ج ٦، ص ٣٨٧.

فسواءً كان المعنى ما أورده الإمام القرطبي أو خلافه فالعبرة بأنه لا إشكال ولا تعارض بين اللفظتين مع اتفاق الحقائق، فالنار نورٌ وفق القسم الثالث الذي ذكره شيخ الإسلام. فإن فقدت الإحراق الذي هو من أبرز خصائصها كانت نوراً محضاً وإن اختلف الإطلاق والتسمية، ولعل هذا ما عناه الإمام القرطبي في تفسيره وبهذا ينتفي وهم التعارض بين الروايتين.

لكن يبقى السؤال: ممّ يكون الإحراق عند كشف الحجاب؟!؛ من نور سُبحات وجه العظيم تبارك في علاه. فيبقى الإشكال قائماً مع تعذر البت بحصر ماهية الحجاب في مادة النور فقط<sup>(١)</sup>. لأن نور سُبحات وجه الباري سبحانه لو كشف حجابَه لأحرقت جميع خلقه. وهو تبارك وتعالى الرحمن الرحيم البر الكريم، فلا يقول عاقل إن ذلك دليل النارية - تعالى

(١) لاسيما وأن الأحاديث المختلفة التي تثبت صفة الحجاب لله سبحانه وتعالى، قد أفادت معاني عدة. فمنها ما يذكر الظلمة والنور والظلمة والنار، ومنها ما يذكر الظلمة والنور والنار والثلج. وهي وإن وردت على بعضها إشكالات في السند أو المتن إلا أنه يُستفاد من مجموع معانيها - وبالنظر إلى اختلاف لفظي الروايتين في الحديث الذي نحن بصدده - أن حجاب الباري سبحانه ليس شيئاً واحداً. وعليه فلا إشكال في اعتقاد النار والنور معاً إن تناولناه من هذا الجانب، كما لا إشكال في الجمع بينهما أخذاً بالروايات التي يفسر بعضها بعضاً إن تناولنا أحاديث النور والنار فحسب، إذ التعارض هاهنا متوهم في الأذهان ولا حقيقة له في الواقع. ثم تظل الحاجة إلى بحثٍ موسع شامل في هذه المسألة بالذات ماسة ومُلحة. راجع الروايات والأحاديث المثبتة لحجاب الباري عز وجل في كتاب بيان تلبس الجهمية لشيخ الإسلام، ج٨، من صفحة ١١١ إلى ١١٦.

الله علواً كبيراً<sup>(١)</sup>، وإنما يمكن حل بعض الإشكال بما ذكره شيخنا العلامة ابن جبرين رَحْمَةُ اللَّهِ حِينَ سئل عن كيفية الجمع بين اللفظتين النور والنار؟، فقال: معروف أن الأصل أن النور من ضوء النار، هذا هو الأصل المعروف أنه لا يكون نور إلا من ضوء النار عادة، ولذلك قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]. فلا مانع من أن يكون - يعني نوراً، ولكن لشدة إضاءته يكون فيه حرارة شديدة، ولذلك قال: لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه أي أن من شدة ذلك النور قد يحرق حتى الجمادات وما أشبهها<sup>(٢)</sup>.

وعليه فالجمع بين حقيقتيهما رغم اختلاف المسميات يفيد اتحاد معنى الرواية - لمن تأمل - وإن اختلف اللفظ. فيبقى المعنى ما ذكرناه ابتداءً في الجمع بين لفظتي النور والنار استناداً للغة، مع تأكيد أن النور قد يحمل خاصية الإحراق أحياناً كما هو الحال مع نور سُبحات وجه الرب جل جلاله. والله تعالى أعلم وأحكم.

ومن هنا نؤكد حقيقةً على الحاجة الماسة لمزيد من الدراسة في هذه

(١) هذا مذهبٌ منحرفي أهل الكتاب من اليهود، فنلحظه جلياً في نصوصهم التي لم يتورعوا فيها عن وصف إلههم بالنارية المحضّة تحت تأثيرات وثنيات الأمم القديمة السابقة التي تأثروا بها. يقول النص الوارد في سفر التثنية الإصحاح الرابع فقرة (٢٤) «لأن الرب إلهك هو نار آكلة، إله غيور».

(٢) موقع سماحة الشيخ ابن جبرين رحمه الله تعالى:

المسألة، إذ العرض القصير - كما هو الحال في هذا البحث - سيظل من القصور بمكان للإجابة الوافية الشافية والمتسمة بشيء من الشمولية. علماً أن ما تم ذكره من المعاني السابقة للجمع بين الروايتين المظنون تعارضهما، تفي بالعرض في هذا المقام<sup>(١)</sup>، وهو إزالة وهم التعارض الحاصل في أذهان

(١) إن العرض في هذا المقام هو الجمع بين الروايتين الصحيحتين، بإزالة وهم التعارض الحادث لدى البعض بين لفظي النور والنار. حيث اتفق لفظ الحديثين في إطلاق صفة الحجاب لله ﷻ فجاء وصفه تارة بلفظ النور، وتارة بلفظ النار. وللعلم فهناك نصوص أخرى قد جمعت لفظي النور والنار في سياق واحد وأنها من حجب الباري عزّ وجلّ، كما في النص الذي يروي أن الله احتجب عن خلقه بنار وظلمة ونور وظلمة. فهنا ورد لفظ النار والنور سوياً في متن واحد، لذا فلا يمكن اعتقاد أنهما من قبيل المترادف أو مما يفسر بعضه بعضاً، وإنما قد يقال بأن النار مقصودة حقيقة، والله تعالى أن يفعل ما يشاء وأن يتخذ ما يشاء من الحجب بينه وبين عباده. ثم تبقى المطالبة بأبحاث ودراسات مستفيضة وافية في هذا الشأن، خصوصاً وأن ثمة سؤال يفرض نفسه بقوة: لم لا يستطيع العقل تصور أن حجاب الرب سبحانه نار؟ هل لأن المنطع في الذهن البشري أن النار رمز الشر وآلة التعذيب والألم؟! ربما يكون هذا وارداً! لذا أشكل على الكثير ذلك الأثر الذي يروي انزواء النار عند وضع الجبار قدمه فيها تبارك وتقدس، ولكن يبقى أمرٌ مهم جداً، وهو أن القوانين التي نخضع لها أو تفوق قدرتنا كبشر - كسلطان النار وخاصة الإحراق فيها - تبقى مقهورة بقهر خالقها سبحانه وتقدس، والله تبارك وتعالى يخلق ما يشاء ويختار، هو من أودع فيها تلك الخاصية، كما أنه الذي اختارها وجعلها داراً لعذاب أعدائه، فالكل تحت قهره وسلطانه، والنار ليست سوى مخلوقٍ مثلنا وإن اتسمت بما لا طاقة لنا به، ولعل الأثر الذي يروي جأرها إلى الرحمن تقدس «يارب أكل بعضي بعضاً...»، يبين لنا مدى ضعفها أمام سلطان خالقها وقهره وجبروته. ولرحمته أذن لها بنفسين، نفس في الشتاء وآخر في الصيف، فلولم يأذن لها ترى كيف يكون الحال؟! سبحانه ربنا ما أعظمك، سبحانه تباركت ربنا وتعاليت.

البعض نحو بعض الأحاديث الثابتة المتكافئة صحة ودلالة، فنسأل الله تعالى أن ينفع به.

### رابعاً: في معنى قوله ﷺ: «ما انتهى إليه بصره من خلقه»:

لقد كان مما أشكل على كثير من الناس في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ: «ما انتهى إليه بصره من خلقه»، حتى حدا ببعضهم إلى أن يرجعوا الضمير فيه - أي في بصره - إلى المخلوق لا الخالق سبحانه وتعالى، لكننا إذا أخذنا بمجموع ألفاظ الحديث الواردة في هذا المقام، فإن المعنى يتضح بجلاء؛ إذ الحديث يفسر بعضه بعضاً كما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

وأما المراد بما انتهى إليه بصره من خلقه؛ فنذكر بعضاً من شراح الحديث في ذلك:

(١) «(ما انتهى إليه بصره)؛ أي كل مخلوق انتهى إلى ذلك المخلوق بصره تعالى، ومعلوم أن بصره محيط بجميع الكائنات مع وجود الحجاب فكيف إذا كشف؟ فهذا كناية عن هلاك المخلوقات أجمع»<sup>(١)</sup>، وإلى ذات المعنى ذهب أيضاً النووي موافقاً أهل السنة، فذكر أن المراد بذلك: جميع المخلوقات؛ لأن بصره سبحانه وتعالى محيطٌ بجميع الكائنات ولفظة «من» لبيان الجنس لا للتبويض<sup>(٢)</sup>.

(١) حاشية السندي على ابن ماجه، لأبي الحسن الحنفي الشهير بالسندي، د. ط، د. ت، دار

الجيل، باب فيما أنكرته الجهمية، ج ١، ص ٨٦

(٢) شرح النووي على مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «نور أنى أراه»، وفي قوله

(٢) ونقل شيخ الإسلام كلاماً للقاضي أبي يعلى: «فأما قوله كل شيء أدركه بصره من خلقه. معناه أن نور وجهه يحرق ما يدركه من خلقه»<sup>(١)</sup>. - ثم عقب بقوله: «وهذا يطابق معنى الحديث، حيث أخبر أن حجاب النار، أو النور، وأنه لو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سُبحات وجهه التي حجابها النور أو النار ما أدركه بصره من خلقه، قال: نور سُبحاته تحرق ما أدركه بصره من خلقه، وقد تقدم أن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود كان إذا روى هذا الحديث عن أبي موسى يقرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨]»<sup>(٢)</sup>.

(٣) وإلى ذلك ذهب شيخ الإسلام رحمه الله حيث يقول: «فالبصر يدرك الخلق كلهم وأما السبحات فهي محجوبة بحجابه النور أو النار»<sup>(٣)</sup>، وكذلك الإمام المقدسي رحمه الله في قوله: «والمراد بما انتهى إليه بصره: جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه محيطٌ بجميع الكائنات، والتقدير: لو زال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً وتجلي لخلقهِ لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته»<sup>(٤)</sup>.

«رأيت نورا».

(١) بيان تلبس الجهمية، ج٢، ص ١٤٢٤.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص ١٤٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ج٦، ص ١١.

(٤) أقاويل الثقات للإمام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

ط١، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت. ص ١٤٧.

٤) وقيل المراد: ما انتهى بصره إلى الله تعالى؛ أي كل من يراه يهلك، فكأنهم راعوا أن الحجاب مانع عن أبصارهم فعند الرفع ينبغي أن يعتبر أبصارهم، وإلا فإبصاره تعالى دائم فليتأمل<sup>(١)</sup>، وهذا المعنى قرره شيخ الإسلام في السياق الذي أوردناه آنفاً؛ من أن معنى (حجابه) ﷺ هو ستر الرؤية والإحراق لا العلم والإبصار والإدراك<sup>(٢)</sup>.

٥) وقال ابن الأثير: «أي لو كشفها لأحرقت كل شيء أدركه بصره فكأنه قال: لأحرقت سبحات الله كل شيء أبصره... وأقرب من هذا كله أن المعنى: لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور، كما خر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ صعقاً، وتقطع الجبل دكا لما تجلى الله ﷻ»<sup>(٣)</sup>.

٦) أن المراد بقوله ﷺ «ما انتهى إليه بصره من خلقه»؛ أي جميع خلقه. يقول الإمام الجزري رَحْمَةُ اللَّهِ: «وأقرب من هذا كله أن المعنى لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور...»<sup>(٤)</sup>.

٧) وقيل: المراد بالبصر النور؛ والمعنى: أي كل مخلوق انتهى إليه نوره

(١) حاشية السندي على ابن ماجه، ج١، ص٨٦.

(٢) راجع مطلب معنى الحجاب عند أهل السنة من هذا البحث.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٣٣٢.

(٤) النهاية في غريب الأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد

الزاوي، د.ط، ١٣٩٩ هـ، المكتبة العلمية، بيروت، ج٢، ص٣٣٢.

تعالى<sup>(١)</sup>. وقوله: من خلقه؛ على الوجه بيان لما في قوله ما انتهى إليه بصره<sup>(٢)</sup>.

ورغم أن هذا الرأي الأخير الذي ذكره الشارح فيه تأويل للفظ «البصر»، إلا أن المعنى المذكور حاصل دون حاجة للجوء إلى التأويل، ولذلك قال: «وقوله: من خلقه؛ بيان لما في قوله: ما انتهى إليه بصره». فيردُّ على ذلك: بأن كل ما أدركه بصره من خلقه سيحترق لو كشف الحجاب لأنه سيقع عليه من أنوار الجلال والعظمة الإلهية، ومن ثمَّ فلا حاجة للتأويل في هذا المقام.

يقول شيخ الإسلام: «قال ﷺ: "حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه"، فأخبر أنه حجب عن المخلوقات بحجابه النور أن تدركها سبحات وجهه، وأنه لو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه فهذا الحجاب عن إحراق السبحات يبين ما يرد في هذا المقام»<sup>(٣)</sup>.

فيكون المعنى؛ أن حجاب الباري سبحانه هو النور أو النار، لو كشفه تبارك وعز - أي لو رفع ذلك النور أو النار -، لأحرقت أنوار وجهه وجلاله وعظمتُه وبهاؤه جميع مخلوقاته تبارك في علاه. فالحجاب من رحمة الله تعالى بخلقه، إذ لن يستطيع أحد تحمل رؤية الله سبحانه وتعالى في هذه الدار الفانية. أما يوم القيامة فبخلاف ذلك.

(١) انظر: حاشية السندي على ابن ماجه، ج١، ص٨٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ج١، ص٨٧.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٦، ص٣٩٦.

يقول الإمام الشنقيطي: «وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، وتحقيق المقام في المسألة: أن رؤية الله جل وعلا بالأبصار، جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلاً في دار الدنيا قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ لأن موسى لا يخفى عليه الجائز والمستحيل في حق الله تعالى، وأما شرعاً فهي جائزة وواقعة في الآخرة كما دلت عليه الآيات المذكورة، وتواترت به الأحاديث الصحاح، وأما في الدنيا فممنوعة شرعاً كما تدل عليه آية الأعراف هذه، وحديث "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا" (١) (٢).

ونخلص من ذلك إلى أن انتهاء البصر إلى الخلق يُراد به معنى الإحاطة والشمولية، والدليل في ذلك:

(١) دلالة النصوص الشريفة التي تثبت أزلية الوجود الإلهي الذي لم يسبقه ولا يلحقه عدمٌ بحالٍ البتة، والصفاتُ الإلهية متعلّقةٌ بالذات القدسية تبارك ربنا وتعالى.

(٢) دلالة اختلاف ألفاظ الحديث التي تُفسر بعضها البعض.

(٣) دلالة بعض الخلق، فإن أهل الجنة يدخلون الجنة خالدين فيها،

(١) صححة الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٣١٢.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي،

د.ط، ١٤١٥هـ، دار الفكر، ج٢، ص ٤٠.

فصفتهم دائمةً أبداً بدوام وجودهم وأجسادهم التي لها من القوة والقدرات المختلفة ما ليس لأجساد الدنيا، وإذا كان الباري قد أخبر عن حال الميت المنتقل إلى حياة البرزخ بأن بصره حديد فأهل الجنة ستكون أبصارهم أحدّ وأشدّ؛ لأن مرحلة التبوء ودخول الجنة أكمل مراحل الحياة التي تحياها البشرية خلال أطوارها الأربع. فكل هذا وخلافه - وإيرادنا هنا في معرض سوق الدليل العقلي لا الشك إطلاقاً في عدم نهائية الصفات القدسية - إن ثبت للمخلوق، فالباري أولى بما هو أكمل منه وأتم.

## المطلب الرابع

### الثمرات التربوية والإيمانية المستفادة من الحديث الشريف

إن مما يُستفاد من جملة نصوص الصفات الإلهية، أمورٌ هي من الأهمية بمكان، إذ هي زاد المرء الإيماني، بها تهذيب سلوكه ووجدانه وتربية قلبه وروحه ونفسه، كيف لا وقد وُفق أحدهم - لله دره - ليقول مقالةً سديدة صاغها في تساؤل: «وهل الدينُ إلا الأدب مع الله؟!».

إننا إذا تأملنا تلك النصوص الإيمانية الشريفة نلاحظ ذلك بجلاء، فهي أداة زيادة الإيمان حقاً، لمن وُفق بهدايتها - ف سبحان ربنا الرحمن -، ولعلي هاهنا أذكر بعض الثمرات الإيمانية لهذا النص الشريف المبارك، ولن أفي إحاطةً، ولكن أخذ القليل خيراً من ترك الجميع، وعلمُ البعض فتحٌ إن شاء الله لفقه الأكثر، من هذا المنطلق أقول وبالله المستعان:

(١) أن الباري سبحانه وتعالى رقيبٌ على كل شيء، حفيظٌ لعباده وخلقه، هو الحي الذي لا يموت، قد تنزه سبحانه وتعالى عن النوم والسنة، وهذا أدعى لأن يعظم المرء شأن خالقه في قلبه، ويرقبه على كل حال؛ إذ لا يخفى على المليك سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء.

(٢) كما يستفاد أيضاً أن يعلم الإنسان مدى ضعفه وعجزه، وبالتالي يتيقن أنه لا غنى له عن خالقه سبحانه، فيتوكل على الله في جميع أمره وشأنه، كيف لا وهو المخلوق الضعيف الذي لا يستطيع أن يحيا دون موتٍ أصغر قُدراً عليه! لذا فذلك كله مما يدل على قدرة الرب سبحانه وتقدس، ومما يعظم شأن الخالق سبحانه في نفس وقلب المؤمن.

٣) مما يُستفاد أيضاً أن الله تبارك وتعالى هو العدل، وبيده مقادير كل شيء. فكل يوم هو في شأنٍ سبحانه، يخفض القسط ويرفعه، فحريٌّ بالمؤمن أن يلجأ إلى خالقه سبحانه، ويسأله التوفيق والعون والسداد كل حين، ويتحرى أن يتصف بهذا الوصف العظيم في جميع معاملاته، فقد أمرنا خالقنا بالعدل والإحسان.

٤) ومما يُستفاد أيضاً أن أعمال العباد ترفع إليه تبارك وعز في أوقات معلومة، فيرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، وهذا يدفع المؤمن لأن يحرص على أداء ما وجب عليه من العبادات، لئلا يتعرض للعقوبة بتخلفه عن مواقيتها، وكما ورد في بعض الآثار «إن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار»<sup>(١)</sup>، ويؤيد ذلك -على سبيل المثال- ما ورد عنه ﷺ: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ في رواية أخرى: «من فاتته صلاة العصر حبط عمله»<sup>(٣)</sup>.

لذا فالثمرة بمعرفة ذلك تكون بالمسارعة إلى الطاعات والواجبات وأدائها بأوقاتها طلباً لمرضاة الله. فإن حدث تقصير من المرء أحياناً عن بلوغ ذلك، فليسارع إلى التوبة الصادقة وليكثر التقرب إلى مولاه بحسن اعتذار شرعي - وهي هاهنا التوبة -، فلنتقن للاعتذار فناً! تارةً ببذل

(١) أوردّه شيخ الإسلام ضمن وصايا الصديق لعمر رضي الله عنه، فقال: «وفي وصية أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب أنه قال: «إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل». انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج ٢٢ ص ٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة «باب من ترك العصر».

(٣) صححه الألباني، صحيح الجامع، برقم ٥٧٤.

صدقة، وتارة بكثرة استغفار، وتارة بأخذِ بنوافل، فإن الحسنات يذهبن السيئات.

(٥) ومما يُستفاد من النص أيضاً، أن العظيم تبارك في علاه لن يُرى في حياتنا الدنيا، وهذا مما يحفز المؤمن ويستثير فيه الشوق لرؤية الله تبارك وعز، فيدفعه ذلك الشوق ليجتهد لنيل رضوان الباري تعالى، بالإقبال على العمل الصالح وترك ما هو مسخطة له سبحانه. فالامثال لأوامره ونواهيه وأحكامه سبحانه وتقدس، سبيلٌ لرؤيته في دار الخلود. ولتذكر أن أعظم الأمانى الشوق للقاء الكريم سبحانه وهو عنا راض. فاللهم بلغنا ذلك يا رحيم، اللهم آمين.

(٦) أن من رحمة الله تعالى بنا أن جعل بيننا وبينه حجاباً في هذه الدار الفانية، إذ لن تقوى المخلوقات على نور سبحات وجهه الكريم، فسبحان من كتب على نفسه الرحمة، وتبارك في ملكوته.

(٧) أن جميع الكائنات والخلق خاضعٌ تحت قهر المليك تبارك في علاه وسلطانه، داخلٌ ضمن إحاطته وإدراكه وعلمه وسمعه وبصره تعالى، وهذا مما يزيدُ الخشوع في نفس المؤمن، ويعلم أنه ليس إلا كمثل الذرة في عالم الملكوت، ثم إن ربه كرمه بالعقل وشرفه بالديانة، فحريٌّ به أن يرعى ذلك كله ويجتهد في سبيل نيل مرضاته سبحانه وإعلاء دينه القويم.

(٨) أن معرفة صفات القدير سبحانه مما يزيد في الإيمان، ويزيد حب المرء لخالقه سبحانه، ويعظم شأنه في قلبه، لذا فمن أراد برأ بنفسه، فليتعرف إلى خالقه سبحانه ويزدد منه قرباً تبارك وتعالى، وإنها والله النجاة والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.

٩) وأخيراً ففي صفة الحجاب التي أثبتها هذا الحديث الشريف وغيره من النصوص، ردُّ على الحلولية أصحاب القول بالوجود والاتحاد الذين يزعمون أن الله - تعالى علواً كبيراً - حالٌ في كل شيء، لذا فمما يُستفاد من الأثر الشريف أيضاً توظيفه ردّاً على أصحاب الشُّبه والإلحاد.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وعلى طاعتك يا رب العالمين، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## الخاتمة

مما سبق نخلص إلى أنه:

- (١) لا تعارض بين معنى النور والنار الواردين في الحديث الشريف على أنهما حجاب الباري تبارك وتقدس.
- (٢) منهج أهل السنة والجماعة على إثبات الحجاب لله حقيقة بخلاف منهج أهل الكلام التأويلي.
- (٣) انتهاء البصر في الحديث الشريف يقصد به الإحاطة والشمول لجميع الخلق لا الحد والانتهاه.
- (٤) الحديث الوارد معنا من دلائل عظمة الباري سبحانه وتعالى.

### التوصيات:

توجيه المزيد من الجهود لدراسة مثل هذه الآثار التي يوهم ظاهر ألفاظها التعارض، أو عدم التنزيه للباري سبحانه، وذلك من أهم المسائل التي يجب الاهتمام بها، إذ الهجمة الشرسة على الإسلام: الكثير من أسبابها يتعلق بمقام الألوهية، في اعتراض واضح على عقيدة التنزيه للخالق جل وعلا، ولا يفوتني في هذا المقام الإشارة إلى قول بابا الفاتيكان إبان حادثة الرسوم الدانمركية، إذ شن هجومه على الإسلام فكان مما قال: «والإله في العقيدة الإسلامية مطلق النزاهة»<sup>(١)</sup>، وما كان لهذا العبارة أن تنطلق لولا

(١) جاء تصريحه في لقاء صحفي له بثته قناة الجزيرة في أعقاب موجة السخط التي اجتاحت

الأثر الذي تحدّثه عقيدة الألوهية في الإسلام من عوامل جذب لمن سما نحو الكمال.

لذا لا بد لنا من الاعتناء والاهتمام بهذا الجانب من أن تطالهُ شبّهات العابثين المغرضين، سيما في ظل الزخم والانفتاح الإعلامي، وأهم المهم تناول أقوال المتكلمين بالرد والتفنيد - على ضوء من علم عصري - إذ هي من أوسع المداخل لتلك الشبّهات المتعلقة بالذات الإلهية.

---

العالم الإسلامي بسبب حادثة الرسوم المسيئة. لمتابعة بعض ردود الأفعال، انظر:

<http://www.drsregeb.com/?action=detail&nid=33>

## قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب.

- (١) أساس التقديس في الكلام لفخر الدين أبو عبد الله الرازي، ط ١، ١٤١٥هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- (٢) أفاويل الثقات للإمام مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- (٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي الخير يحيى العمراني، تحقيق: سعود الخلف، ط ١، ١٩٩٩م، دار أضواء السلف، الرياض.
- (٤) إيضاح الدليل لمحمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، ط ١، ١٤١٠هـ، دار السلام للطباعة والنشر، مصر.
- (٥) بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. راشد الطيار، د. ط، ١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
- (٦) بيان تلبس الجهمية تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية، الدار العثمانية، ط ١، ١٤٢٩هـ، المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان.
- (٧) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، د. ط، ١٤٠١هـ، دار الفكر، بيروت.
- (٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ط ١، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

- ٩) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
- ١٠) التيسير بشرح الجامع الصغير للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوى، ط ٣، ١٤٠٨هـ مكتبة الإمام الشافعى، الرياض.
- ١١) تيسير الكرىم الرحمن فى تفسير كلام المنان للشىخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تحقيق: ابن عثىمىن، د.ط، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن، لمحمد بن جرير الطبرى، د.ط، ١٤٠٥هـ، دار الفكر، بيروت.
- ١٣) الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى، د.ط، د.ت، دار الشعب، القاهرة.
- ١٤) حاشية السندي على ابن ماجه، لأبى الحسن الحنفى الشهير بالسندى، د.ط، د.ت، دار الجيل.
- ١٥) دقائق التفسير لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: محمد الجلىند، ط ٢، ١٤٠٤هـ، مؤسسة علوم القرآن، دمشق.
- ١٦) سنن ابن ماجه.
- ١٧) سير أعلام النبلاء لأبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعىم العرقسوسى، ط ٩، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٨) شرح قصيدة ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاوىش، ط ٣، ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامى، بيروت.
- ١٩) شرح النووى على صحىح مسلم لأبى زكريا يحيى بن شرف بن مرى

- النووي، ط ٢، ١٣٩٢ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٠ / صحيح الإمام مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، د. ت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٢١) صحيح ابن خزيمة لابن خزيمة.
- (٢٢) الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، د. ط، ١٤٢١ هـ، دار الفضيلة، الرياض.
- (٢٣) غريب الحديث للقاسم أبي عبيد بن سلام الهروي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط ١، ١٣٩٦ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (٢٤) كتاب التوحيد لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، ط ٥، ١٤١٤ هـ، مكتبة ابن رُشد، المملكة العربية السعودية.
- (٢٥) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، ط ١، د. ت، دار صادر، بيروت.
- (٢٦) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ط ٢، د. ت، مكتبة ابن تيمية.
- (٢٧) مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية المعطّلة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، د. ط، ١٤٢٢ هـ، دار الحديث.
- (٢٨) مرقة المفاتيح لعلي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، ط ١، ١٤٢٢ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٢٩) مُسند الإمام أحمد.
- ٣٠ / المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، تحقيق: محمد بن حسن

- الشافعي، ط ١، ١٤١٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٣١) مشارق الأنوار للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، د.ط، د.ت، دار التراث.
- (٣٢) مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، تحقيق: موسى محمد علي، ط ٢، ١٩٨٥ م، عالم الكتب، بيروت.
- (٣٣) معجم التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صدّيق المنشاوي، د.ط، د.ت، دار الفضيلة، القاهرة.
- (٣٤) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، د.ط، د.ت، المكتبة الإسلامية، استانبول.
- (٣٥) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، ط ١، ١٤١٨ هـ، مكتبة الرشد، السعودية.
- (٣٦) النهاية في غريب الأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، د.ط، ١٣٩٩ هـ، المكتبة العلمية، بيروت.
- ثالثاً: المواقع الألكترونية:  
المعجم العقدي:

<http://www.resaltalislam.com/UserFrontEnd/Dictionary.aspx>

موقع الشيخ ابن جبرين رَحْمَةُ اللَّهِ:

<http://www.ibn-jebreen.com/books/>

الموقع الألكتروني: جامع ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ

<http://tamiyah.org>

## الفهرس

٧٩	ملخص البحث
٨١	مقدمة
٨٤	نص الدراسة
٨٦	المطلب الأول: المعاني اللغوية لكلمات الحديث
٨٩	المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للحديث
٩١	المطلب الثالث: المباحث العقديّة المتعلقة بالحديث
٩١	أولاً: ما يتعلق بحجاب الرب:
٩١	• المسألة الأولى: معنى الحجاب عند أهل السنة:
٩٥	• المسألة الثانية: معنى الحجاب عند المخالفين:
١١٣	ثانياً: ما يتعلق بصفة الوجه:
١١٤	ثالثاً: ما يتعلق بتردد الرواية بين النور والنار:
١١٩	رابعاً: في معنى قوله ﷺ: «ما انتهى إليه بصره من خلقه»:
١٢٥	المطلب الرابع: الثمرات التربوية والإيمانية المستفادة من الحديث الشريف
١٢٩	الخاتمة
١٣١	قائمة المراجع
١٣٥	الفهرس



**أحكام الآثار  
في الشريعة الإسلامية  
دراسة عقديّة**

**د. خالد بن عبد العزيز السيف**

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك في كلية الشريعة والدراسات  
الإسلامية، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة القصيم



## ملخص البحث

لما كانت الآثار ومخلفات التاريخ لها دور في تغيير التصورات، سواء كانت تلك التصورات تاريخيةً أو دينيةً أو حتى سلوكيةً؛ كان من الأهمية بمكان بيان موقف الشريعة الإسلامية منها، وهذا البحث جاء لبيان موقف الشريعة الإسلامية من الآثار مما يتعلق بالجانب الاعتقادي، مركزاً على إبراز الحكم الأصلي في المسألة دون التطرق لأحكام الإضافات التي هي خارجة عنه، كما يبين البحث أيضاً أن الشريعة لم تأت بالمحافظة على الآثار، وفي نفس الوقت فإنه ليس كل اهتمام بالآثار يستلزم التعظيم؛ فدائرة الاهتمام أوسع من دائرة التعظيم، كما أن الآثار ليست نوعاً واحداً؛ فإن الحكم على بعضها لا ينسحب على البعض الآخر، فكما أن هناك من الآثار ما يجوز الاهتمام بها، فإن هناك من الآثار ما يحرم المحافظة عليه، إضافة إلى أن هناك مسائل في أحكام الآثار مختلف فيها أيضاً، إلى غير ذلك من الأحكام التي سيتطرق إليها البحث.

وإذا كانت الآثار ماثلة في كثير من البقاع -سواء اهتم بها المسلمون أم لم يهتموا- فلا بُدَّ من سماع الصوت الإسلامي فيها، وتقديم قراءة إسلامية لها تتصدّر على -أقل تقدير- الأدلة السياحية، سواء كانت آثار ما قبل الإسلام أم آثار ما بعده، ومثل ذلك استثمارها فيما أمر الله به من التفكير والتدبر في مصير الأمم السابقة والمخالفين لطريق الأنبياء، وهذا لا يعني الاهتمام بمخلفات الأمم السابقة من التماثيل والأصنام والحفاظ عليها فهذا ليس مراداً، فإن

تعظيم الآثار باب عظيم لدخول الشرك في هذه الأمة، لذلك حذرت منه  
الشريعة وجاءت الأحاديث والآثار بإزالة ما يُخاف على الأمة منه.

د. خالد بن عبد العزيز السيف

kasaif@gmail.com

## ***Ruling of Remnants in the Sharia***

### ***A Theological Study***

***Dr. Khalid bin Abdul Aziz Al-Seif***

*Associate Professor in the College of Sharia and  
Islamic Studies, Department of Creed and  
Contemporary Schools of Thought, Qassim University*

#### ***Abstract***

*Since the remnants and traces from history have a part to play in the understanding of the past, whether this understanding be that of history or religion or even behaviour, it becomes important to clarify the Islamic stance in dealing with these remnants. This research was written to clarify the ruling concerning remnants that are linked to the aspect of the Islamic creed. It also concentrates on bringing to light the origin of this matter without spiraling to any other secondary rulings that are considered to be beyond the matter at hand. This research also proves that the Sharia didn't come to maintain these remnants, and at the same time being concerned with them doesn't always necessitate veneration of them. Rather the area of importance of this matter is wider than that of glorification. Just as the remnants are not of just one type, verily the ruling given to some of them is not necessarily true for others. While there are remnants that Islam permits to give importance to, there are others that are not permitted to be preserved. In addition, there are also some matters that the scholars have differed upon concerning*

*remnants beside other issues which this study sheds light upon.*

*When the remnants are surfaced in many of the lands, whether the Muslims have paid attention to them or not, it is essential to verify the Islamic ruling concerning them and presenting at very least the clear evidences, whether these remnants be from before or after Islam. Similarly these remnants can be used for that which Allah has ordered us with like contemplation and reflection of what happened to the former nations and to those who went against the ways of the prophets. This does not mean that we should be paying attention to the remnants of the former nations, such as statues and idols, and maintain them. This is not what's intended, as this is from the utmost means for this ummah to fall in to polytheism. This is why the Sharia has warned against it, and the ahadith and athar has mentioned that we should take away (erase/refrain from) that which can compose danger to this ummah.*

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فإن النفس البشرية مجبولة على معرفة ما غاب عنها والإطلاع عليه، ويزيدها شوقاً إذا سمعت عنه ورأت بقاياها، ولذلك تشتد رغبتها في معرفة أخبار العظماء الذين لا تزال بقاياهم ظاهرة.

ومما يزيد النفس البشرية شوقاً ما تراه ظاهراً من بصمات التاريخ، وبقايا الأمم والممالك والدول السابقة، كل ذلك وغيره مما يستدعي للنفس بفطرتها النظر إليه من زاوية أخرى غير زاوية الحاضر.

ومن هذه النوازع وغيرها كانت البدايات الأولى لعلم الآثار الذي بدأت تتكامل صورته في هذا العصر، وتأسست لدراسته المعاهد والكليات على اختلاف في مشاربها تجاهه ونوازعها في تفسيره.

ولأجل أهمية هذه الآثار أنشئت الوزارات والهيئات والدوائر في العديد من الدول؛ للاهتمام بها واستثمارها مادياً في جلب الزوار والسياح إليها.

ولا يخفى أن الآثار ومخلفات التاريخ قد تعمل عملها في تغيير التصورات، سواء كانت تلك التصورات تاريخية أم دينية، ولذلك جاءت الشريعة بأحكام وآراء تجاه الآثار؛ حفاظاً على بقاء جوهر الدين كما نزل، ولأجل ألا تؤثر فيه نوازع البشر تجاه الآثار من تعظيم وتقديس أو إضفاء

شروعات لم تأت الشريعة بها وإنما جاءت بنفيها.

وفي هذا البحث القصير دراسة مختصرة لأهم مسائل الآثار من ناحية عقدية مع التركيز على القواعد الأساسية، بعيداً عن الاستطراد، مع محاولة لتقديم رؤية إسلامية للآثار لا تعارض الشريعة الإسلامية.

وقد كانت صياغتي لهذا البحث على الخطة التالية:

المبحث الأول: محددات أولية.

المطلب الأول: تعريف علم الآثار.

المطلب الثاني: أنواع الآثار.

المطلب الثالث: الآثار ومقولة التاريخ.

المبحث الثاني: الآثار من منظور الشريعة الإسلامية.

المطلب الأول: مقدمات أساسية في التعامل مع الآثار.

المطلب الثاني: أحكام الآثار في الشريعة.

المطلب الثالث: تحقيق المسألة في تعظيم الآثار في الشريعة

المطلب الرابع: أثر تعظيم الآثار على الأمة.

المطلب الخامس: حكم استثمار الآثار مادياً.

المبحث الثالث: القرآن ومصير المكذّبين.

الخاتمة.

وقد حاولت في هذا البحث أن التزم المنهج العلمي، مع مراعاتي للأمور

التالية فيما يتعلق بالآثار:

١ - نظرتُ إلى الآثار من ناحية قيمتها الزمنية التاريخية، أي التي اكتسبت أهميتها من التاريخ فحسب، وهو المعمول به في نظام الآثار في السعودية ومصر وسوريا وغيرها، وإن كان بعض الآثاريين يضم المشاهد والقبور مع الآثار وغيرها مما لم يكتسب أهميته من الزمن والتاريخ، ولكن عند تنزيل أحكام الشريعة على الآثار أقتصر على ما اكتسب أهميته من التاريخ والزمن، وليس على شيء آخر كحال بعض المشاهد عند المتصوفة.

٢ - لم أتكلم عن حال المتصوفة في تعظيم القبور وبقايا الصالحين؛ لأن هذا داخل في تعظيم المشاهد وليس من تعظيم الآثار، وبينت سبب عدم ذكرها في مكانه من البحث.

٣ - في ذكرى لأحكام الشريعة المتعلقة بالآثار حرصت على إبراز الحكم الأصلي في المسألة دون التطرق لأحكام الإضافات التي هي خارجة عنه.

٤ - كثير من مباحث هذا الموضوع لم تحسم بعد، وتختلف فيها وجهات النظر، ويُنظر إليها من زوايا عدة، فقد حاولت صياغة هذا البحث حسب اجتهادي الشخصي بعد قراءة وتأمل طويلين، وحسبي أني مجتهد ومستمسك بالمنهج العلمي.

هذا، وأسأل الله أن أكون قد قدمت ورقة فيها شيء من الجِدَّة والفائدة، وعسى الله أن يعفو عن الخطأ والزلل، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## المبحث الأول: محددات أولية

### المطلب الأول: تعريف الآثار لغة واصطلاحاً

لما يترتب على تحديد مصطلح (الآثار) من أهمية، وخصوصاً لتعلق كثير من المسائل به؛ كان لا بد من الوقوف على تحديد معناه وما المقصود به بشيء من الاختصار، وفق التعريف التالي:

تعريف الآثار لغة: الآثار جمع أثر وهو بقية الشيء<sup>(١)</sup>.

قال ابن فارس: هو رسم الشيء الباقي<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا تدور تعاريف اللغويين، أي على أن المقصود بالآثار هنا: الأعيان القديمة التي خلفها الإنسان.

تعريف الآثار اصطلاحاً: أكثر تعاريف الأثاريين للآثار متداخلة، ولكن مجمل هذه التعاريف يمكن تلخيصها بالصيغة التالية؛ وهي:

«كل ما خلفه نشاط إنساني في مكانٍ ما خلال حقبة ما من الزمن»<sup>(٣)</sup>.

والهدف من دراسة هذه المخلفات المادية المجموعة من حضارة الماضي هو التوصل منها إلى نتائج، والعلم الذي يدرس ذلك هو علم الآثار، وعلى هذا فإكتشاف الآثار ليس غاية علمية بحد ذاته، ولكن بما يمدّه

(١) انظر لسان العرب ٥/٤، القاموس المحيط ص ٤٣٥ مادة «أثر».

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ١/٥٣ مادة «أثر».

(٣) مقدمة إلى علم الآثار ص ٦.

هذا الأثر من إضاءة جديدة على الحضارة الماضية، ومحاولة للوقوف على التاريخ الغابر، فهو في المحصلة النهائية تقنية لفهم الماضي. ويصنف الشيء أنه من الآثار بشكل رسمي، بناءً على أنظمة مقررة يختلف فيها نظام بلد عن نظام بلد آخر، فعلى سبيل المثال: الأثر في السعودية لا يعتبر أثراً إلا إذا كان قبل مائتين سنة، وما كان أحدث من هذا فلا يصنف من الآثار إلا إذا رأت دائرة الآثار ذلك بناءً على قرار يصدر فيه<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: المادة الخامسة من نظام الآثار السعودي ص ١٢، والمادة الأولى والثانية من نظام الآثار المصري إلا أنه محدد بمائة عام الجريدة الرسمية العدد (٣٢) تاريخ ١٩٨٣/٨/١١ نقلاً من كتاب مقدمة إلى علم الآثار ص ٤.

## المطلب الثاني: أنواع الآثار

تعدُّ أنواع الآثار المنتشرة في كثير من بقاع الأرض جعل علماء الآثار يصنّفونها إلى نوعين:

### ● النوع الأول: الآثار الثابتة

وهي الآثار المتصلة بالأرض مثل الكهوف الطبيعية أو المحفورة التي كانت مخصصة لحاجات الإنسان القديم، والصخور التي رُسم أو حُفر عليها صورٌ أو نقوشٌ أو كتابات، وكذلك أطلال المدن والمنشآت المطمورة، والقصور والبيوت والقلاع والحصون وغيرها.

### ● النوع الثاني: الآثار المنقولة

وهي التي صنعت لتكون بطبيعتها منفصلة عن الأرض أو عن المباني التاريخية والتي يمكن تغيير مكانها كالمنحوتات والمسكوكات والمنقوشات والمخطوطات والمصنوعات وغيرها<sup>(١)</sup>.

ويدخل في الآثار ما كان قبل الإسلام أو بعده، فما كان قبل الإسلام كأثار الفراعنة في مصر وأعظمها الأهرامات والمدارج الرومانية في جرش<sup>(٢)</sup>

(١) انظر نظام الآثار المادة السابعة ص ١٣ .

(٢) جَرَشُ: بالتحريك: وهو اسم مدينة عظيمة كانت، وهي الآن خراب، وهي في شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحواران من عمل دمشق، وهي في جبل يشتمل على ضياع وقرى يقال للجميع جبل جرش. انظر معجم البلدان ٢/ ١٢٧ .

وعمّان وبُصرى، والمسكن كما في البتراء<sup>(١)</sup> والأنبار وغيرها، ويدخل في آثار ما قبل الإسلام ما خلفته الحضارات البعيدة عن التوحيد من التماثيل والصور أو الآلات المستخدمة في حياة الناس في ذلك الوقت<sup>(٢)</sup>.

وأما آثار ما بعد الإسلام فيدخل في ذلك ما خلفه المسلمون من قلاع وحصون كقلعة حلب وقلعة صلاح الدين على جبل المقطم في مصر، وأسوار المدن كسور دمشق والقاهرة، والقصور وأشهرها قصور الحمراء بغرناطة، ويدخل في ذلك أيضاً الآثار المنقولة كالعملات وآلات الحرب والزراعة وغيرها<sup>(٣)</sup>.

(١) البتراء: عاصمة مملكة الأنباط في الشام أسست قبل الميلاد بحوالي مائة سنة، وتقع في وادي موسى وسماها بعضهم مدينة الرقيم ظناً منهم أنها مدينة أصحاب الكهف، وهي غير بتراء الحجاز التي هي موضوع بين المدينة وتبوك. انظر خطط الشام ١/ ٦٠، معجم البلدان ١/ ٣٣٥.

(٢) انظر مزيداً من آثار ما قبل الإسلام في كتاب علم الآثار ص ٦٥ وما بعدها.

(٣) انظر مزيداً من آثار ما بعد الإسلام في كتاب مدخل إلى الآثار الإسلامية ص ١٨٠ وما بعدها، الآثار الإسلامية ص ١٦٣ وما بعدها.

### المطلب الثالث: الآثار ومقولة التاريخ

في المبحث السابق كان الكلام حول تعريف الآثار وأنواعها، أما في هذا البحث فلعلني أن أبين تجاوزات بعض من كتب في الآثار الإسلامية وذكرهم لنماذج منها وهي في الحقيقة ليست من الآثار، ووجه الخلط في ذلك تتداخل النظرة بين الآثار الإسلامية والمقدسات الإسلامية، من حيث إن المقدسات الإسلامية تحمل معنى تاريخياً بالنسبة لنا، من جهة أننا نعيش في زمان متأخر، فإذا كانت قيمة الآثار راجعة إلى الزمن بحيث تزداد أهميتها مع تراكم الزمن وتباعد التاريخ، فإن المقدسات الإسلامية ليست كذلك، بل فضيلتها راجعة إلى الأمر الإلهي بتعظيمها، كمن يذكر الكعبة وما يلحق بها كالحجر ومقام إبراهيم والحجر الأسود، ومشاعر الحج كعرفة ومنى ومزدلفة<sup>(١)</sup> وأنها من الآثار الإسلامية، مع أنها لم تستمد قيمتها من الزمن بل من الأمر الإلهي بتعظيمها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فجعل الصفا والمروة من شعائر الله، وأمر بتعظيمها كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

أما الآثار التي يتركها الإنسان فليس لها أهمية إلا بما تحمله من معنى

(١) انظر على سبيل المثال: مدخل إلى الآثار الإسلامية ص ١٠٩، ١١٩، علم الآثار ص

١٢٤، ١٣١، ١٢٦ الآثار الإسلامية ص ٢٠، ٢٩، ٥٨.

تاريخي ونسبتها إلى الماضي البعيد، فتكمن أهميتها في قدمها، مع أنها عند المعاصرين لها في الزمن الماضي لم تكتسب تلك الأهمية، ولكن اكتسبت قيمتها من تراكم الزمن وتباعد التاريخ.

وهذا بخلاف المقدسات الإسلامية، فإن هذه ليست من حضارات الإنسان ولم تكتسب أهميتها من التاريخ ولا من تراكم الزمن كما يقال في بقية ما يتركه الإنسان ويخلفه من آثار ومقتنيات، بل أهميتها كامنة في الأمر الإلهي بتقديسها، وهذا الأمر يتعالى على التاريخ والزمن، كحال الكعبة أو الأرض المباركة التي أسرى إليها الرسول ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ومثل ذلك يقال في المساجد التاريخية من حيث إن العمر التاريخي للمسجد لا علاقة له بالأفضلية الشرعية، وأفضلية المساجد مستمدة من أوامر الشريعة المتواترة في تعظيمها وإعطائها نوعاً من الاهتمام، والأحكام المتعلقة بها تميّزها من غيرها من البقاع، ولهذا فأحكام المساجد واحدة مهما اختلفت أماكنها، وفضيلتها واحدة مهما تباعدت أقطارها، إلا ما دلّ الدليل على أفضليته كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد قباء، ولا تزداد أهميته المقدسات مع تقادم الزمن كحال بقية الآثار البشرية التي تزداد أهميتها طردياً مع عمرها التاريخي، بل إنه بمجرد الأمر الإلهي بتعظيمه أو بترتيب الفضل عليه تكتسب أهميتها الدينية حتى لو لم يمض عليها شيء من التاريخ.

أما العمر التاريخي للمسجد فليس له ميزة شرعية إطلاقاً، ويدل على ذلك ما جاء عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت: «يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت كم بينهما، قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصلّ فهو مسجد»<sup>(١)</sup>، ووجه الاستشهاد من هذا الحديث أن المسجد الأقصى أقدم في الزمن التاريخي من المسجد النبوي؛ مع أن المسجد النبوي أفضل منه بالاتفاق كما قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»<sup>(٢)</sup>، فهذا التعظيم والفضل للمسجد النبوي لا يزيده تراكم الزمن، ولا عجلة التاريخ، ففضيلته واحده عند من عاصر بناءه وعند من تقوم عليه الساعة؛ لأنه اكتسب فضيلته وأهميته من الأمر الإلهي وليس من مُضَيِّ السنين.

ويدخل في ذلك جميع ما ذكره المهتمون بالآثار الإسلامية كمقام إبراهيم والحجر الأسود والحجر ومشاعر الحج كعرفة ومزدلفة ومنى وغيرها، فكل هذه وأمثالها تتعالى على كونها آثاراً، ولا تدخل ضمن مقولة التاريخ.

وخلاصة الكلام هنا أن التاريخ لا يعمل عمله في إضفاء فضيلة للمسجد لم تكن ثابتة له بأصل الشرع.

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة باب فضل الصلاة في مكة والمدنية ح (١١٩٠).

وهذه المقدسات أو الشعائر - كما يصطلح عليها من يكتب في موضوع الآثار - لا يصح تسميتها آثاراً، وعند ربط ذلك بالشريعة وكونها أمرت بتعظيم بعض الآثار أو نهت عن بعضها فليس للباحث أن يصطلح على شيء منها وينزل أحكام الشريعة عليها وهي لا تتفق مع هذا المصطلح أصلاً، وسيأتي بيان ذلك قريباً بإذن الله.

## المبحث الثاني: الآثار من منظور الشريعة الإسلامية

### المطلب الأول: مقدمات أساسية في التعامل مع الآثار

قبل بيان أحكام الآثار في الشريعة لابد من ذكر مقدمات مهمة في هذا الموضوع تساعد في الوصول إلى الحكم الشرعي، وهي كالتالي:

#### • المقدمة الأولى: دائرة الاهتمام أوسع من دائرة التعظيم:

من أهم المقدمات في التعامل مع الآثار من ناحية شرعية، التفريق بين دائرة الاهتمام ودائرة التعظيم، فليس كل اهتمام يلزم منه التعظيم؛ حيث إن دائرة الاهتمام أوسع من دائرة التعظيم، أما التعظيم فدائرته أضيق، وهو متوقف على أمر الشارع، وتعظيم ما لم يعظمه الشارع يعتبر من البدع القلبية، كاعتقاد الفضيلة في هذا المكان أو قبول الدعاء عند هذا الأثر أو ذلك، أما الاهتمام فليس كذلك، فقد يجمع الإنسان القطع الأثرية ويهتم بها كاهتمامه بمقتنياته العامة، ولا يلزم من ذلك أنه يعظمها أو يعطيها شيئاً من التعظيم والقداسة أكثر من كونها قطعاً ثمينة، وعند تنزيل ذلك على الآثار يُنظر؛ هل هذه الآثار تحمل ميزة أكثر من كونها مميزة تاريخية زمنية؟ أو يُضفى عليها شيء من القداسة والتعظيم خارجاً عن كونها تاريخياً. وعلى هذا يدور الحكم.

#### • المقدمة الثانية: تعدد أنواع الآثار يقابله اختلاف في أحكامها:

لم تحدّد أنواع الآثار بنوع واحد، لا عند المشتغلين بالفن ولا عند غيرهم، بل هو عام في كل ما خلفه الإنسان من مدن وقلاع وحصون وأدوات ونقوش وتمائيل ودور عبادة وغيرها، وعلى هذا فإن الحكم يختلف فيها

اختلافًا بينًا، ولا ينسحب بعض تلك الأحكام على بعض، فعلى سبيل المثال لا يجري الخلاف في التماثل من ناحية أصل الحكم على آلات الإنسان القديم وأوانيه وهكذا.

### • المقدمة الثالثة: ما سكنت عنه النصوص يدخل ضمن باب السياسة الشرعية:

في مثل هذا الموضوع، وهو التعامل مع الآثار من وجهة النظر الإسلامية، فإنه يجب التوقف والانتهاز عند النصوص الشرعية وإعمالها، سواءً خالفت مراد الناس وأهواءهم أم لم تخالف، والأصل الوقوف فيها عند دلالة النص الشرعي، ولكن هناك من قضايا الآثار التي يندرج الحكم فيها تحت باب المصالح والمفاسد، وخصوصاً في موضوع الإتلاف أو عدمه، فهذا له مجال آخر ويدخل في باب السياسة الشرعية وليس هنا مجال بحثه، ويمكن أن تعتبر بعض قضايا الآثار هذه من قضايا الأعيان التي لا عموم لها، ويختلف الحكم فيها بناء على الظروف التي اكتنفت الحكم عليها.

أما ما سكنت عنه النصوص فهو من المسكوت عنه في باب الشريعة، ليس لأحد أن يقطع فيه بحكم من ناحية الأصل.

### • المقدمة الرابعة: التفريق بين الحكم الأصلي وأحكام الإضافات:

عند تقرير أصل الحكم المتعلق بالآثار، سواءً كان التقرير بالجواز أم الحرمة فإنما يكون ذلك منصباً على الحالة ذاتها، بغض النظر عما ينضاف للأثر من إضافات تغير أصل الحكم، فلا بد من التفريق بين الحكم الأصلي مجرداً عن أي إضافة، وبين الحكم الذي ترتب على الإضافة وكان خارجاً

عن أصل الحكم، فقد يكون الاهتمام ببعض الآثار مباحاً في الأصل، ولكنه قد يتحول إلى التحريم لوجود علة خاصة تعلقت به، كالتعظيم مثلاً أو لكونه أصبح وسيلة من وسائل الشرك، فهذا لا يلغي الحكم الأصلي في هذا الأثر بالذات وهو الإباحة، ولكنه خرج من الإباحة إلى التحريم من أجل هذه الإضافة التي تعلقت فيه وقد لا تتعلق بغيره.

### المطلب الثاني: أحكام الآثار في الشريعة

عند التعامل مع الآثار من الناحية الشرعية لا بد من استحضار النصوص الشرعية الصحيحة وأيضاً لا بد من استحضار المقدمات السابقة من أجل الوصول إلى أحكام دقيقة فيما يتعلق بالحكم على الآثار، ومن خلال استقراء المسائل الشرعية المتعلقة بالآثار فإنه يمكن تصنيف الكلام حول الأحكام المتعلقة بها إلى أربعة أقسام:

- ١ - قسم المباح.
  - ٢ - قسم المحرم.
  - ٣ - قسم المختلف فيه مع وجود النص الشرعي واضح الدلالة.
  - ٤ - قسم المختلف فيه مع عدم وجود النص الشرعي واضح الدلالة.
- وسأتكلم عن كل قسم منها مع التمثيل.

#### • القسم الأول: قسم المباح

ويدخل في هذا القسم جميع ما خلفه المسلمون من حضارة سواء كانت ثابتة كالقلاع والحصون والقصور والدروب والمدارس وغيرها، أم كانت

تلك الآثار منقولة كالمخطوطات والنقوش وآلات السلم والحرب والمصنوعات بجميع أنواعها، ويدخل في هذا القسم أيضاً ما خلفه غير المسلمين سواء كانوا سابقين عليهم في الزمن أم متأخرين عنهم، من آثار ثابتة أو منقولة، ويستثنى من ذلك ما جاء الشرع بإتلافه كالأوثان والصور.

فهذا القسم يجوز الاهتمام به سواءً بالمحافظة عليه أو ترميمه أو بيعه وشرائه واقتنائه وبذل العوض في مشاهدته، ولكن بشرط ألا يصل إلى درجة التعظيم<sup>(١)</sup>. والدليل عدم الدليل فيبقى على الأصل وهو الإباحة والجواز، وعلى هذا يجوز إقامة المتاحف والمعاهد الخاصة والعامة المهمة بهذا النوع وزيارتها والدعاية لها وترميم الآثار الثابتة وتنظيمها، ويدخل في ذلك بذل الجهود العلمية في التحقيق والبحث في هذه الآثار وتقديم الدراسات فيها.

أما إذا وصل الاهتمام بهذه الآثار إلى درجة التعظيم والغلو فيخرج الحكم من الإباحة إلى التحريم، وحكم التحريم هذا ليس راجعاً لأصل الحكم؛ ولكن لهذه الإضافة التي هي الغلو والتعظيم<sup>(٢)</sup>.

### • القسم الثاني: قسم المحرم

ويدخل في هذا القسم كل الآثار التي يُخشى على عقائد المسلمين منها، لوجود مظاهر التقديس والتعظيم لها، كما يفعله بعض الجهال عند بعض الأماكن الأثرية من الشركيات، كصرف شيء من العبادة لغير الله، أو التبرك

(١) سبق تقرير التفريق بين دائرة الاهتمام ودائرة التعظيم في المطلب السابق.

(٢) سبق التفريق بين الحكم الأصلي وأحكام الإضافات في المطلب السابق.

والتوسل، وغيرها من مظاهر الشرك، كما يحصل في مدينة تريم<sup>(١)</sup> في حضرموت - التي يزعمون أن فيها قبر النبي هود - من الزيارات التي هي أشبه بموسم الحج عندهم وغيرها من المزارات الشركية<sup>(٢)</sup>، فهذا لا يجوز الإبقاء عليها حماية لجناب التوحيد، وقد قطع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الشجرة التي بايع النبي ﷺ تحتها بيعة الرضوان لما رأى أناساً يقصدونها تبركاً<sup>(٣)</sup>.

ومما يدخل في القسم المحرم التماثيل والأصنام التي في جزيرة العرب، فهذه وإن عُدَّت من الآثار اصطلاحاً إلا أنه لا يجوز الإبقاء عليها، وقد حطم النبي ﷺ الأصنام التي حول الكعبة عام الفتح<sup>(٤)</sup>، وأرسل جرير بن عبد الله لهدم ذي الخلصة<sup>(٥)</sup>، وعمرو بن العاص إلى سواع لهدمه، وأرسل خالد بن الوليد لهدم العزى، وأرسل غيرهم من الصحابة لهدم أصنام المشركين التي تعبد من دون الله<sup>(٦)</sup>.

(١) مدينة تريم هي إحدى مدن حضرموت انظر معجم البلدان ٢/ ٨٢.

(٢) وقد أوردت مجلة اليمامة في عددها ١٨٣٣ الصادرة في ١٤/١٠/١٤٢٥ هـ نماذج من الطقوس البدعية عند قبر النبي هود - كما يزعمون - التي تستمر أربعة أيام ابتداء من التاسع من شعبان من كل سنة.

(٣) وقد صحح هذا الأثر ابن حجر، انظر فتح الباري ٧/ ٤٤٨.

(٤) أخرجه مسلم في المغازي باب فتح مكة ح (١٧٨٠).

(٥) أخرجه مسلم في الفضائل باب فضائل جرير بن عبد الله ح (٢٤٧٦) والبخاري في المغازي باب ذكر جرير بن عبد الله ح (٣٦١١).

(٦) انظر: زاد المعاد ٣/ ٣٦٥.

إضافة إلى أن ترك هذه الأصنام والأوثان تعبد في جزيرة العرب مخالف لأمر النبي ﷺ في قوله: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»<sup>(١)</sup>.

ولا يعني ما سبق اقتصار التحريم على ما ذكر، فقد يكون هناك من الآثار ما هو محرم ولكن لأجل الخلاف فيه سيكون الكلام عليه في الفقرة التالية.

### • القسم الثالث: قسم المختلف فيه مع وجود النص الشرعي واضح الدلالة

وهذا القسم من أكثر الأقسام مادةً وأكثرها اختلافًا، وقد تعددت الآراء فيه، وبعض الكلام فيه يدخل في باب السياسة الشرعية التي لن أتطرق إليها لمباعدتها عن موضوع البحث.

والكلام هنا منصب على الآثار المتمثلة في الأوثان والتماثيل وسيكون العرض هنا على محورين:

#### المحور الأول: الآثار التي تعبد من قبل غير المسلمين في بلاد الإسلام

ويقصد بذلك التماثيل والأوثان التي يعبدها بعض الملل التي تعيش في البلاد الإسلامية، ويستثنى من ذلك ما كان في جزيرة العرب، وقد سبق بيانه في القسم المحرم، أما ما كان في غير الجزيرة العربية فهو على قسمين:

١ - التماثيل والأوثان التي وُجدت في أرض فتحت عنوة بالقتال وبال حرب: فهذه حكمها راجع لأهل الحل والعقد من المسلمين يتصرفون فيه حسب المصلحة إن شأؤوا أبقوها أو هدموها، وهذا له نماذج كثيرة من

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ح (١٧٦٧).

سيرة الفاتحين في الهدم والترك، فقد هدم محمود بن سبكتكين صنم الهند العظيم<sup>(١)</sup>، مع أن الصحابة تركوا بعض الكنائس في العراق ومصر مع ما فيها من التماثيل، وهذه البلاد فتحت عنوةً في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما ذكر ذلك ابن تيمية<sup>(٢)</sup>.

## ٢- التماثيل والأوثان التي وُجدت في أرض فتحت صلحاً: فهذه يجري

الحكم فيها على ما صولحوا عليه، وقد قسّمها ابن القيم إلى نوعين:

أحدهما: أن يصالحوا على أن الأرض لهم ولنا الخراج، فلهم إحداث ما يحتاجون فيها؛ لأن الدار لهم، كما صالح الرسول ﷺ أهل نجران ولم يشترط عليهم ألا يحدثوا كنيسة مع ما قد تحويه الكنيسة من صور وتماثيل.

الثاني: أن يصالحوا على أن الدار للمسلمين ويؤدّون الجزية للمسلمين، فالحكم في البيع والكنائس وما تحويه من تماثيل على ما يقع عليه الصلح من إحداث ذلك أو عمارته، لأنه إذا جاز أن يقع الصلح معهم على أن الكل لهم، جاز أن يصالحوا على أن يكون بعض البلد لهم ومنها الكنائس وما تحويه<sup>(٣)</sup>.

ويدل على أنه لا يهدم شيء صولحوا عليه ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي بن عبد الله قال: «جاءنا كتاب عمر بن عبد العزيز: لا نهدم

(١) انظر: البداية والنهاية ١١ / ٣٣٥.

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة ٣ / ١١٨٧.

(٣) انظر: أحكام أهل الذمة ٢ / ١٣٢.

بيعة ولا كنيسة ولا بيت نار صولحوا عليه»<sup>(١)</sup> وقال رسول الله ﷺ: «المسلمون على شروطهم»<sup>(٢)</sup>.

هذا - والله اعلم - سر بقاء الكنائس القديمة المعروفة من قبل الإسلام إلى الآن مع ما فيها من صور وتماثيل.

### المحور الثاني: الآثار التي لا تعبد في بلاد الإسلام

تعددت الآثار المتمثلة بالتماثيل التي لا تعبد في بلاد المسلمين، وقل أن يخلو متحف من المتاحف منها، ولعل أبرز ما يوضح ذلك تمثال أبي الهول بمصر، ومدينة الأقصر وما فيها من تماثيل متعددة، وأما الحكم عليها من حيث الإبقاء وعدمه فقد اختلف كثير من الباحثين في أمرها ولعلي أذكر أهم رأيين مع أدلتها بشيء من الاختصار.

**الرأي الأول:** التماثيل التي لا تعبد في ديار الإسلام لا يجب هدمها واستدلوا بأن الفاتحين من الصحابة والتابعين الذين هم أفضل القرون فتحوا تلك البلاد ولم يهدموها، كما في فتحهم لمصر أيام عمر بن الخطاب وفيها من آثار الفراعنة من التماثيل والصور وغيرها ما هو معروف، ومع ذلك لم يهدموها، وأيضاً مثله في أفغانستان لم يهدموا أصنام باميان، وأيضاً في بلاد فارس والعراق والشام وغيرها من التماثيل ما هو مشهور، ولكن إذا كانت تمثل هذه التماثيل خطراً على العقيدة كأن تفتن الناس عن عقيدة

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦/٤٦٧.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور باب الصلح ح (٣٥٩٤).

التوحيد فهنا يجب إزالتها حفاظاً على التوحيد<sup>(١)</sup>.

الرأي الثاني: وجوب هدم التماثيل، سواءً كانت تعبد أم لا تعبد<sup>(٢)</sup>،

واستدلوا بعموم الأحاديث التي لم تفرق بين ما هو مخصص للعبادة وما هو غير مخصص للعبادة، فمن تلك الأحاديث عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وقد سترت سهوة لي بقرام، فلما رآه تلون وجهه وهتكه بيده وقال: «أشد الناس عذاباً عند الله عز وجل يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله عز وجل»<sup>(٣)</sup>. وأيضاً حديث: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم»<sup>(٤)</sup>. ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث ومثيلاتها أنها على فرض أنها لا تعبد من دون الله فإنه يبقى علة أخرى موجبه

(١) يذهب إلى هذا القول الشيخ القرضاوي. انظر تقريره للمسألة في موقع الإسلام أون لاين الالكتروني.

قلت: بعض الباحثين من الذين يرون الهدم يخرجون لترك الصحابة لها بأنهم لم يروا تماثيل أبي الهول وكان مطموراً تحت الرمال ولم يعرف إلا قبل مئتين سنة تقريباً. وهذا الزعم بعيد حيث إن تماثيل أبي الهول معروف في قديم الزمان وقد ذكره كثير من القدماء من أبرزهم ياقوت الحموي في معجم البلدان ٤٠٢ / ٥، ومن الباحثين من يرى أن الصحابة عجزوا عن هدمها وهذا بعيد أيضاً لأن المأمور هو به الطمس وتغيير المعالم، لما في حديث أبي الهياج وهذا مستطاع لهم وخصوصاً أنهم من بنى القلاع والحصون، والطمس والهدم أقل كلفة منه.

(٢) وممن ذهب إلى هذا القول الأمير عبد العزيز بن سطاتم بن عبد العزيز. انظر: جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٣ / ١ / ١٤٢٢ هـ.

(٣) أخرجه مسلم باب تحريم تصوير الحيوان ح (٢١٠٧).

(٤) أخرجه مسلم باب تحريم تصوير الحيوان ح (٢١٠٧).

لهدمها وهي كونها مضاهاة لخلق الله، مع أن الصور التي رويت بسببها هذه الأحاديث لم تكن تعبد فأمر الرسول ﷺ بتغييرها، إضافة إلى عموم أمر الرسول ﷺ كما في حديث أبي الهياج الأسيدي كما جاء عند مسلم عنه قال: قال لي علي بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه الرسول ﷺ ألا تدع تماثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»<sup>(١)</sup>.

ولأجل عموم هذه الأحاديث يجب إزالته، سواء بالطمس أو بالهدم، حتى لو لم تكن تعبد من دون الله؛ وذلك لأجل علة المضاهاة لخلق الله، ويستثنى من ذلك ما قام الدليل عليه كمصالحة الكفار على بعض معابدهم بما فيها الصور والتماثيل وقد مر ذلك في المحور الأول.

وأما ترك الصحابة هدم بعض هذه التماثيل فهذه استثناءات لا تغير من الحكم الأصلي، وهو الإجماع منهم على أن الصور إذا كانت ذات أجسام (تماثيل) حرام يجب تغييرها، سواء كانت مما يمتهن أم لا، وقد يكون هناك أسباب لعدم هدمها تقتضيها المصلحة في وقتها، مع أنه قد جاء في التاريخ هدمهم لأصنام كثيرة لا داعي للإطالة في ذكرها.

وقد أفتت اللجنة الدائمة بالمملكة العربية السعودية في فتواها رقم (٥٠٦٨) عن سؤال: ما موقف الإسلام من إقامة التماثيل لشتى الأغراض؟

فأجابت: إقامة التماثيل لأي غرض من الأغراض محرمة، سواء كان ذلك لتخليد ذكرى الملوك وقادة الجيش والوجهاء والمصلحين، أم كان

(١) أخرجه مسلم في الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ح (٩٦٩).

رمزاً للعقل والشجاعة كتمثال أبي الهول أم لغير ذلك من الأغراض؛ لعموم الأحاديث الصحيحة الواردة في المنع من ذلك، ولأنه ذريعة إلى الشرك كما جرى لقوم نوح<sup>(١)</sup>.

#### • القسم الرابع: قسم المختلف فيه مع وجود النص الشرعي واضح الدلالة

وهذا القسم غالباً ما تدور مسأله في فلك بعض القواعد الأصولية كالنظر إلى المفسدة، وسد الذرائع، وما يتعلق بذلك كالنظر إلى سيرة المسلمين السابقين غير الصحابة - ومنهجهم في التعامل مع الآثار فيما لم يرد به نص.

وفي هذا القسم تتداخل بعض الأمور المحرمة والمباحة، ولكنني أفردت هذا القسم لبيان أن الحاكم في هذا القسم ليس النص الشرعي واضح الدلالة، ولذلك اختلفت فيه الآراء بين الحرمة والكراهة والإباحة.

فمن ذلك الفتوى الصادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية حول اعتزام الإدارة العامة للآثار والمتاحف بترميم منزل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حريملاء وتعيين حارس له. وقد رأت اللجنة أن هذا العمل لا يجوز وأنه وسيلة للغلو في الشيخ وأشباهه من علماء الحق والتبرك بآثارهم، ورأت أن الواجب هدمه وجعل مكانه توسعة للطريق، سداً لذرائع الشرك والغلو وحسماً لوسائل ذلك، وطلبت من الجهة المختصة القيام بذلك فوراً<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مجموع فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء، فتوى رقم (٥٠٦٨).

(٢) انظر الفتوى في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز ٧/٤٢٩.

وأيضاً فقد منع الشيخ عبد العزيز بن باز رَحْمَةُ اللَّهِ تَطْوِيرَ الأَمَاكِنِ الأَثَرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ كَأَمَاكِنِ الغَزَوَاتِ وَطَرِيقِ الهِجْرَةِ وَأَمَاكِنِ الرِّسُولِ ﷺ فِي المَدِينَةِ وَمَكَّةَ، وَرَدَّ عَلَى المَطَالِبِينَ بِذَلِكَ<sup>(١)</sup> بِأَنَّ العِنَايَةَ بِهَذَا يُؤَدِّي إِلَى الشَّرْكَ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ ضَعِيفَةً وَمَجْبُولَةً عَلَى التَّعَلُّقِ بِمَا تَظُنُّ أَنَّهُ يَفِيدُهَا، وَمَهْمَا عَمِلَ أَهْلُ الحَقِّ مِنْ احتِيَاظٍ أَوْ تحْفِظٍ فَلَنْ يَحْوِلَ ذَلِكَ بَيْنَ الجَهَالِ وَبَيْنَ المَفَاسِدِ المِترَبَّةِ عَلَى تعْظِيمِ الأَثَارِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ مِنْ حَيْثُ الفَهْمُ وَالتَّأَثُّرُ وَالبَحْثُ عَنِ الحَقِّ اخْتِلافًا كَثِيرًا، وَقَدْ دَلَّتِ الشَّرِيعَةُ عَلَى وَجُوبِ سَدِّ الذَّرَائِعِ القَوْلِيَّةِ وَالفِعْلِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

ويرى هذا الاتجاه إزالة ما يحصل بسببه من البدع القلبية أو العملية مما تتعلق به بعض النفوس الضعيفة طلباً للبركة، حتى لو كانت هذه الأماكن من المساجد، كما افتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز فتوى تحكم بدعية المساجد السبعة - وهي المساجد التي بُنيت في بطن جبل سلع في المدينة النبوية - ومقاصد الشريعة تقتضي وجوب إزالتها، ومما جاء في هذه الفتوى:

أن الهدف من بناء المساجد جمع الناس فيها للعبادة، وهو اجتماع مقصود في الشريعة، ووجود المساجد السبعة في مكان واحد لا يحقق

(١) انظر مقالات المطالبين بتطوير الأماكن الدينية الأثرية بمقال أنور أبو الجدايل: جريدة المدينة تاريخ ٢٢/٤/١٤٠٢ هـ مقال د. فاروق أخضر جريدة الجزيرة تاريخ ١٣/١/١٤٠٢ هـ.

(٢) انظر نص الفتوى كاملة في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٣/٣٣٤.

الغرض، بل هو مدعاة للافتراق المنافي لمقاصد الشريعة، وهي لم تبين للاجتماع؛ لأنها متقاربة جداً، وإنما بنيت للتبرك بالصلاة فيها والدعاء، وهذا ابتداء واضح، فقصدتها بدعة ظاهرة، وإبقاؤها يتعارض مع مقاصد الشريعة، وتقضي بإزالتها سنة رسول الله ﷺ حيث قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(١)</sup>، فتجب إزالتها؛ درءاً للفتنة وسداً لذريعة الشرك وحفاظاً على عقيدة المسلمين وحماية لجناب التوحيد، واقتداءً بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب حيث قطع شجرة الحديدية لما رأى الناس يذهبون إليها، وتوجه الناس عادة إلى هذه المساجد المحدثثة لمعرفة الآثار أو للتعبد أو للتبرك بها بدعة، والتغريير بالحجاج والزوار وحملهم بالأجرة إلى هذه الأماكن البدعية كالمساجد السبعة هو عمل محرم، وما يؤخذ في مقابله من المال كسب حرام<sup>(٢)</sup>.

وعلى نفس نمط المثالين السابقين يجري الخلاف في المسائل المشابهة، بين من يرى المنع ومن يرى الجواز بناء على بعض القواعد ومتعلقات الأمور<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأفضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

(٢) انظر الفتوى كاملة في فتاوى اللجنة رقم (١٩٧٢٩) وتاريخ ٢٧/٦/١٤١٨ هـ.

(٣) ذكر لي أحد أهالي محافظة عيون الجواء في منطقة القصيم أن أعيان القرية كان عندهم توجه لترميم البلدة القديمة لعيون الجواء فاستشاروا الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فأشار عليهم بالمنع لنفس العلل المذكورة سابقاً، فتركوا المشروع وهي الآن قرية خربة أضاعت الأمطار معالمها، إلا سوق القرية القديم قامت بترميمه بلدية المحافظة.

وخلاصة هذا القسم المختلف فيه؛ أن دوران الحكم ليس على النص الشرعي واضح الدلالة كما في هدم الأصنام والتماثيل، بل يدور في غالبه على القواعد الأصولية والقواعد العامة في سد ذرائع الشرك ووسائله وحماية جناب التوحيد، ويبقى المختلف فيه في هذه الآثار نفسها بين من يرى أنها وسيلة قد تؤدي إلى الشرك، وبين من يرى أن جناب التوحيد محمي وليس ذلك من وسائل الشرك.

### المطلب الثالث: تحقيق المسألة في تعظيم الآثار في الشريعة

إن الكلام هنا يبنى أساساً على المقصود بالآثار وقد سبق الكلام عليه<sup>(١)</sup>. وقد رأيت بعض من كتب في الآثار اعتمد نتيجة مفادها أن من الآثار ما طُلب من المسلمين تعظيمه كالمسجد الحرام ومقام إبراهيم والصفة والمرورة وغيرها<sup>(٢)</sup>.

وقد تقدم في المبحث السابق أن الشريعة جاءت بتحريم أشياء فهي محرمة، وسكتت عن أشياء فهي من جملة المباح، ولم تأمر البتة بتعظيم شيء من الآثار، وما ذكر من الأمر بتعظيم المسجد الحرام والمقام وبقية مشاعر الحج، فليس لكونها آثاراً، بل للأمر بتعظيمها والاهتمام بها؛ لتعلق الأمر الإلهي بذلك، فهي معظّمة بمجرد صدور الأمر الشرعي بتعظيمها كحال

(١) انظر المبحث الأول وخصوصاً المطلب الثالث.

(٢) هذه نتيجة يراها د. عبد العزيز الجفيري في كتابه: الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة

الإسلامية ص ١٢٥ وغيره.

مسجد النبي ﷺ، وأما تسميتها آثاراً إسلامية فهذا اصطلاح لا يغير من الحقيقة شيئاً، والعبرة بحقائق الأشياء ومعانيها ليس بألفاظها أو ما أصطلح الناس على تسميتها بذلك، وإنما الشريعة جاءت بتعظيم المقدسات والشعائر وليس بتعظيم الآثار، والمقدسات لا تدخل ضمن مقولة التاريخ.

ومثل ذلك يقال في الاتجاه الصوفي البدعي في تعظيمه للمشاهد، حيث إن تقديس الأشخاص ركيذة أساسية من أساسيات الاتجاه الصوفي، وأما تقديس الأماكن والمزارات فهو فرع عن تقديس الشخص نفسه، ولذلك يتوجهون إلى الولي بأنواع العبادات من النذور والطواف والدعاء والصلاة والخوف والمحبة وغيرها من العبادات<sup>(١)</sup>. وعلى هذا فتعظيم المشاهد عند أهل التصوف ليس لكونها آثاراً؛ بل لما تحمله من معاني قدسية أساسها الولي والشخص نفسه، ويدعم ذلك أن الاتجاه الصوفي يعظم حتى الأحياء، وأحياناً يكون هذا التعظيم يفوق كثيراً من مقدساتهم التاريخية، ومن أبرز ما يمثل ذلك ما ترويه كتب تراجم الصوفية من تعظيم المريدين لأشياخهم وطلبهم قضاء الحوائج والخوف منهم مع كونهم أحياء<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإن تقديس الصوفية للقبور والمزارات ليس لكونها آثاراً تاريخية زمنية، بل لما تحمله من خصائص يضيفي بها الولي على نفسه من هالة التقديس، والآثار التي يقدسها أهل التصوف تتعالى على كونها آثاراً ولا

(١) انظر نماذج من ذلك في كتاب: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١٣٣/٢، ١٥٨،

(٢) انظر نماذج من ذلك في كتاب: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ٢٠٠/٢.

تدخل ضمن مقولة التاريخ كما هي المقدسات الإسلامية.

أما ما جاء ذكره من سيرة الصحابة والتابعين في حفاظهم على آثار النبي ﷺ المنفصلة كشعره وأوانيه وغيره فليس لكونها آثاراً بالمعنى الاصطلاحي الذي يتداوله علماء الآثار، ولكن لتعلقها بالنبي ﷺ، فهي مقيدة به، لذلك التمس الصحابة باستخدامها بركة النبي ﷺ، فهذه الآثار المنفصلة من آثار النبي ﷺ بالنسبة للصحابة والتابعين أو لمن هو في العصر الحاضر - على فرض وجودها - سواء، فليس لها ميزة تاريخية من هذه الناحية، بل تكمن أهميتها بتعلقها بالنبي ﷺ، وعلى هذا ما أذنت به الشريعة من المحافظة عليه منها ليس لأجل قيمتها الزمنية؛ بل لأجل متعلقها وهو النبي ﷺ.

#### المطلب الرابع: أثر تعظيم الآثار على الأمة

إن من مقررات الشريعة الإسلامية ألا يُعظَّم الشيء إلا إذا جاء الأمر بتعظيمه، ولم تدخل المظاهر البدعية الشركية إلا من باب تعظيم ما نهى الشارع عن تعظيمه، ولأن النفوس متشوقة إلى معرفة ما غاب عنها ومستعدة لتعظيم بقايا العظماء أتى التوجيه النبوي بالتحذير من مغبة السير خلف هذا التيار؛ سداً لذرائع الشرك وحماية لجناب التوحيد، فقد نهى ﷺ عن تعظيم قبور الأنبياء والصالحين، سواءً بالبناء عليها أو تميزها عن غيرها، سواءً بالكتابة عليها أو تجصيصها وغير ذلك، كما جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور

أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup>. وعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بخمس: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمّتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»<sup>(٢)</sup>، وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»<sup>(٣)</sup>، وهذه النصوص وغيرها توضح أن تعظيم قبور الأنبياء والصالحين بهذه الصورة يؤدي إلى عبادتها من دون الله، كما هو مصداق هذه الأحاديث.

وليس الأمر مقتصرًا على تعظيم القبور؛ بل يدخل فيها غيرها مما يكون تعظيمه سببًا في الوقوع في الشرك، ولذلك فقد حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على قطع وسائل الشرك لما قد يؤدي تعظيمها إلى عبادتها من دون الله، ولأجل ذلك قطع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشجرة التي كان الناس يختلفون إليها ويقولون هي الشجرة التي بايع الرسول ﷺ تحتها بيعة الرضوان<sup>(٤)</sup> وأنكر ذلك عليهم.

ولم يكن من أصحاب القرون المفضلة من يلتمس آثار الأنبياء، كأماكن

(١) أخرجه البخاري في التيمم ح (٤٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة ح (٥٣٢).

(٣) أخرجه مسلم في الجنائز ح (٩٧٠).

(٤) انظر فتح الباري ٧/ ٤٤٨ وقد صحح ابن حجر هذا الأثر.

غزواته ﷺ أو غار حراء أو غار ثور تعظيماً لها أو طلباً للبركة في زيارتها؛ لعلمهم أنه لم يرد عن رسول الله ﷺ شيء من ذلك، ولو ورد لكانوا من أسبق الناس إليه؛ فإن البركة تحصل باتباع شرائع الأنبياء وليس بتعظيم آثارهم، ولذلك يقول الإمام ابن تيمية: «كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي ﷺ حصلت لهم بركته لما أمنوا به وأطاعوه، فبركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

فإذا كان قد نُهي عن تعظيم آثار النبي ﷺ والأنبياء من قبله فإن غيرهم من باب أولى، وقد درج الاتجاه الصوفي على العناية بهذه الآثار وغيرها من آثار الصالحين<sup>(٢)</sup>، وهناك مطالب عديدة لأحياء آثار النبي ﷺ كأماكن الغزوات وغار حراء وثور وطريق الهجرة وغيرها، أو حتى المساجد التاريخية كالمساجد السبعة<sup>(٣)</sup> ومسجد القبلتين ومسجد الغمامة وغيرها، وقد جاء في نشرة أصدرتها الهيئة العليا للسياحة في السعودية: أن المساجد التاريخية تدخل ضمن نطاق المواقع السياحية المرتبطة بالسيرة النبوية<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١١٣/١١.

(٢) هناك مطالبة من الصوفية لضم مقبرة شهداء بدر للهيئة العليا للسياحة وخصوصاً بعد ما منعوا من دخولها مؤخراً حيث أنهم كانوا يأتون إليها في ٣/١٢، ٩/١٧ في كل سنة.

(٣) وتسمى أحياناً بمساجد الفتح لأنها واقعة في الساحة التي عسكر الرسول ﷺ فيها أثناء غزوة الخندق في بطن جبل سلع، وصلى في ذلك المكان ودعا على المشركين فجاءه الفتح من الله وهي: مسجد الفتح، ومسجد سلمان الفارسي، ومسجد علي بن أبي طالب، ومسجد أبي بكر الصديق، ومسجد عمر بن الخطاب، ومسجد سعد بن معاذ، ومسجد بني حرام. انظر المساجد الأثرية في المدينة النبوية ص ١٣٨.

(٤) انظر صحيفة المدينة الصادرة في ٨/٩/١٤٢٥ هـ.

وقد طالب بعض الباحثين بإعادة بنائها على الطريقة الحديثة والاهتمام بها<sup>(١)</sup>، وهذه المحاولات لبعث هذه الآثار إما لطلب البركة والتعظيم لها، أو حتى لاستثمارها سياحياً كما يراد له.

وهذا لا يعني عدم تعظيم المساجد، فإن تعظيمها والاهتمام بها من أعظم القُرب إلى الله عز وجل وهو من تعظيم شعائر الله، وهو لا يعني أيضاً أن يُسلِّك بها مسالك أهل البدع من التبرك بها ونحوه، بل تصان عن ذلك، والهدف من بناء المساجد جمع الناس فيها للعبادة وهو اجتماع مقصود في الشريعة، ووجود المساجد السبعة في مكان واحد لا يحقق الغرض، بل هو مدعاة للافتراق المنافي لمقاصد الشريعة، وهي لم تبين للاجتماع؛ لأنها متقاربة جداً، وإنما بنيت للتبرك بالصلاة فيها والدعاء، وهذا ابتداء واضح كما افتت بذلك اللجنة الدائمة للإفتاء وقد سبق بيان ذلك. وأما بعض المساجد الأثرية المتعارف عليها تاريخياً كمسجد القبلتين فهي لم تبين أساساً من أجل التبرك بها كما هو معروف تاريخياً، فهذا بالإمكان الإبقاء عليه ومنع تصرفات الجهال فيها من الابتداء<sup>(٢)</sup>.

وهذا لا يعني إهمال الدعوة والتحذير من البدع المتعلقة ببعض الأماكن كغار ثور أو غار حراء، وإن كانت هذه لا تعد من الآثار حسب التعريف العام.

(١) انظر مقال د. عاصم حمدان باحث في تاريخ المدينة في صحيفة المدينة الصادرة في ١٧/٨/١٤٢٥ هـ.

(٢) في السنوات الأخيرة تم إزالة المحراب القديم في مسجد القبلتين الذي باتجاه بيت المقدس، ووضِع مكانه بابٌ، حيث كان بعض الزوار قبل ذلك يصلون ركعتين باتجاه المحراب القديم وركعتين باتجاه الكعبة.

## المطلب الخامس: حكم استثمار الآثار مادياً

إن أهم المناطق السياحية التي لا يمكن توفيرها إلا في أماكنها الأصلية، المناطق الأثرية، سواءً كانت من حضارة الإسلام أم من حضارة ما قبله، وبما أن البلاد الإسلامية هي بلاد الحضارات منذ القدم وتحتضن أهم المعالم الأثرية على اختلاف أنواعها، فقد صارت قبلة للمهتمين بالآثار على اختلاف مشاربهم، وإذا كانت هذه المنطقة تزخر بالعديد من الأماكن الأثرية، وكثير من روادها من غير المسلمين، فكيف يكون التعامل مع هذه الآثار وروادها؟

إنه في مثل هذا العصر المتداخل لا يجمل بالمسلمين أن يغفلوا عن علم دون استثماره وتوجيهه حسب رؤى الشريعة الإسلامية والأصول النبوية، وتشتد الحاجة إلى مثل ذلك في ظروف التسارع والاستباق الحاصل الآن، وعلم الآثار قد شق طريقه، سواءً ساهم فيه المسلمون أم لم يساهموا، فهذه الحقبة من الزمن بتطوراتها وتقنياتها قد نشرت ثقافة السفر والترحال، وقل أن تكون بلاد إلا وهي متوجهة إلى استقطاب السياح وتهيئة الأماكن السياحية فيها، لما تجلبه الحركة السياحية من زيادة في إيرادات الدول كما هو معروف، والاهتمام بالآثار المباحة وترميمها وتقديمها بصورة لائقة ورؤية إسلامية مما يوفر دخلاً لمكتسبات الأمة، يستفاد منه في التنمية وغيرها مما يفيد منه المسلمون، وهذا مما أذنت فيه الشريعة كما أذنت في التكسب وطلب الدنيا أيام موسم الحج كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وخصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن

التوجّه السياحي قادم لن يثنيه عزوف المسلمين عنه.

ولم أقف على نص للعلماء السابقين في استثمار الآثار مادياً، ويرجع ذلك إلى أن هذه المسألة غير واردة قديماً، حيث لم يُعرف قديماً أخذ العوض على مشاهدة الآثار أو زيارتها، حيث كانت الآثار لا تشكل قيمة مادية في السابق بخلاف هذا الزمان الذي تشكّل فيه الآثار قيمة مهمة، والعرف له اعتبار في الشريعة، فقد يكون الشيء عديم القيمة في زمن من الأزمان فتزداد قيمته في زمن آخر، وهذا له اعتباره بشرط عدم معارضته للشرع، فكل عرف ورد النص بخلافه فهو غير معتبر كما قال الإمام السرخسي<sup>(١)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك عدم جواز بيع الحشرات عند الحنابلة؛ لأنه لا نفع فيها في زمنهم واستثنوا دودة القز وديدان صيد السمك؛ لأنه منتفع به<sup>(٢)</sup>، وفي هذا العصر ومع اختلاف العرف صار لبعض الأشياء التي لا قيمة لها في السابق قيمة مالية مقدرة في العرف الحاضر، ومثل ذلك الجراثيم التي يتم تحويلها في معامل الأدوية إلى أمصال لمقاومة الأمراض أو إجراء التجارب عليها، ومثل ذلك أنواع السموم التي تدخل في تركيب بعض الأدوية، ويدخل في ذلك تموّل الناس الأشياء المعنوية والحقوق المجردة كالاسم التجاري أو العلامة التجارية وحقوق الابتكار والتأليف مما لم يكن ذا قيمة في وقت سابق<sup>(٣)</sup>، والآثار لا تخرج عن هذا، فقد تكون

(١) المبسوط ١٢/١٩٦.

(٢) المغني ١١/٢٥.

(٣) انظر العرف حجيته وأثره في فقه المعاملات المالية عند الحنابلة ص ٣٥١، ٣٥٢.

بعض الأشياء مما يستخدمه الإنسان لا قيمة له في وقت من الأوقات الغابرة، وقد تكتسب هذه الأشياء مع مرور الأزمان قيمة أثرية تحولها من شيء لا قيمة له إلى شيء ذا قيمة مالية يمكن بيعه أو أخذ العوض عليه كما يجري في الأشياء الثمينة. وقد ذكر ذلك مصطفى الزرقا في كلامه عن المؤثرات في القيمة المادية للأشياء، فقال: «.. وكمثل بعض الآثار التي قد يحرص الناس على اقتنائها للذكرى مما ليس له قيمة في ذاته، ولكنه أصبح ذا قيمة بنسبته، كفضلة قلم أحد العلماء المشاهير، أو توقيع، أو مسودة بخط أحد العظماء ونحو ذلك مما يدخل في زمرة الآثار»<sup>(١)</sup>.

وما سبق ذكره يبين أنه يمكن استثمار الآثار من ناحية مادية وأخذ المال والعوض من خلال بذلها بالأوجه المشروعة، وهذا يقال في الآثار المباحة التي يجوز للإنسان اقتناؤها والاهتمام بها، أما بالنسبة للآثار المحرمة كالتماثيل والأصنام التي أمر الشرع بتحطيمها فهي مسلوقة المالية، والشارع أهدر قيمتها المالية، ومن ثم فالآثار المحرمة مهدرة المالية حتى لو كان للناس انتفاع منها؛ فإن من الأموال ما لا يباح الانتفاع به للمسلم ولا يجوز له اقتناؤه وادخاره كالخمر والخنزير فملكية المسلم له غير محترمة والشرع لا يعترف له بقيمه ولا يباح الانتفاع به ولا غرم على من أتلفهما بيده<sup>(٢)</sup>، ومثل ذلك الآثار المحرمة التي لا يجوز اقتناؤها ولا المحافظة عليها. ويدخل في عدم جواز استثمار بعض الآثار مادياً ما جاءت الشريعة

(١) المدخل إلى نظرية الالتزام العامة ص ١٢٧.

(٢) انظر الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية ص ٥٢.

بالمع من دخوله كمدائن صالح، فقد جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يَصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ثُمَّ تَقْنَعُ بِرَدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ»<sup>(١)</sup>، وقد رجح الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَدَمَ جَوَازِ الْإِتِّفَاعِ مِمَّا نَهَى الشَّارِعُ عَنْ دَخُولِهِ، وَبَيَّنَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْإِتِّفَاعِ بِمِيَاهِهِمْ مَعَ حَاجَتِهِمْ لِلْمَاءِ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَهِيَ أَشَدُّ غَزْوَةً كَانَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ أَنْ يَعْطَفُوا النَّوَاضِحَ بِعَجِينِ مَائِهِمْ كَمَا فِي الْحَدِيثِ<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا يحسن بالمسلمين استغلال هذه المصادر وتقديم تعريف بهم وبتاريخهم وشرح حضارتهم ودينهم للسيّاح، وأخذ الأجر المادي الذي تقوى به الأمة، وكون كثير من هواة الآثار من الكفار فهذا لا يضر؛ فدخولهم بلاد المسلمين كدخول التاجر الكافر الذي يُرغب في ماله، وقد أجاز ذلك غير واحد من أهل العلم كأحمد والشافعي والأوزاعي<sup>(٣)</sup>، قال ابن قدامة: «إذا دخل حربي دار الإسلام بغير أمان، نُظِرَ، فإذا كان معه متاع يبيعه في دار الإسلام، وقد جرت العادة بدخولهم إلينا تجاراً بغير أمان لم يعرض لهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾

ح(٣٣٨٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٢٦١.

(٣) انظر المقنع، الشرح الكبير، الانصاف ١٠/ ٣٥٨.

(٤) المغني ١٣/ ٨٣.

إضافة إلى الاستفادة من مال الكافر؛ فإنه يمكن استغلال الوضع بتعريفه بالإسلام والحضارة الإسلامية الذين هم أجهل الناس بها، ومعرفته بالإسلام من خلال أهله أفضل من معرفته بالإسلام من خلال وسائل الإعلام التي يقل فيها المنصف.

## المبحث الثالث: القرآن ومصير المكذبين

ما سبق بيانه في عموم الآثار وما خلفته الأمم السابقة من حصون وقلاع وبقايا حضارات، ومع بيان أحكام الشريعة الإسلامية في هذه البقايا؛ فإن الناظر في القرآن الكريم يلمح أمراً مهماً، وهو أن القرآن مع ما سبق تقريره في موضوع الأحكام، فإن هناك نظرة أخرى للقرآن تتزامن مع نظرة الأحكام وتقريرها، وهي أن هذه الآثار وهذه البقايا ينبغي أن يُنظر إليها نظرة العبرة والعظة ممن أعرض عن هدي الأنبياء واتبع غير سبيلهم، وأن هذه الآثار باقية للعبرة وأخذ الموعظة من قوم كذبوا المرسلين، وأن من سلك طريقهم سيلقى نفس مصيرهم.

وما أمر به القرآن من التفكير والتدبر في مصير الأمم السابقة المكذبة وما فعل الله بهم، هو استثمار للآثار في مجال التقرير والاستشهاد، وهو استثمار مشروع، والقرآن مليء بالآيات الدالة على السير في الأرض والنظر في مصير المكذبين للأنبياء لأخذ العبرة والعظة، وهذه النقلة في علم الآثار سواء في البحث والدراسة أم التفسير تمت وتتم في غيبة من الصوت الإسلامي والتفسير الإسلامي، وإن أول نظرة في الأدلة السياحية المطبوعة ليرهن على غياب القراءة الإسلامية للآثار، فقد قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: 9]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ

﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبِئْسَ مُعْطَلَةٌ وَقَصِرَ مَشِيدِ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَأِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج: ٤٢-٤٦].

وقال تعالى عن قرية لوط: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٠].

وهذه الآثار التي خلفتها الإنسانية لمرحلة ما قبل الإسلام كثيرة ومشهورة ويمتاز بعضها بالضخامة والبراعة في البناء والتشييد كالمدرج الرومانية وآثار الفراعنة وغيرها، وهذه الآثار شاهدة على ضياع البشرية في تلك المرحلة من مراحل البعد عن التوحيد وتقديس الصور والتماثيل والأصنام والاعتداد بالقوة وبالملك، كما قال حكى الله قول فرعون بقوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

وهذه الآثار ناطقة بقصص الجبابرة والتمكبرين الضالين عن طريق الأنبياء، لم تغنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر الله، وحقت عليهم كلمة العذاب، فهذه مصارعهم شاهدة عليهم، وقد قال الله عن فرعون: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَن خَلَقَ آيَةً وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا يَأْتِيْنَا لِنُغْفِرُوا لَهُمْ﴾ [يونس: ٩٢]، فهو وبدنه وما خلفه قومه شاهد

للحظة الحاسمة في هلاك المكذبين ونجاة وانتصار المؤمنين.

وهذه الصورة في هلاك المكذبين وبقاء آثارهم عبره ليست صورة انتهت وصارت تاريخاً، بل إنها صورة تتكرر في كل مجتمع رفض منهج الأنبياء وشريعة الله، وحقيقة تتراءى بين كل مدّة ومدّة في شتى بقاع الكون، وهذه الآثار ناطقة بأنه لا عزيز على الله إلا من اتبع شرعه، ومن يفعل فعلهم يلحق مصيرهم. قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ مُعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَّسِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٥-٤٦].

فالنظر في مصير المكذبين تكتمل بلاغته في الوقوف على أطلالهم والتفكر في سبب هلاكهم، وما جرى على هؤلاء المكذبين يمكن أن يجري على غيرهم إن تنكّب الطريق وخالف المنهج الرباني، وهذه هي دلالة القرآن.

وهذه مجرد نظرة وقراءة إسلامية لآثار ما قبل الإسلام يفتقر وجودها في المطبوعات السياحية، وتغيب عن معلومات الأدلاء والمرشدين السياحيين من المسلمين.

إن الكلام حول مساعدة علم الآثار على الوقوف والتدبر لمصير المكذبين لطريق الأنبياء كما أمر القرآن لا يعني بالضرورة الاهتمام بمخلفات الأمم السابقة من التماثيل والأصنام والحفاظ عليها؛ فهذا ليس مراداً من التقرير السابق، وإنما الأمر القرآني جاء في النظر في القصور والآبار

والعمائر والمساكن والقرى وبقايا الأحجار وما يماثلها، إضافة إلى النظر في حالهم والتفكر في مصيرهم.

أما الحديث عن تأمل آثار ما بعد الإسلام من قلاع وحصون وقصور ووجيرها فإنها شاهدة وناطقة بما كانت تتمتع به الحضارة الإسلامية من رقي وتقدم، وكيف أخرجت البدو من الصحراء ليشيدوا ما عجزت الحضارات الموازية لهم عن تشييده وعمارته، ومن أبرز ما يمثل ذلك الأطلال والآثار التي تركها المسلمون في الأندلس من روعة في التصميم ودقة في البناء وجمال في الفن المعماري، ولكن هذه الحضارة لما أعرضت عن شرع الله سرت عليها سنة الله في التغيير، فهذه آثارهم شاهدة على أن القوم لما ابتعدوا عن شرع الله وسرى فيهم الترف والبذخ والبعد عن الدين والاستعانة بالمشركين على المسلمين، كما تشهد بذلك كتب التاريخ = صارت حالتهم إلى ما هو مشاهد، حتى حوّلت كثير من المساجد إلى كنائس، كمسجد قصر غرناطة حوّلت إلى كنيسة تدعى (سانتا ماريا) وأيضاً جامع قرطبة وطليطلة وإشبيلية وجامع المنصور في الزهراء تحولت منائرهما إلى أبراج لأجراس الكنائس<sup>(١)</sup>.

بل حتى آثار الذنوب باقية في ساحات القصور كصور تماثيل الأسود في ساحة الأسود في قصر الحمراء في غرناطة، فلما ابتعدوا عن دين الله سلط عليهم عدوّهم، وآثارهم ناطقة بذلك؛ بأن المصير واحد والسنة تتكرر.

(١) انظر نماذج من تحويل المساجد إلى كنائس في الاندلس كتاب علم الآثار ص ١١٥،

وهذه المعاني هي في عموم ما أمر به القرآن من التفكير والتدبر في مصير السابقين وآثارهم، ولكن من أسفٍ أن لا أحد يبرزها عند الحديث عن الآثار، وليست ضمن أجندات وزارات السياحة والآثار، ولا توجد في الأدلة السياحية التي تطبعها الوزارات المعنية، ولا هي حاضرة عند المرشدين السياحيين، وهذا يرجع في جزء كبير منه إلى تقصير في وصول الرؤية الإسلامية فيما يتعلق بالآثار.

## الخاتمة

بعد هذا المشوار في هذا البحث أرجع إلى بعض النتائج لتأكيدتها ولتكون خاتمة هذا البحث، وهي ما يلي:

- الآثار هي ما خلفه النشاط الإنساني في مكان ما خلال حقبة ما من الزمن، والعلم الذي يدرس ذلك هو علم الآثار، وهو فرع من فروع التاريخ.
- الآثار تكتسب أهميتها من التاريخ والزمن ليس غير، كالقلاع والحصون وغيرها، أما ما اكتسب أهميته من غير التاريخ كالقباب التي على القبور والمشاهد وغيرها فلا تدخل ضمن النطاق الفعلي للآثار.
- المقدّسات لا تدخل في الآثار، بل هي تتعالى عن ذلك؛ لأنها لا تدخل ضمن مقولة التاريخ، وتقديسها وأهميتها ليسا راجعين للزمن، وإنما هما متعلقان بالأمر الإلهي.
- ليس كل اهتمام بالآثار يستلزم تعظيماً؛ فدائرة الاهتمام أوسع من دائرة التعظيم، أما دائرة التعظيم فدائره أضيق، وهو متوقف على أمر الشارع، وعند تنزيل الأحكام يُنظر هل هذه الآثار تحمل ميزة أكثر من كونها ميزة تاريخية زمنية، أم يضاف عليها شيء من القداسة والتعظيم خارجاً عن كونها تاريخياً، وعليه يدور الحكم.
- لم تُحدّد أنواع الآثار بنوع واحد، وعلى هذا لا ينسحب بعض تلك الأحكام على بعض، فمثلاً: لا تنسحب أحكام التماثيل على آلات الإنسان القديم وأوانيه وسلاحه.

- تعظيم الآثار باب عظيم لدخول الشرك في هذه الأمة، لذلك فقد حذرت منه الشريعة وجاءت الأحاديث والآثار بإزالة ما يُخاف على الأمة منه.

- أحكام الشريعة المتعلقة بالآثار أقسام:

القسم الأول: المباح، ويدخل فيه ما خلفه المسلمون أو غيرهم من قلاع وحصون وقصور وأدوات حرب وأوانٍ وغيرها، فيجوز الاهتمام به.

القسم الثاني: المحرم، وهو ما يخشى على عقائد المسلمين منه، أيًا كانت تلك الآثار، حتى لو كانت مباحة في الأصل، ويدخل في ذلك أيضًا التماثيل والأصنام.

القسم الثالث: المختلف فيه مع وجود النص الشرعي واضح الدلالة، ويدخل فيه الآثار التي تعبد من قبل غير المسلمين في بلاد الإسلام، فالراجع فيه ما يلي:

١- التماثيل والأوثان التي وُجدت في أرض فُتحت عنوةً بالقتال والحرب، فحكمها راجع لأهل الحل والعقد في الإبقاء وعدمه.

٢ - التماثيل والأوثان التي وُجدت في أرض فُتحت صلحًا، فهذه يجري فيها ما تم الصلح عليه.

أما الآثار التي لا تعبد في ديار الإسلام فالراجع إزالتها لعموم النصوص.

القسم الرابع: قسم المختلف فيه مع عدم توفر النص الشرعي واضح الدلالة، وهذا غالب أحكامه تدور حول تقدير المصلحة والمفسدة وسد الذرائع وغيرها من القواعد، والحكم في ذلك راجح إلى مدى تحقق المصلحة أو المفسدة، وهذا مما تختلف فيه وجهات النظر.

- لم تأت الشريعة بالمحافظة على الآثار، وما ذكر من الأمر بتعظيم الكعبة وبقية المشاعر، فهذه مقدسات، وهي تتعالى عن كونها آثاراً، وقيمتها متعلقة بالأمر الإلهي وليس بالزمن، ولا تدخل ضمن مقولة التاريخ.
- المشاهد التي تعظمها الصوفية لا تدخل ضمن مقولة التاريخ، وتعظيم الصوفية لها ليس لكونها آثاراً، بل لما تحمله من معانٍ قدسية أساسها الولي نفسه، ويدعم ذلك أن التيار الصوفي يعظم حتى الأحياء، وأحياناً يكون هذا التعظيم يفوق كثيراً من تعظيم مقدساتهم التاريخية.
- علم الآثار علم محايد يمكن استثماره في جهاتٍ عدّة، فمن ذلك:
  - استثمار الآثار فيما أمر الله به من التفكير والتدبر في مصير الأمم السابقة والمخالفين لطريق الأنبياء وكيف فعل الله بهم، وهذا أمر مشروع، ولا يعني ذلك الاهتمام بمخلفات الأمم السابقة من التماثيل والأصنام والحفاظ عليها، فهذا ليس مراداً.
  - جواز استثمار الآثار استثماراً مادياً، وذلك بالاهتمام بالآثار المباحة وتقديمها بصورة لائقة ورؤية إسلامية صحيحة، وهذا مما يوفر دخلاً لمكتسبات الأمة يستفاد منه في التنمية وغيرها.
  - الآثار ماثلة في كثير من البقاع، سواءً اهتم بها المسلمون أم لم يهتموا، ولذلك لا بد من سماع الصوت الإسلامي وتقديم قراءة إسلامية لهذه الآثار تنصدر على أقل تقدير الأدلة السياحية، سواء كانت آثار ما قبل الإسلام أم آثار ما بعده.

## فهرس المراجع

- ١ - الآثار الإسلامية، حسني محمود نويصر، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ١٩٩٨م، بدون رقم الطبعة.
- ٢ - الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة الإسلامية، عبد العزيز الجفير، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٣ - أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٤ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.
- ٥ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، على بن سليمان المرادوي، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٦ - البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.
- ٧ - تقديس الاشخاص في الفكر الصوفي، محمد أحمد لوح، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٨ - خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمد كُرْد علي، الناشر: مكتبة النوري، دمشق الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٩ - زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

- ١٠ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون ذكر المكان ولا رقم الطبعة ولا تاريخها.
- ١١ - الشرح الكبير، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالله التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ١٢ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ١٣ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.
- ١٤ - العرف حجته وأثره في فقه المعاملات المالية عند الحنابلة دراسة نظرية تأصيلية تطبيقية، عادل بن عبد القادر بن محمد ولي قوته، المكتبة المكية، مكة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ١٥ - علم الآثار، د. جمال عبد الهادي، وفاء رفعت، دار الشروق، جدة، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.
- ١٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، بيروت، ١٣٧٩هـ، بدون رقم الطبعة.
- ١٧ - القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ١٨ - لسان العرب، ابن منظور الأفرقي، دار صادر، بيروت، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.

- ١٩- المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٢٠- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، بدون رقم الطبعة.
- ٢١- مجموع فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٢- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز. جمع: محمد الشويعر، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ.
- ٢٣- مدخل إلى الآثار الإسلامية، حسن الباشا، دار النهضة العربية، ١٩٧٩م، بدون ذكر رقم الطبعة ولا مكانها.
- ٢٤- المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٥- المساجد الأثرية في المدينة النبوية، محمد إلياس عبد الغني، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ.
- ٢٦- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٢٧- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

- ٢٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بدون ذكر الطبعة ولا مكانها.
- ٢٩- المغني، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي، عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- ٣٠- مقدمة إلى علم الآثار، إبراهيم سعد، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، بدون ذكر مكان الطبعة ورقمها.
- ٣١- المقنع، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- ٣٢- الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.
- ٣٣- نظام الآثار، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

### الصحف والمجلات:

- ٣٤- صحيفة الشرق الأوسط الصادرة في تاريخ ١٣/١/١٤٢٢هـ.
- ٣٥- صحيفة الرياض الصادرة بتاريخ ١٣/١/١٤٠٢هـ
- ٣٦- صحيفة المدينة الصادرة في تاريخ ٢٢/٤/١٤٠٢هـ، ٢١/١٠/١٤٢١هـ، ١٧/٨/١٤٢٥هـ، ٢٤/٨/١٤٢٥هـ، ٨/٩/١٤٢٥هـ.
- ٣٧- مجلة اليمامة الصادرة في تاريخ ١٤/١٠/١٤٢٥هـ.

## فهرس الموضوعات

- ١٣٩..... ملخص البحث
- ١٤٣..... المقدمة
- ١٤٦..... المبحث الأول: محددات أولية
- ١٤٦..... المطلب الأول: تعريف الآثار لغة واصطلاحاً
- ١٤٨..... المطلب الثاني: أنواع الآثار
- ١٤٨..... • النوع الأول: الآثار الثابتة
- ١٤٨..... • النوع الثاني: الآثار المنقولة
- ١٥٠..... المطلب الثالث: الآثار ومقولة التاريخ
- ١٥٤..... المبحث الثاني: الآثار من منظور الشريعة الإسلامية
- ١٥٤..... المطلب الأول: مقدمات أساسية في التعامل مع الآثار
- ١٥٤..... • المقدمة الأولى: دائرة الاهتمام أوسع من دائرة التعظيم:
- ١٥٤..... • المقدمة الثانية: تعدد أنواع الآثار يقابله اختلاف في أحكامها:
- ١٥٥..... • المقدمة الثالثة: ما سكت عنه النصوص يدخل ضمن باب السياسة الشرعية...
- ١٥٥..... • المقدمة الرابعة: التفريق بين الحكم الأصلي وأحكام الإضافات:
- ١٥٦..... المطلب الثاني: أحكام الآثار في الشريعة
- ١٥٦..... • القسم الأول: قسم المباح
- ١٥٧..... • القسم الثاني: قسم المحرم

- القسم الثالث: قسم المختلف فيه مع وجود النص الشرعي واضح الدلالة... ١٥٩
- القسم الرابع: قسم المختلف فيه مع وجود النص الشرعي واضح الدلالة.... ١٦٤
- المطلب الثالث: تحقيق المسألة في تعظيم الآثار في الشريعة..... ١٦٧
- المطلب الرابع: أثر تعظيم الآثار على الأمة..... ١٦٩
- المطلب الخامس: حكم استثمار الآثار مادياً..... ١٧٣
- المبحث الثالث: القرآن ومصير المكذبين..... ١٧٨
- الخاتمة..... ١٨٣
- فهرس المراجع..... ١٨٦
- فهرس الموضوعات..... ١٩٠



لوازم محبة النبي ﷺ

القولية والفعلية والاعتقادية

د. موفق بن عبد الله علي كدسة

أكاديمي سعودي، أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك عبد العزيز  
بجدة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم الدراسات الاسلامية



## ملخص البحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة، حيث سلكت في البحث المنهج الوصفي، والبحث يعالج مسألة زعم أهل البدع بأنهم يحبون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أهل السنة وبينت بطلان هذه الفرية. وقد اشتمل المبحث الأول على لوازم المحبة القولية؛ من كثرة الصلاة عليه، وقراءة سيرته، ومعرفة شمائله، والتحدث بمناقبه، والخطابة والوعظ بسيرته، وعدم الكذب عليه، والتأدب بأفضل الألفاظ عند ذكره. والمبحث الثاني اشتمل على اللوازم الفعلية لمحبهته؛ مثل الاتباع لسنته، والمتابعة لشريعته، ونشر سنته، والرد على أعدائه، ونبذ البدع بجميع أنواعها، ونصرته، وزيارة مسجده ومدينته، وفعل الصالحات، وترك الذنوب. والمبحث الثالث: لوازم المحبة الاعتقادية؛ وهي محبته، ومحبة أهل بيته، وعدم الغلو فيه أو الجفاء عنه، واعتقاد أنه أفضل الناس، والشوق الى رؤيته، واعتقاد عقيدته. ثم الخاتمة؛ وأشارت فيها إلى أهم نتائج البحث، ثم فهرس المراجع التي قاربت الخمسين مرجعاً.

د. موفق بن عبد الله علي كدسة

dr.mkadasah@hotmail.com

***The Sayings, Beliefs and Actions that are Required in Order to Actualize True Love of the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace on him)***

***Dr. Muwaffaq bin Abdullah bin Kadsah***

*Saudi Academic, Associate Professor in the Field of Islamic Theology, Islamic Studies Department, Faculty of Arts And Humanities, King Abdulaziz University in Jeddah.*

***Abstract***

*In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful*

*The research paper is comprised of a foreword, introduction, three research points and a conclusion.*

*I have utilized a descriptive approach to the paper, and the research addresses the claims of the people innovation that they love the Messenger (may Allah exalt his mention and send peace on him) more than the people of the Sunnah, and I have clarified the falsehood of such lies.*

*The first research point includes what true love necessitates in terms of speech, such as making frequent invocations for him and reading his biography and knowing his virtues and characteristics. It also includes giving admonitions about his life, and not lying about him, and having an appropriate manner when mentioning him.*

*The second research point includes what true love necessitates in terms of actions such as following his path, following the law with which he came with, spreading his Sunnah and refuting his enemies. It also includes rejecting innovations in all forms, supporting him, visiting his mosque and his city and doing good deeds while leaving bad deeds.*

*The third research point includes what true love necessitates in terms of belief. Examples of this is loving him and the people of his household and not becoming extreme in loving or falling short in it. It also includes the belief that he is the best of people, embracing his belief and longing to meet him.*

*Thereafter followed the conclusion in which I indicate the most important results of the research, and I finished it with an index which includes approximately fifty references.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:  
فإن محبة النبي ﷺ وطاعته من أعظم لوازم الإيمان بعد الإيمان بالله تعالى ومحبته، ولقد تعددت مشارب الناس في إظهار محبة النبي ﷺ وتنوعت، بل وجد في الأمة جفاء وتفريط في تلك المحبة فضلاً عن الغلو فيها، والذي يهمني - هنا - أن أقف موقفاً منصفاً عدلاً أبين فيه خطأ كثير من أهل البدع من غلاة الصوفية أو غيرهم ممن تلطخ بمفاهيم خاطئة في محبة النبي ﷺ ثم هو يصمُّ أهل السنة والجماعة بالتقصير في محبة الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي هذا البحث سأثبت أن أهل السنة والجماعة هم أصدق الناس حباً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكثر الناس إظهاراً لمحبته، بل أستطيع أن أقول: إن كان أهل البدع يظهرون محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعمال معدودة، وأزمنة محدودة، فإن أهل السنة والجماعة يظهرون محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ساعة من ليل أو نهار؛ يؤدون فيها عبادة الله تعالى، وإن العبادات بجميع أنواعها التي نعملها لله تعالى ما هي إلا مظهر من مظاهر محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلالها نعلن حبنا وولائنا وتعزيرنا وتوقيرنا للرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وسأسير في بحثي هذا على المنهج الوصفي؛ ليقيني بأن هذا يثير في النفس العاطفة الجياشة، والمشاعر الصادقة، ويحرك في النفس البشرية العزيمة والتحفيز والهمة؛ للمتابعة له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بعيداً عن التنظير

الذي قد لا يحسن التعامل معه إلا أهل التخصص، لا سيما ونحن نتعامل مع موضوع حيوي يعيشه المسلم على مدار الساعة.

أما المنهج التحليلي فإنه سيجعل من البحث فصلاً طويلاً؛ قد لا يحسن إخراجها إلا في مؤلف منفصل يكون في عدد من الأجزاء.

- أما بالنسبة للدراسات السابقة، فهي كثيرة ومتنوعة، أبرزها كتاب د: محمد التميمي والمعنون بـ (حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة) حيث ذكر أربعة من الحقوق الرئيسة للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (الإيمان به، ووجوب محبته، ووجوب تعزيرة، والنهي عن الغلو فيه).

وبيني وبين الرسالة السابقة خصوص وعموم؛ إذ إن المؤلف استعرض الحقوق الأربعة كاملة وبطريقته التي ارتضاها، أما أنا فقد تناولت في بحثي لوازم المحبة فقط مع يقيني أنها تشمل جميع الأركان الأربعة؛ التي ذكرها الدكتور التميمي في رسالته، إضافة إلى أن ذكري للوازم كان بتنوع وتفصيل وشمول.

وهناك كتاب «حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الإجلال والإخلال»، لمجموعة من العلماء، إصدار مجلة البيان، حيث كان هناك تنوع واختلاف في العرض والمادة العلمية، وإن كان هناك أيضاً خصوص وعموم بيني وبينهم أيضاً، لكن الاختلاف في الموضوعات والطرح واضح جداً.

واحسب أنني وصلت إلى بعض النتائج من خلال بحثي -وقد ذكرتها في الخاتمة - لم أجد أحداً ذكرها أو أشار إليها ممن اطلعت على مؤلفاتهم وأبحاثهم.

لا يفوتني أن أنبه إلى أن هناك بعض اللوازم قد تتداخل بعضها ببعض، فاجتهدت في إلحاقها لأقرب نوع من الأنواع الثلاثة القولية أو الفعلية أو الاعتقادية، مع تأكيدي بأني لن أستطيع إحصاء جميع اللوازم إلا أنني سأحاول استعراضها بقدر المستطاع.

وقد يسأل سائل عن الضابط في إيراد التقسيمات والأدلة، حيث رأيت أن أفضل ضابط أنتهجه في إيصال فكري هو صفة (المتابعة) له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حيث إن كل فقرة أو معلومة أوردتها ترتكز أو تتصل بالمتابعة للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة أسأل الله تعالى التوفيق والسداد وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الباحث

## تهييد

### محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إن محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحبة الحقيقية من أعظم علامات الإيمان التي يتميز بها المؤمن من المنافق، غير أن هذه المحبة لا بد أن تكون متوافقة مع كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بعيدة عن الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط.

لذا أرى أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام تجاه هذه المحبة، وهم على النحو التالي:

أولاً: الذين سلكوا جانب الغلو والإفراط؛ حيث بالغوا في المحبة حتى وصل بهم الأمر إلى حد الغلو فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورفعوه فوق منزلته التي أمر الله بها، فأضفوا عليه بعض خصائص الألوهية التي لا تكون إلا لله تعالى، وجاوزوا به الحد فوق منزلة العبودية والرسالة اللائقة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله)<sup>(١)</sup>.

بمعنى لا تمدحوني بالباطل ولا تتجاوزوا الحد في إطرائي ومدحي كما فعلت النصارى بعيسى بن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ حيث إنهم أوصلوه إلى درجة الألوهية، ونسبوه إلى الرب سبحانه وتعالى.

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ

أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، (٤/ ١٦٥) رقم (٣٤٤٥).

ولقد جاءت أحاديث كثيرة تنهى عن مثل هذا الفعل، فعن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بين عامر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلنا أنت سيدنا فقال: (السيد الله تبارك وتعالى) قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان<sup>(١)</sup>.

فمع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل البشر وخير الناس أجمعين لكنه كره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقال فيه هذا الكلام بعدا عن الغلو والإفراط في حقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لكن مع الأسف خالف في هذا الأمر كثير من أهل البدع والضلال، على رأسهم غلاة الصوفية ومن نحى نحوهم فغلوا في محبة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى صاروا يدعونه من دون الله تعالى، ويرجونه ويستغيثون به دون تمييز بين حق الله تعالى وحق رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثانياً: الذين سلخوا جانب الجفاء والتفريط في حقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فما قاموا بما يجب له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تقديم محبته على النفس والأهل والوالد والولد والمال وكل شيء إلا الله تعالى.

فقد أجحفوا أيما إجحاف في حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إما جهلاً وإما معاندة وإما كفراً وتفريطاً والعياذ بالله، وهم أنواع متعددة أذكر منهم الآتي:-

١- اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم من الكفار المعاندين المكذبين.

(١) أخرجه: أبو داود، في كتاب: الأدب، باب: في كراهية التمداح، (٤/٢٥٤) رقم (٤٨٠٦)،

- ٢- المنافقون الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر قديماً وحديثاً.  
 ٣- من يدعي الإسلام ويحسب عليهم كالرافضة ومن نحى نحوهم.  
 ٤- المفرطون من أهل القبلة الذين لا يعرفون حقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، جهلاً وتفريطاً، وليس نفاقاً وخبث طوية.

ثالثاً: الذين سلكوا التوسط والاعتدال وهم أهل السنة والجماعة، حيث كانوا وسطاً بين الغلو والجفاء وبين الإفراط والتفريط، فأنزلوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلة التي أنزله الله تعالى إياها فقدموا محبته على محبة أنفسهم وأموالهم وأهلهم تحقيقاً لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»<sup>(١)</sup>.

بل ورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يجب على المؤمن تقديم محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى على النفس، كما في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما قال: يا رسول الله! لأنت أحب لي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآن يا عمر»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، (١٢/١) رقم (١٥)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ، (٦٧/١) رقم (٤٤).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب: الإيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، (١٢٨/٨) رقم (٦٦٣٢).

وأهل هذا القسم هم الذين يدينون لله تعالى بحب رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَفَقَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَأَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه المحبة تقتضي  
مجموعة من اللوازم المهمة نجملها في ثلاثة لوازم رئيسة؛ وهي: اللوازم  
القولية والفعلية والاعتقادية، والتي سنذكرها فيما يلي بإذن الله تعالى.

## المبحث الأول

### لوازم المحبة القولية

#### المطلب الأول: الصلاة والسلام عليه

من أهم لوازم محبة رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثرة الصلاة والسلام عليه، وهي سمة وعلامة يعرف بها أهل السنة والجماعة، وإن كان هناك من الفرق من يتشدد بها على جهل كبير وتفريط كثير في أصول الدين وثوابته.

ولقد حثنا الله تعالى بل أمرنا تعالى بالصلاة والسلام عليه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وهذا نص واضح وبين في وجوب الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كذلك حثنا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإكثار من الصلاة والسلام عليه في أحاديث كثيرة، من أشهرها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من صَلَّى عليّ واحدة صَلَّى اللهُ عليه عشرًا»<sup>(١)</sup>، وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبخل الناس من ذكرت عنده ولم يصلّ عليّ»<sup>(٢)</sup> وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من نسي

(١) أخرجه: مسلم في كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، (١/ ٣٠٥) رقم (٤٠٨).

(٢) أخرجه: الحارث بن أبي أسامة في مسنده كما في بغية الباحث (٢/ ٩٦٣). وصححه الألباني في تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص: ٤٢).

وقد روي نحوه من حديث علي بن أبي طالب، أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه.

الصلاة علي، خطئ طريق الجنة»<sup>(١)</sup> والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ولقد بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجراً عظيماً وفضلاً كريماً لمن أكثر من الصلاة عليه، يشهد لهذا حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث جاء فيه «...قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من صلاتي فقال: ما شئت، قلت الربع؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير، قلت النصف؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير، قلت: الثلثين؟ قال: ما شئت، وإن زدت فهو خير؟ قال: اجعل لك صلاتي كلها، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إذا يغفر ذنبك ويكشف همك»<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقاً على حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سئل شيخنا أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن تفسير الحديث فقال: كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... إني أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: إذا تكفى همك ويغفر ذنبك، لأن من صلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة؛ صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفر له ذنبه هذا معنى كلامه»<sup>(٣)</sup>.

وبالتالي فالصلاة علي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أكبر أسباب مغفرة الذنوب ومحوها، ومن أكبر أسباب تفريج الهموم وكشفها.

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٩٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) أخرجه: الترمذي في أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع، (٤/ ٢١٨) رقم (٢٤٥٧)،

وحسنه.

(٣) جلاء الأفهام ص ٣٢.

ولقد تسابق علماء أهل السنة والجماعة في التأليف في هذا الباب وفضله، ودعوة الناس إلى هذه العبادة العظيمة من أشهرهم العالم الهمام: ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ، وغيره كثير حيث أشار إليها في كثير من كتبه بل صنف في ذلك كتاباً كبيراً أسماه: «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام».

### المطلب الثاني: قراءة سيرته ومعرفة شمائله

إن معرفة سيرة النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهم القضايا في حياة كل مسلم ومسلمة، بل هي من اللوازم المدللة على صدق المحبة وصدق المشاعر تجاه خير الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نحن نرى أرباب الدنيا وأهل الدنيا إذا دخل في قلوبهم محبة لشخص ما؛ فإنهم يتعرفون على كل ما يتعلق به من أخبار ومعلومات وسيرة وتاريخ، وأين ولد؟ وأين تربي؟ وأين نشأ؟ وصفاته الخلقية والخلقية، وغير ذلك من المعلومات المتعلقة بتلك الشخصية.

فإذا كان هذا يحدث لأشخاص ربما لا يشكلون أهمية أو أثراً في المجتمع فكيف برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن صدق المحبة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلزم المسلم الحق أن يتعرف على سيرته العطرة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل ما تحويه من أخبار وأفعال وأحوال، فيتعرف على تاريخه منذ أن ولد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن مات، وحياته قبل البعثة وحياته بعدها، وما لقيه قبل الهجرة وما حدث له بعد الهجرة.

كذلك على المسلم أن يتعرف على صفاته الخلقية والخلقية، وأخلاقه وسلوكه، تعامله مع المسلم وغير المسلم؛ أدبه وسمته وبذله وعفوه وصفحه، شجاعته وحنكته، حاله في الدنيا وحاله في الآخرة وغير ذلك.

أنا أرى أنه يلزم على كل مسلم ومسلمة أن يجتهد في هذه القضية؛ رب الدار في داره، والمعلم مع تلاميذه، بل حتى وسائل الإعلام بجميع أنواعها، فإن عليها مسؤولية كبيرة في هذه القضية.

لقد كثرت التأليف والتصنيف في سيرة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القديم والحديث، وتبارى أهل التصنيف في ذلك، فمنهم من تناول سيرته الكاملة، ومنهم من تناول أجزاء من سيرته أو أجزاء من شمائله وصفاته وأخلاقه، وهذا تحقيقٌ لقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

### المطلب الثالث: إثراء المجالس بسيرته العطرة والإكثار من ذكره

إن من لوازم محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إثراء المجالس الخاصة والعامة بذكر سيرته العطرة وما يتخللها من كثرة الصلاة والسلام عليه - كما مر معنا في النقطة الأولى -، والتذكير بها كثيراً، وذلك لأسباب؛ منها ما يلي:-

١. أن ذلك مما يدل وبرهن على صدق المحبة، وأيضاً هو باب كبير لتعريف الناس برسولهم الكريم، فيعرفوا سيرته وشمائله وهدية وسمته وأخلاقه وكل ما ينفعهم ويرفعهم.

٢. أن ذكر سيرته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في المجالس وما يتخلل ذلك من الصلاة والسلام عليه؛ ينال بها المسلم خيراً كثيراً، وأن المسلم بهذا الفعل

ينال من الأجر والمثوبة ما الله به عليم، سواء كان ذلك أجر العلم والتعلم أم أجر الصلاة والسلام على الرسول الكريم، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً»<sup>(١)</sup>.

٣. أن الصلاة على النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجالسنا تجنبنا الوعيد الذي ورد في أكثر من حديث، حيث يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم»<sup>(٢)</sup>.

ويقول كذلك: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا على مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

٤. أن إثراء المجالس بسيرته العطرة تعطيها حصانة من الأمراض التي تفسد على الإنسان دينه وحسناته؛ من غيبة ونميمة وسب وشتم، وغير ذلك من الأمراض المستقبحة الخبيثة التي تلطخت بها أكثر مجالس المسلمين، ولذا فإن من أعظم وسائل إصلاح المجالس دراسة السيرة الشريفة.

يقول ابن القيم رَحْمَةُ اللهِ: وهو يعدد الفوائد التي يجنيها المسلم من الصلاة والسلام على رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك يمكن أن نلحق بها

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه: الترمذي في أبواب: الدعوات، باب: في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، (٣٢٣/٥) رقم (٣٣٨٠)، وصححه.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب: كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، (٢٦٤/٤) (٤٨٥٥)، ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/١٥٨).

مدارسة سيرته العطرة: «أنها سبب لدوام محبته للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره واستحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه»<sup>(١)</sup>.

ويدخل ضمن ما سبق: تعديد فضائله وخصائصه، وما وهبه الله من الصفات والأخلاق والخلال الفاضلة، وما أكرمه به من المعجزات والدلائل، وذلك من أجل التعرف على مكانته ومنزلته والتأسي بصفاته وأخلاقه وتعريف الناس وتذكيرهم بذلك؛ ليزدادوا إيماناً ومحبة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكي يتأسوا ويحسنوا الاهتداء بهديه والافتداء بستته<sup>(٢)</sup>.

كذلك يسوغ إنشاد القصائد والأشعار فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أحق من مدح من البشر، ولذلك تسابق الصحابة رضوان الله عليهم في مدح الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكذلك سائر الشعراء في التاريخ الإسلامي، لكن ينبغي الحذر من الغلو والإفراط في مدحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لا يقع المحذور الذي نهانا عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فنقع في الغلو عياداً بالله تعالى.

(١) جلاء الأفهام ص ٢٤٨.

(٢) انظر حقوق النبي على أمته ١/ ٣٢٨.

## المطلب الرابع: التحدث بمناقبه وشمائله والخطابة والوعظ بسيرته

إن للمسجد دوراً مهماً في إظهار مكانة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونشر شمائله، وتذكير الناس بحقه عليهم وبواجبهم تجاهه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولذا فإن اجتماع المسلمين في المساجد، سواء كان ذلك في الصلوات الخمس، أم في صلاة الجمعة، أم في المناسبات المتعددة كالترابيح وصلاة الكسوف والخسوف وصلاة العيدين وغير ذلك، إن هذه الاجتماعات فرصة عظيمة لربط الناس بنبئهم وتعليمهم الكثير والكثير من سيرته وهديه.

فالواجب الملقى على عاتق الخطباء والدعاة والأئمة ليس بالأمر الهين، خاصة وأن المسلم يأتي للمسجد بطوعه واختياره راغباً في الخير متشوقاً إلى كل نافع مفيد، لذا كانت الأمانة على أهل العلم والدعوة أن يحسنوا اختيار الكتب النافعة والمواضيع الهادفة التي تتحدث عن سيرة رسولنا الكريم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، ويبلغوها للناس بأيسر طريقة وأسهل عبارة وأصدق مشاعر.

وقف الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على منبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بكى فقال: قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الأول على المنبر ثم بكى فقال: «اسألوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية»<sup>(١)</sup>.

فهذا هو الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يضرب لنا مثلاً واضحاً بيناً - للخطباء - كيف يتناولون سيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشمائله وأخلاقه وسلوكه، فحري

(١) أخرجه: الترمذي، في أبواب: الدعوات (٤٤٩/٥) رقم (٣٥٥٨)، وصححه.

بالأئمة والخطباء والدعاة والمصلحين أن يسلكوا هذا المنهج ويربطوا الناس برسولهم وقوتهم عليه أفضل صلاة وأتم تسليم.

### المطلب الخامس: عدم رفع الصوت بمسجده أو عند سماع حديثه

إن المتتبع لحال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في تعاملهم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدهش من شدة احترامهم وتوقيرهم للنبي الكريم حياً وميتاً، والذي يعيننا هنا حالهم بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأجد أقرب مثالٍ لذلك ما وقع لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما سمع رجلين يرفعان صوتهما في المسجد النبوي، فاستنكر ذلك منهما ودعا بهما فقال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قالوا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! (١)

هذا القول من عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أكبر الدلائل على أن سلفنا الصالح من أشد الناس تأدباً مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنهم يرون ذلك حقاً واجباً له حياً وميتاً.

ولذلك ينبغي للمسلم إذا دخل مسجده أن يتأدب في مسجده، وألا يرفع فيه صوته إجلالاً وإكراماً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وامثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: الصلاة، باب: رفع الصوت في المساجد، (١/١٠١) رقم

كَجَهْرٍ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ [الحجرات: ٢].

كذلك على المسلم أن يراعى ذلك في المجالس التي يقرأ ويذكر فيها حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: حماد بن زيد رَحِمَهُ اللهُ: «كُنَّا عِنْدَ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، فَسَمِعَ لَغَطًا فَقَالَ: مَا هَذَا اللَّغَطُ؟ أَمَا بَلَّغْتُمْ أَنْ رَفَعَ الصَّوْتُ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ كَرَفَعَ الصَّوْتُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ؟!»<sup>(١)</sup>.

ووصف أحمد بن سنان مجلس وكيع بن الجراح في التحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «لَا يُتَحَدَّثُ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا يُبْرَى قَلَمٌ، وَلَا يُتَبَسَّمُ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ قَائِمًا، كَانُوا فِي مَجْلِسِهِ كَأَنَّهُمْ فِي صَلَاةٍ، فَإِنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ شَيْئًا أَنْتَعَلَ وَدَخَلَ»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ذكر عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يُتَحَدَّثُ وَيَضْحَكُ فَإِذَا جَاءَ الْحَدِيثَ خَشِعَ<sup>(٣)</sup>.

هكذا كان سلفنا رَحِمَهُمُ اللهُ فِي تَوْقِيرِهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ وَمَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَرَعَى ذَلِكَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْمَحَبَّةِ الصَّحِيحَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي سَبَقْنَا إِلَيْهَا مِنْ هُمْ خَيْرٌ مِنَّا.

حيث لم يكن التأدب بالقول فقط، بل حتى بالفعل، ولا بأس من ذكره هنا إكمالاً للفائدة - مع أن مكانه في اللوازم الفعلية -.

(١) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب (٣٣٢).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١ / ٢٣٢.

(٣) تاريخ ابن عساكر (٥٣ / ٢٠٧).

من ذلك ما ذكره أبو سلمه الخزاعي - رحمه الله تعالى - : «كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة<sup>(١)</sup>، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقر به حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن أبي الزناد رَحِمَهُ اللهُ: «كان سعيد بن المسيب - وهو مريض - يقول: أقدوني فيني أعظم أن أحدث حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا مضطجع»<sup>(٣)</sup>.

ومن شواهد تعظيم السلف لحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لما مر الإمام مالك بن أنس على أبي حازم وهو يحدث فجازه ولم يجلس في مجلسه، فقيل له في ذلك، فقال: «لم أجد موضعاً فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا قائم»<sup>(٤)</sup>.

### المطلب السادس: التأليف في سيرته وهديه وشمائله

سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم سيرة في التاريخ، فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكرم منطلقاً، وأصلح سريره، وأكرم نسباً، وأظهر أمراً، وأصدق إحساساً،

(١) لباس للرأس مختلف الأنواع والإشكال، المعجم الوسيط، دار الدعوة، المحقق مجمع اللغة العربية، ٧٥٤ / ٢.

(٢) الجامع للخطيب البغدادي ٣٤ / ٢.

(٣) الجامع للخطيب ٤٥ / ٢، جامع بيان العلم ١٢٢٠ / ٢.

(٤) العلل الصغرى للترمذي ص ٧٤٨، والحلية ٣١٨ / ٦.

وألزم منهجاً، والناس لسيرته أكثر حباً ومتابعةً وتأسيًا.

ولذلك كان لزاماً على أهل العلم أن ينشروا هديه وسيرته وسلوكه وأخلاقه وكل ما يتعلق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يتأسى الناس به ويقتدوا به امثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه جل وعلا»<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن تدوين سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونشرها سيعرف الناس من خلالها كم تحمل الرسول الكريم من مشاق وآلام وصعوبات، وكم بذل من جهد وعمل ودعوة وجهاد، وكم صبر أمام الابتلاءات التي كانت تعصف به من القريب قبل البعيد في سبيل نشر هذا الدين وتعميم خيره للناس كافة، عندئذ سيزداد المسلم حباً له وسيراً على سيرته ومنهجه، ومتابعة له في جميع أحواله؛ لأنه له في رسول الله أسوة وقدوة ومثالاً.

فأرى أن التأليف في سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستلهاام الدروس والعبر المختلفة من جميع نواحي حياته الشريفة من الأمور المهمة؛ لربط الناس برسولهم فتزداد المحبة وتعظم المكانة ويكبر الشوق.

(١) تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير ٣/ ٤٧٥.

وأرى أن من حق رسولنا الكريم علينا أن تُخصَّص لهذا الأمر مشاريع بحثية متعمقة، ومسابقات عالمية عالية المستوى؛ لتقريب سيرته وحياته للناس، بأيسر طريقة، وأسهل وسيلة، وأدق عبارة، وأعلى صورة تليق به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

### المطلب السابع: عدم الكذب عليه

من لوازم محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدم الكذب عليه، وتحري الصدق في كل ما يذكر عنه أو يروى، ولقد حذرنا الرسول الكريم من هذا في كثير من الأحاديث، بل وصلت إلى أعلى درجات الصحة في الحديث الشريف؛ حد التواتر.

أخرج الشيخان من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري من حديث عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يحدث فلان وفلان قال: أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ، (١/ ٣٣) رقم

(١٠٨)، ومسلم في المقدمة، باب: في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم (١/ ٩) رقم (٢).

النار»<sup>(١)</sup>.

ولقد علق الإمام الجليل ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: «روي هذا الحديث من طريق نيفٍ وثمانين صحابياً، وصرح بتواتره ابن الصلاح والنووي، وغيرهما من حفاظ الحديث وهو الحق، فلهذا أجمع العلماء على كفر من كذب متعمداً مستجيزاً لذلك...»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك، فعلى المسلم أن يتحرى الدقة في النقل عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا حدث بحديث أن يذكره بنصه كما جاء أو بمعناه إذا لم يحفظه مع إتباع ذلك بالاعتذار كأن يقول: «أو كما جاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أو كلمة نحوها.

حدث عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان مما قال: «وما سمعته قط يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا مرة، فنظرت إليه وقد حلَّ إزاره وانتفخت أوداجه، واغرورت عيناه، فقال: أو نحو ذلك أو دون، أو قريباً من ذلك أو شبه ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأثر يعطينا الحال التي كان عليها الصحابة الكرام، وكيف كان كلامهم وروايتهم عن رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى هذا درج الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ، (١/ ٣٣) رقم (١٠٧).

(٢) انظر: الفصول في سيرة الرسول ص ٢٩٦.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٦٦/٢ وانظر شرح الشفا: ٧٤/٢.

لقد كان أكثر الناس ملازمة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومع ذلك لم يكن من المكثرين في رواية الحديث الشريف، كل ذلك خوفاً من الوقوع في الوعيد الذي ذكره رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيرهما.

فعلى المسلم أن يراعي ذلك عند ذكره حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا لم يكن يحفظ الحديث بنصه لزمه أن يفعل كما فعل ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فيتبعه بما يعذره عند الله تعالى.

### المطلب الثامن: التأدب بأفضل الألفاظ والأحوال عند ذكره

من لوازم المحبة للمصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتأدب عند ذكره، فلا نذكره باسمه المجرد، بل يذكر بوصف النبوة أو الرسالة وبما يعطي للسامع نوعاً من التعظيم والإجلال للمقام الشريف عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ولقد جاء التوجيه الإلهي الكريم بضرورة سلوك الأدب والاحترام مع خير إمام وأفضل الأنام. فقال الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]. فمقامه أعلى، وقدره أجل وأكرم من أن يدعى كغيره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولقد سلك الصحابة رضوان الله عليهم أفضل الأدب في ذلك، فعندما قدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وانتشر الخبر أخذ الناس يتناقلون مقدمه الشريف فيقولون: «جاء رسول الله، قدم رسول الله» وهكذا.

وهكذا كان الصحابة يفعلون حين كلامهم مع رسول الله فلا يخاطبونه إلا: يا نبي الله، يا رسول الله، أو جعلت فداءك، أو ما شابه ذلك.

وكذلك ينبغي مراعاة أحوالنا عند ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث سلك سلفنا الصالح أعظم الأدب في أحوالهم عند ذكر المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال عن أيوب السخيتاني: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، ولقد حج حجتي فكنت أرمقه، ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتبت عنه<sup>(١)</sup>.

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك رَحِمَهُ اللَّهُ إذا ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتغير لونه، ويتحجب حتى يصعب ذلك على جلسائه، ف قيل له يوماً في ذلك، فقال: لو رأيت ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون؛ لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا بكى حتى نرحمه.

ولقد كنت أرى جعفر بن محمد الصادق - وكان كثير الدعابة والتبسم - فإذا ذكر عنده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اصفرّ، وما رأيتته يحدث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا عن طهارة.

ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينظر إلى

(١) انظر: الشفا: (٥٩٦/٢) وسير أعلام النبلاء (١٧/٦).

لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه، هيئة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويبكى حتى لا يبقى في عينه دموع<sup>(١)</sup>.

وروى عن قتادة رَحْمَةُ اللهِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ أَخَذَهُ الْعَوِيلَ<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأخبار غيضة من فيض لما كان عليه سلفنا الصالح من الأدب والتأدب حين يذكرون رسول الله، أو يذكر لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعلى المسلم المحب له محبة حقيقة أن يأخذ منهم العبرة والقدوة، وأن هذا هو أقل ما يفعل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس هذا من الغلو المنهي عنه.

### المطلب التاسع: النصيحة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من لوازم محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النصيحة له، وهذا كما جاء في الحديث الذي يرويه الصحابي الجليل تميم الداري يقول: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(٣)</sup>.

فهذا الحديث أصل عظيم في بيان حق النصيحة للمصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقد ذكر الله تبارك وتعالى هذا الأمر فقال: ﴿وَلَا عَلَى الْمُرْضَى

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه: مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، (١/ ٧٤) رقم (٥٥).

وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ [التوبة: ٩١].

قال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ: ﴿إِذَا نَصَحُوا﴾ النصح إخلاص العمل من الغش ومنه التوبة النصوح... ونصح الشيء: إذا خلص، ونصح له القول: أي أخلصه له»<sup>(١)</sup>. والنصيحة لرسول الله: التصديق بنبوته.

وقال الخطابي رَحْمَةُ اللَّهِ: «النصاحة: إخلاص العمل، والناصح: الخالص من كل شيء، ويقال نصحته ونصحت له»<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: «وأما النصيحة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته، وبذل المال إذا أَرَادَهُ والمصارعة إلى محبته، وأما بعد وفاته فالعناية بطلب سنته والبحث عن أخلاقه وآدابه، وتعظيم أمره ولزوم القيام به، والإعراض عما يتدين بخلاف سنته، والغضب على من ضيعها لأثرة دنيا وإن كان متدينًا بها وحب من كان منه بسبيل من قرابة أو جهر أو هجرة أو نصرة أو صحبة والتشبه به في زيهِ ولباسه»<sup>(٣)</sup>.

ويذكر ابن بطال رَحْمَةُ اللَّهِ النصيحة لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «... والنصيحة لرسول الله على وجهين، فنصيحة من صاحبه وشاهده، ونصيحة

(١) تفسير القرطبي (٨/٢٢٧).

(٢) غريب الحديث للخطابي (٢/٢٢٨).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم ١/٢٢٢، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢١. بيروت.

من لم يره... وأما نصيحة من لم يره: فأن يحفظوا سنته على أمته وينقلوها ويعلموا الناس شريعته ودينه ويأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، فإذا فعلوا ذلك فهو ورثة الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فعلى المسلم أن ينصح لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإقامة دينه في نفسه والسعي إلى إقامة دين الله في الأرض بكل وسيلة ممكنة، وما أكثرها في هذا الزمن.

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري - لابن بطال (١/١٢٨) مكتبة الرشد، ط ٢.

## المبحث الثاني

### لوازم المحبة الفعلية

#### المطلب الأول: الاتباع لسنته وهديه (المتابعة لشريعته)

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

إن من أوجب اللوازم الفعلية لمحبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتباعه وطاعته والسير على منهجه والاهتداء بهديه والاقتراء بسنته والتأسي به في كل صغيرة وكبيرة في القول والفعل والاعتقاد.

وهذا مصداق لقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

يقول القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما وجوب اتباعه وامتهال سنته والاقتراء بهديه فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ فَاعْتَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، أي ينفادوا لحكمك؛ يقال: سلّم واستسلم وأسلم إذا انقاد.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾  
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿[الأحزاب: ٢١].

قال محمد بن علي الترمذي: الأسوة في الرسول: الاقتداء به والاتباع  
لستته وترك مخالفته في قول أو فعل»<sup>(١)</sup>.

ويعلق ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه الآية بقوله: «هذه الآية أصل كبير في  
التأسي برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله  
تبارك وتعالى بالتأسي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الأحزاب في صبره  
ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

ويكون الاتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاعتقادات بأن يعتقد العبد ما  
اعتقده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الوجه الذي اعتقده - من ناحية الوجوب أو  
البدعية، أو لكونه من أسس الدين أو ناقضاً لأصله أو قادحاً في كماله...  
إلخ - من أجل أنه اعتقده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويكون الاتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأقوال: بامتنال مدلولها، وما  
جاءت به من معانٍ، لا أن نكرر ألفاظها وتردد نصوصها فحسب، فمثلاً:  
الاتباع لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(٣)</sup> يكون بالصلاة

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ص ٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٧٥.

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب: بدء الأذان، باب: الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة،

(١/ ١٢٨) رقم (٦٣١).

كصلاته، والاتباع لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا»<sup>(١)</sup> بترك الحسد والنجش، والاتباع لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سئل عن علم علمه ثم كتبه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(٢)</sup> بنشر الإنسان لعلمه الصحيح النافع وعدم كتمان له.

كما يكون الاتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأفعال: بأن نفعل مثل فعله، على الوجه الذي فعله من أجل أنه فعله.

فقولنا: «مثل فعله»؛ لأنه لا تأسي مع اختلاف صورة الفعل وكيفيته.

وقولنا: «على الوجه الذي فعله» معناه: المشاركة في غرض ذلك الفعل ونيته - إخلاصاً وتحديداً للفعل من حيث كونه واجباً أو مندوباً - لأنه لا تأسي مع اختلاف الغرض والنية وإن اتحدت صورة الفعل.

وقولنا: «من أجل أنه فعله» لأنه لو اتحدت الصورة والقصد ولم يكن المراد التأسي والافتداء، فإنه لا يكون اتباعاً<sup>(٣)</sup>.

مما سبق يتضح لكل صاحب لب أن من أعظم الدلائل على صدق المحبة للمصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الاتباع الحقيقي وليس الاتباع الصوري

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: الأدب، باب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْرٌ وَلَا يَجْتَنُّهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، (١٩ / ٨) رقم (٦٠٦٦)، ومسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها، (٤ / ١٩٨٥) رقم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه: الترمذي في أبواب العلم، باب: ما جاء في كتمان العلم (٤ / ٣٢٦) رقم (٢٦٤٩)، وحسنه.

(٣) انظر: حقوق النبي ﷺ بين الاجلال والاخلال ص ٩٤.

الخيالي المزعوم الذي يدعيه الكثيرون وهم من أبعد الناس عن الحقيقة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ومما ينبغي التفطن إليه أن الله سبحانه - قال في كتابه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية، فبين الله سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن اتباع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوجب محبة الله للعبد، هذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله؛ فإن هذا الباب تكثر فيها الدعاوى والاشتباه»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ هذه القضية بقوله: ﴿يُحِبُّكُمْ اللهُ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول، وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم متفتية»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فكل من زعم محبة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو بجانب لأمر الله تعالى وأمر رسوله، فهو من أبعد الناس عن المحبة، بل هو من أكذب الزاعمين والمخادعين.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: «هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية ١٠ / ٨١.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٣ / ٢٢.

الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله»<sup>(١)</sup>.

فاتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء به والسير على نهجه والتمسك بسنته واقتفاء آثاره واتباع أقواله وأفعاله وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في العسر واليسر والمنشط والمكره هو أول علامات محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالصادق في حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من تظهر عليه هذه العلامة فيكون متبعاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهراً وباطناً ومؤثراً لموافقته في مراده بحيث يكون فعله وقوله تبعاً لما جاء به النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الثاني: نشر سنته ودينه وهديه

إن من اللوازم المهمة لمحبة الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نهتم بنشر سنته ورسالته وأمره ونهيه وسمته وهديه الذي جاءنا به؛ دون ملل ولا كسل ولا تواني - بجميع الوسائل الممكنة - وهو من أيسر حقوقه علينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ إنه لم يعذر أحداً في ذلك، فقد صح عنه أنه قال: «بلغوا عني ولو آية»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٣٥٨/١.

(٢) انظر: حقوق النبي على أمته ٣٢٣/٢.

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، (٤/١٦٨).

ويقول أيضاً: «نصّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه؛ فرب مبلغ أوعى من سامع»<sup>(١)</sup>.

ويقول كذلك: «فليبلغ الشاهد الغائب»<sup>(٢)</sup>.

كل النصوص السابقة وغيرها تحث الأمة على تبليغ دين رسولها وستته فإن هذا من أعظم القربات إلى الله تعالى، ولذلك قام الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والخلف الناصح بتولي زمام هذا الأمر، وأرخصوا فيه الغالي والنفيس وتحملوا من أجله المصاعب والمتاعب، كل ذلك حتى يظفروا برضا الله تعالى ويحوزوا على عظيم الأجر ومغفرة الوزر.

والحرص على نشر السنة وتبليغها وتعليمها للناس هو باب عظيم من أبواب محبة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه، لأن ذلك سعي لإعلاء سنته، ونشر هديه بين الناس، كذلك فيه قمع لأبواب كثير من الشرور والبدع التي تبتلى بها الأمة من وقت لآخر.

ومن لوازم نشر السنة المطهرة: حفظها وتصفيتها من انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنته

(١) أخرجه: ابن ماجه في المقدمة، باب: من بلغ علماً، (١/٨٣) رقم (٢٣٢)، والترمذي في أبواب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (٤/٣٣٠) رقم (٢٦٥٧)، وصححه.

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، (٢/١٧٦) رقم (١٧٣٩)، ومسلم في كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٣/١٣٠٥) رقم (١٦٧٩).

وبيان أكاذيبهم ودسائسهم، والرد كذلك على شبهات المستهزئين بشيء من دين الله.

فالتهاون عن الذب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنته وشريعته من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان أو زواله بالكلية، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمة وعرضه وسنته فهو كاذب في دعواه والعياذ بالله<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثالث: الرد على أعدائه وخصومه

إن من حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا أن نرد على أعدائه وخصومه الذين يسعون دائماً وأبداً إلى الانتقاص من سيرته ومكانته ودينه، وفعلهم هذا لم يسلم منه زمان طوال التاريخ؛ لأن العداوة بيننا وبينهم عداوة أزلية أبدية تبقى ما بقي الليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ولذلك طفق أعداء الإسلام يحاولون تشويه سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصورته، فما تركوا وسيلة أو طريقة قديمة أو حديثة إلا استخدموها، ولكن هيهات هيهات أن يصلوا إلى مبتغاهم أو أن ينالوا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً.

ولذلك كان من حق رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا الذب عنه، والتصدي

(١) انظر: حقوق النبي بين الاجلال والاخلال ص ٨٧.

للمغرضين والمنافقين والمستشرقين والمستغربين الذين يثون سموهم في وسائل الإعلام المختلفة ووسائل الاتصال المتنوعة إيداءً للمؤمنين ومحاربة الله ولدينه ولأوليائه.

والدفاع والذب عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآل بيته وأصحابه شرف ورفعة ينبغي العمل لأجله، كما أنه واجب على الانسان المسلم المتعلم، التحذير من المتطاولين على جناب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله سبحانه مؤيد وحافظ وناصر من نصر الدين والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

وعلى المسلم أن يعلم أن التصدي لنصرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرد على خصومه وأعدائه من أعظم القربات إلى الله تعالى، كيف لا ورسولنا قد انتدب من أصحابه من يكفيه المشركين مع أن الله قد حفظه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يردهم عنا وله الجنة»<sup>(١)</sup>.

وقال له أبو قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حين كاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسقط من الراحلة ثلاث مرات وهو نائم وكان أبو قتادة يدعمه حتى لا يسقط قال له: حفظك الله بما حفظت به نبيه<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه: مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، (٣/ ١٤١٥) رقم (١٧٨٩).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: قضاء الصلاة الفاتية،

واستحباب تعجيل قضائها، (١/ ٤٧١) رقم (٦٨١).

وقال لحسان بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين كان يتتدب للدفاع عن الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اهْجُهم وجبريل معك»<sup>(١)</sup>.

### المطلب الرابع: نبذ البدع بجميع أنواعها

من القضايا المهمة في صدق محبتنا لرسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن نعترف ونشهد بأنه ما مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وقضى ما عليه من حق تجاه أمته، بل شهد الله تعالى بهذا في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، فهذا نص صريح في إكمال الرسالة وإتمام التبليغ.

ولقد وقف الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موقفاً صارماً من البدع والمحدثات في الدين، وربى صحابته على ذلك، فساروا على نهجه وتأسوا بسيرته وسنته من بعده.

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (٤/١٠٩) رقم (٣٢١٣)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، (٤/١٩٣٢) رقم (٢٤٨٦). انظر أيضاً: حقوق النبي بين الاجلال والاخلال ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحو على صلح جور فالصلح مردود، (٣/١٨٤)، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم، في كتاب: الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، (٣/١٣٤٣) رقم (١٧١٨).

ويقول كذلك: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»<sup>(١)</sup>.

والنصوص في هذا الأمر كثيرة؛ ولذا لزم على المحب حقيقة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يلتزم بالبعد عن البدع والمحدثات التي أقر العلماء الثقات ببدعتها، بل عليه أن يدفعها ويحاربها بكل ما أوتي من قوة ووسيلة حتى تبرأ به ذمته أمام الله تعالى.

ومن تليس الشيطان على الجهلة وأهل الأهواء أنهم يزعمون أن الابتداع في دين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تمام محبته ومن الأمور المستساغة؛ لأن ذلك زيادة في الدين وليس نقصاً، وهذا جهل عظيم، فالمحبة تقتضي التسليم للمحجوب، وتتبع آثاره والوقوف عند أمره ونهيه، والحرص على عدم النقص أو الزيادة في دينه.

ولهذا نجد أن المبتدع لا يحب نشر السنة النبوية أو العمل بها، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «من المعلوم أنه لا نجد أحداً ممن يرد نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت، وأن ذلك الحديث لم يرد...، ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية ولا نشرها، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه خلافاً لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه: مسلم، في كتاب: الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، (٣/١٣٤٣) رقم (١٧١٨).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية ٥/٢١٧، ٢١٨، وكذلك حقوق النبي ﷺ بين الاجلال والاخلال ص ٨٧، ٨٨.

## المطلب الخامس: تعزيره ونصرته

من حقوق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعزيره ونصرته، وهذا امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه الكريم إذ يقول تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩].

ويقول كذلك سبحانه وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والتعزير في اللغة له معنيان، أحدها: التعظيم والنصرة والمعنى الآخر: جنس من الضرب.

فالأولى: النصر والتوقير كقوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩].  
والأصل الآخر: التعزير وهو الضرب دون الحد<sup>(١)</sup>.

وأما المعنى الشرعي للتعزير: فيقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ يقول: حموه ووقروه<sup>(٢)</sup>.

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ قال: «ينصروه»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن جرير الطبري: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: وقروه وعظموه وحموه من الناس<sup>(٤)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣١١).

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

إن تعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجلاله وتوقيره شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة، بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة.

ذلك لأنه ليس كل محب معظماً، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوّه إلى تكريمه ولا يدعوّه إلى تعظيمه.

والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يحب ممالئكه ولكن لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق رتبة المحبة<sup>(١)</sup>.

فمن حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته أن يُهاب ويُعظَّم ويُوقر ويُجلَّ أكثر من كل ولد لوالده ومن كل عبد لسيدّه، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة، وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فأبان أن حق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمته أن يكون معزراً موقراً مهيباً، وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره، ولا خلاف في أن التعزير هاهنا التعظيم<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (٢/ ١٢٤).

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ١٢٥) بتصرف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه»<sup>(١)</sup>.

ويظهر لي أن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ قد أبان عن حقيقة التعزير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه يتضمن النصر له بجميع أنواعها وأشكالها، فمن ذلك نصرته في النفس بإقامة الدين فيها وإلزامها بكل ما ورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الفرائض والواجبات والسنة في القول والفعل والاعتقاد، ظاهراً وباطناً سراً وجهراً.

وكذلك نصرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجتمع المسلم، بنشر دينه وشريعته بين الناس والدعوة إليها وحث الناس عليها، والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أفراد المجتمع المسلم.

كذلك من نصرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نشر هذا الدين عند غير المسلمين وتبصيرهم به والذود عن حياضه، ومراغمة كل من ينتقص من هذا الدين العظيم أو الرسول الكريم بجميع الوسائل الممكنة، سواء كانت مرئية أم مسموعة أم مقروءة.

وأخيراً، فتعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بد أن يكون من فعل القلب واللسان والجوارح؛ لأن استقرار التعظيم في القلب لا بد أن ينشأ عنه أثر على اللسان والجوارح من جهة، ومن جهة أخرى لا بد أن يتعدى ذلك إلى كل ما يتصل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتعظم سنته وحديثه وكذلك يعظم آل بيته وكذلك يعظم صحابته وغير ذلك مما يتصل بالنبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) الصارم المسلول ص ٤٢٢.

## المطلب السادس: التحاكم إليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعدم تقديم

### قول أحدٍ على قوله

إن من اللوازم العظيمة التي تلزم كل مسلم ومسلمة التحاكم إلى سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه وشريعته التي جاء بها من عند ربه ومولاه سبحانه وتعالى، وهذا أصل عظيم عند المسلمين لا يجوز المساس به لا من قريب ولا من بعيد.

ولقد ظهر في التاريخ من حدّث عنهم رسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه<sup>(١)</sup>.

وظهر في التاريخ من يعطل أخبار الأحاد في العقائد وأنه لا يؤخذ بها، فعطلوا الكثير من الأحاديث في العقائد والأحكام.

والصحيح أن التحاكم إلى ما جاء به رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم قواعد الدين وركائزه، بل إن الله تعالى بيّن ذلك في محكم التنزيل فقال:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فكل من خرج عن سنة رسول الله

(١) أخرجه: أبو داود في كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، (٤/٢٠٠) رقم (٤٦٠٤)،

والترمذي في أبواب: العلم، باب: ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، (٤/٣٣٥)،

رقم (٢٦٦٤)، وحسنه.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشريعته؛ فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أن لا يؤمن، حتى يرضى بحكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين أو الدنيا وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه»<sup>(١)</sup>.

فهذه قضية مسلمة عند أهل الإيمان لا مرأى فيها ولا جدال، لكن هناك نابتة نبتت في العصور المتأخرة - بكل أسف - ممن ينتسب إلى الإسلام أخذت تطعن في الإسلام ونظامه وتتهم كتب السلف والتي ينزونها بالكتب الصفراء وبأنها عفى عليها الزمان وغير ذلك من الطعون التي أربأً ببحثي أن أذكرها؛ فهؤلاء أصابوا أنفسهم في مقتل وهم لا يشعرون.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّلْعُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾

[النساء: ٦٠ - ٦١].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فجعل الإعراض عما جاء به الرسول والالتفاف إلى غيره هو حقيقة النفاق، كما أن حقيقة الإيمان هو تحكيمه وارتفاع الحرج عن الصدور بحكمه والتسليم لما حكم رضاء واختياراً ومحبة، فهذا حقيقة الإيمان، وذلك الإعراض حقيقة النفاق»<sup>(٢)</sup>.

فعلى المسلم أن يرضى بحكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقدم قول

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧١).

(٢) مختصر الصواعق المرسله (٢/ ٣٥٣).

أحد من الخلق على قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهما كانت منزلته أو مكانته، فهذا ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقول: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر»<sup>(١)</sup>.

وحدث الحميدي فقال: «كنا عند الشافعي رَحْمَةُ اللهِ فَاتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: قَضَى فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: الرَّجُلُ لِلشَّافِعِيِّ: مَا تَقُولُ أَنْتَ؟ فَقَالَ: سَبَّحَانَ اللهِ تَرَانِي فِي كَنِيسَةٍ! تَرَانِي فِي بَيْعَةٍ! تَرَانِي عَلَى وَسْطِي زَنَارٍ؟ أَقُولُ لَكَ: قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتَ تَقُولُ: مَا تَقُولُ أَنْتَ؟!»<sup>(٢)</sup>.

### المطلب السابع: زيارة مدينته ومسجده

تعتبر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ثاني أعظم مدينة في الدنيا بعد مكة المكرمة - حرسها الله وحفظها - ولذلك فلها من الفضائل الشيء الكثير والذي نقلته كتب السنة المطهرة.

إن المدينة المنورة يعظم شرفها كونها مهاجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها مسجده الذي له من الفضائل ماله، وهي دار الأنصار، وفيها قبره الشريف وقبور أزواجه المطهرات - أمهات المؤمنين - وقبور عدد من أصحابه الكرام - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - وفيها الكثير من تاريخ المسلمين، فمن لوازم محبتنا لرسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيارة تلك البقاع العظيمة وتعظيمها التعظيم اللائق بها بما يتوافق مع ثوابتنا وعقائدنا وديننا.

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٢١٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٣٥١.

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة»<sup>(١)</sup>.

ويقول كذلك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»<sup>(٢)</sup>.

ويقول كذلك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»<sup>(٣)</sup>.

فعلى المسلم أن لا يقطع زيارة المدينة المنورة، بل يتعاهدها ما بين الفينة والأخرى، وأن يعظم تلك البقاع فيعظم حرمةها، وهذا أمر واجب في حق من سكن بها أو دخل فيها، مع ما يجب على ساكنها من مراعاة حق المجاورة وحسن التأدب فيها، وذلك لما لها من المنزلة عند الله وعند رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنها من المواطن التي عمرت بالوحي والتنزيل<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: البيوع، باب: بركة صاع النبي ﷺ وحده، (٦٧/٣) رقم

(٢١٢٩)، ومسلم كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، (٩١١/٢) رقم (١٣٦٠).

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في

مسجد مكة والمدينة، (٦٠/٢) رقم (١١٩٠)، ومسلم في كتاب: الحج، باب: فضل

الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، (١٠١٢/٢) رقم (١٣٩٤).

(٣) أخرجه: البخاري في كتاب: كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: باب فضل

ما بين القبر والمنبر، (٦١/٢) رقم (١١٩٦)، ومسلم في كتاب: الحج، باب: ما بين القبر

والمنبر روضة من رياض الجنة، (١٠١٠/٢) رقم (١٣٩١).

(٤) انظر: حقوق النبي على أمته ٤٩٣/٢.

## المطلب الثامن: فعل الصالحات

من لوازم محبة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل الصالحات والمسارعة إليها والتزود منها واغتنام الأوقات في فعلها، لأن ذلك دلالة عظيمة على محبة النبي الكريم الذي جاء بهذا الخير العظيم والفضل العميم.

والنصوص الشرعية جاءت تحض الأمة على فعل الصالحات بجميع أصنافها وأحوالها، وأمرنا الشارع الكريم بكثرة العبادة وعمل الصالحات، فلا تكاد تجد لفظة الإيمان في القرآن الكريم إلا وهي متبوعة بالعمل، وهي مما يدلنا على ارتباط الإيمان بالعمل، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرَ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ - ٣].

بل إن الله تعالى أمرنا بطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿... وَمَا ءَأْتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾ [الحشر: ٧].

ولذلك ففعل الصالحات ما هو إلا تطبيق لدين الله تعالى وهو امتثال لأمر الله العظيم وأمر رسوله الكريم، وكما ذكرت آنفاً جاءت نصوص الكتاب والسنة حاثّة المؤمنين ومحفزة لهم على ضرورة تطبيق كل ما جاءهم من الأوامر الشرعية؛ لأن ذلك من أعظم أسباب نيل رضوان الله تعالى والجنة.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَحَرُّقٍ تُسْجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ آلِمِ ۗ ﴿١٠﴾ تُوْمُنُونَ  
بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ ؕ وَأَنْفُسِكُمْ ؕ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾  
[الصف: ١٠ - ١١].

فعلى المسلم أن يكون من أسرع الناس إلى العبادات بجميع أنواعها وأشكالها وأن يضرب في كل عبادة بسهم ولا يتغافل ولا يكسل، فهو لا يعلم ماذا قبل الله منه، ولا يعلم بأي حسنة سيكون رجحان ميزانه، ولينظر إلى حال سلف الأمة كيف كانوا يعملون من الصالحات حتى ولو كان أحدهم في سكرات الموت، وكتب السير والتراجم فيها الكثير من هذا.

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فليغرسها»<sup>(١)</sup>.

وما هذا الأمر والتوجيه منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا من باب حث الأمة على التزود من الصالحات، ولا يحقر المؤمن من ذلك شيئاً.

وهكذا - أيها القارئ الكريم - نجد أن حب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس زعمًا وكلامًا وأمانيًا فقط، بل هو قول وعمل أيضًا، ومتابعة كذلك، وجميع النصوص متوافرة في ذلك.

(١) أخرجه: أحمد (١٢٩٠٢)، وسنده صحيح.

## المطلب التاسع: ترك الذنوب

ومن علامات محبة الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ترك الذنوب والمعاصي وما حرم الله تعالى؛ لأن ذلك دلالة على منع النفس هواها وزجرها عن مبتغاياها وحجزها عن شهواتها التي في الغالب تكون سبباً في هلاكها.

فالذنوب والمعاصي من أعظم ما يجلب للإنسان البلاء والعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

ويقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَّتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣].

والقرآن الكريم مليء بالنصوص التي تحذر الأمة من عواقب الذنوب والمعاصي، كذلك السنة النبوية المطهرة؛ فقد صح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكثير من الأحاديث التي يحذر فيها الأمة من الوقوع في الذنوب والمعاصي، سواء كان ذلك تصريحاً أم تعريضاً يقول، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، (١٠/٤) رقم =

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجتنبوا» هو أبلغ من النهي عن اقترافها وذلك لأن الاجتناب يقتضي ترك الذنوب وما يوصل إليها.

بل يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»<sup>(١)</sup>.

ويقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدّها في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الموبقات»<sup>(٢)</sup>. هذا يقوله أنس بن مالك في عهد التابعين فماذا عسانا أن نقول في هذا الزمان.

لذلك فمن لوازم المحبة الصادقة البعد عن الذنوب والمعاصي، وعدم تعمد الوقوع فيها والتوبة إلى الله والاستغفار منها إذا وقعت، وعدم الاستهانة بالذنب مهما كان.

(٢٧٦٦)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، (١/ ٩١) رقم (٨٩).

(١) أخرجه: أحمد (٣٨١٨)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٦٠١١ باب ما يتقى من محقرات الذنوب.

## المبحث الثالث

### لوازم المحبة الاعتقادية

#### المطلب الأول: محبة آل بيته

من لوازم محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبة آل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصالحين - وإكرامهم وتقديرهم وموالاتهم، فلهم شرف يزيدون به عن باقي المسلمين ألا وهو شرف النسب، ولذلك أوصى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم خيراً.

يقول الصحابي الجليل زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً خطيباً بمكان يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين بن سبرة: ومن أهل بيته يا زيد؛ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه: مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله

فهذا الحديث بين مكانة آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف حث رسولنا الكريم على إكرامهم وحفظ حقوقهم، كذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومن تبعهم من سلف هذه الأمة كان لهم القِدح المعلى في ذلك ويضيق الحال أن نستقصي أخبارهم في ذلك، فعن عمر بن أبي سلمة قال: لما أنزلت آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والرسول في بيت أم سلمة، دعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»<sup>(١)</sup>، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن الله تعالى لما اصطفى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع من سواه وخصه بما عمَّه به من فضله الباهر وحباه، أعلى بركته من انتمى إليه نسباً أو نسبة، ورفع من انطوى عليه نصره وصحبة، وألزم مودة قرباه كافة بريته، وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريته»<sup>(٢)</sup>.

عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله جبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(٣)</sup>.

وكما ذكرت آنفاً أن الصحابة الكرام كانوا من أشد الناس تعظيماً لآل

(١) أخرجه: الترمذي في أبواب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأحزاب، (٥/ ٢٠١) رقم (٣٢٠٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ٥٣٠).

(٢) المواهب اللدنية: للقسطلاني، تحقيق صالح الشامي ٥٨/٣ المكتب الإسلامي.

(٣) أخرجه: أحمد (٢١٥٧٨)، وصححه الألباني في (١/ ٤٨٢).

البيت لمعرفةهم الصادقة بمكانتهم، وامثالاً لو وصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
٠٣٦٠

فهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي»<sup>(١)</sup>.

وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه يطلب من العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عام الرمادة أن يستسقي بالناس فسقوا، وكان يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فستسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نينا فاسقنا»<sup>(٢)</sup>، وهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يأخذ بركاب الصحابي الجليل زيد بن ثابت فيقول له: تنح يا ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال له: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا، فقال زيد: أرنى يدك، فأخرج يده، فقبلها زيد وقال: «هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نينا»<sup>(٣)</sup>.

وأهل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشمل أهل بيته وعترته وهم بنو هاشم وبنو المطلب وأمهات المؤمنين زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذريته نسله وعترته الشاملة لبناته وللحسن والحسين وأولادهما<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه: البخاري في كتاب: أصحاب النبي، باب: مناقب قرابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (٥/٢٠) رقم (٣٧١٢).

(٢) أخرجه: البخاري في أبواب: الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، (٢/٢٧) رقم (١٠١٠).

(٣) أخرجه: الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٤/١٤٦).

(٤) انظر: شمائل المصطفى: د/ وهبة الزحيلي ص ٤١٠، دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٦م، دمشق.

قال تعالى: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

وعلى ما سبق فيجب على المسلم أن يراعي حق رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آل بيته ويعرف لهم حقهم ومكانتهم وتقديرهم - من غير إفراط ولا تفريط - فهذا من أبسط لوازم محبة الرسول الكريم علينا فضلاً على أن الله أمر بها وكذلك رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

### المطلب الثاني: عدم الغلو فيه وعدم الجفاء عنه

الغلو: هو مجاوزة الحد؛ بأن يزداد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

ولقد جاء ذكر الغلو في القرآن الكريم في موضعين حيث قال تعالى:

١- ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

٢- ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١٦).

## السَّكِيلُ ﴿ [المائدة: ٧٧].

وأصل الغلو في كل شيء: مجاوزة حده الذي حده، ويقال منه في الدين؛  
قد غلا فهو يغلو غلواً<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «نهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء،  
وهذا كثير في النصارى، فإنهم يجاوزون الحد في عيسى حتى رفعوه فوق  
المنزلة التي أعطاها الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من  
دون الله يعبدونه كما يعبدونه..»<sup>(٢)</sup>.

وقد حذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته كذلك من الغلو في حقه  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك لما ينطوي عليه الغلو من الشر العظيم، ولما يعلمه  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من منزلته في قلوب المؤمنين، فقد خشى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن  
يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له وتشريكه  
مع الله في بعض ما هو حق لله، فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب  
مختلفة وذلك حماية منه لجناب التوحيد وقطعاً لذريعة الشرك، حيث جاء  
تحذيره تارة بأسلوب النهي الصريح، وتارة بالتجاءه إلى ربه ودعائه بأن لا  
يتحول قبره إلى وثن يعبد، وتارة بلعنه الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم  
مساجد<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/٣٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٨٩).

(٣) انظر: حقوق النبي على أمته (٢/٦٥٣).

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

لذلك وجب على المسلم أن يتعد عن طرفي الأمور؛ فلا يغلو في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يجفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب فيها التوسط، فلا إفراط ولا تفريط، وهذا ما كان عليه السلف الصالح.

ولما سمع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يقول: ما شاء الله وشئت، قال: «جعلتني لله نداً، ما شاء الله وحده»<sup>(٢)</sup>.

فهذا يعطينا رؤية واضحة كيف حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إبعاد أمته من كل شائبة تقدر في عقيدتهم حتى ولو كانت كلمة صغيرة في حقه.

وأما الجفاء فالمقصود بالجفاء: هو رد ما ثبت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخصائص والفضائل أو رد بعضها، وفي هذا معنى الجفاء الذي يقطع الصلة المتولدة في القلب من المحبة والتعظيم نتيجة اعتقاد عدم ثبوت تلك الخصيصة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو جعل تلك الخصيصة لعامة الناس.

وأيضاً يدخل في معنى الجفاء ما جعله الأتباع لمشايخهم وأئمتهم من الفضائل والمناقب ما لم يكن له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا من الجفاء، إذ إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاق في فضله جميع الأنبياء والمرسلين، بل هو سيدهم

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب قول الرجل ما شاء الله وشئت، (١/ ٢٧٤)

(٧٨٣)، وصححه الألباني [صحيح الأدب المفرد (١/ ٢٩٢)]، والحديث أخرجه

البخاري في صحيحه بغير هذا اللفظ، وابن ماجه في السنن والنسائي أيضاً.

وإمامهم، فلا شك أن تقديم غيره عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفضائل من أعظم الجفاء؛ لأن في ذلك التقديم والتعظيم للغير تنشأ المحبة التي تفوق محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لا يبقى منها إلا الادعاءات التي يعبرون عنها في الموالد والاحتفالات.

ويدخل في الجفاء أيضاً ترك التأسّي به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هديه، والتأسّي بغيره. والجفاء في كل ذلك تختلف درجته، فمنه ما يكون كفراً والعياذ بالله، ومنه ما هو دون ذلك<sup>(١)</sup>.

الشاهد أن الجفاء له صور متعددة وكثيرة تختلف باختلاف حب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه، فكلما كانت المحبة صادقة والتأسّي حاضراً والمتابعة موجودة كان صاحبها من أبعد الناس عن الجفاء، وكلما انغمس الإنسان في الدنيا وهجر دين الله تعالى ونسي أو تناسى الرسول الكريم صار من الجفاء بمكان عظيم.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فما أمر الله تعالى بأمر إلا للشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط (جفاء)، وإما إلى إفراط (غلو)، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضالّتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيّع له، فالغالي فيه: مضّيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا يتجاوزه الحد»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: خصائص النبي بين الغلو والجفاء، د/ الصادق بن محمد بن إبراهيم ص ٢١-٢٢.

(٢) مدارج السالكين (٢/٥١٧).

### المطلب الثالث: اعتقاد أنه أفضل الناس أجمعين:

من أعظم حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتقاد أنه أفضل الناس قدراً وأكرم الخلق حالاً وأنه سيد ولد آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو صاحب الحوض المورود واللواء المعقود، والشفاعة العظمى فلا يجوز تقديم (أحد من البشر) كائناً من كان عليه في المحبة، سواء كان ذلك ولداً أم والداً أم مالا أم حالاً أم غير ذلك، فقد توعد الله سبحانه من يقدم عليه أحداً سوى الله - بالتهديد العظيم والزجر المخيف حيث قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا؛ أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم»<sup>(١)</sup>.

وقال مجاهد والحسن رحمهما الله تعالى في تفسير قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: «بُعُوبَةٌ آجَلَةٌ أَوْ عَاجِلَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

ويقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله

(١) مختصر تفسير ابن كثير للرفاعي (٢/ ٣٢٤).

(٢) تفسير القرطبي (/ ٩٥-٩٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا خلاف في ذلك وأن ذلك مقدم على كل محبوب»<sup>(١)</sup>.  
وفي الحديث الصحيح من رواية أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما  
سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله عز وجل، ومن يكره أن يعود في  
الكفر، بعد إذ أنقذه الله، منه كما يكره أن يلقى في النار»<sup>(٢)</sup>.  
فدلّ الحديث على أنه لا يجوز أبداً تقديم محبة أي شيء على محبة الله  
تعالى أولاً ثم محبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثانياً.  
وفي الحديث الصحيح يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن عبد حتى أكون  
أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق (٨/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان، (١٣/ ١) (٢١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، (١/ ٦٦)، (٦٧)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، (٢/ ١٣٣٨)، (٤٠٣٣)، والترمذي في أبواب الإيمان، (٥/ ١٥٩)، (٢٦٢٤)، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه، باب طعم الإيمان (٨/ ٩٤)، (٤٩٨٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم، في باب لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين، (١/ ١٣٣)، (١٦٤)، والحديث المذكور في الصحيحين بلفظ: «لا يؤمن أحدكم» البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١/ ١٢)، (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة (١/ ٦٧)، (٦٩)، وكذا في سنن ابن ماجه في باب في الإيمان (١/ ٢٦)، (٦٧)، وأيضاً في سنن النسائي في كتاب الإيمان وشائعه، باب علامة الإيمان (٨/ ١١٥)، (٥٠١٤).

فهذا نص واضح بين في وجوب تقديم محبة الرسول الكريم على كل محبوب من المخلوقين، سواء كان ذلك ملكاً مقرباً أم نبياً مرسلأً أم قريباً مبعجلاً.

### المطلب الرابع: الشوق إلى رؤيته ولقائه:

من أعظم علامات محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشوق إلى رؤيته ولقائه وتمني ذلك، فهل هناك أحد من البشر هو أعظم قدراً وأجل مكانة منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولقد أخبر بهذا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «من أشد أمتي لي حباً؛ ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رأني بأهله وماله»<sup>(١)</sup>.

وهذه شهادة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قضية الشوق الذي ينبغي أن يخالط كل القلوب المسلمة، التي آمنت برها سبحانه ورسولها الأمين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة في ذلك، حتى أن الواحد منهم لا يكاد يصبر على فراق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يظن أنه سيفارقه الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه لما ظن أنه قد يحرم من رؤية الرسول الكريم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة تعيمها وأهلها، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله

وماله، (٤/٢١٧٨)، (٢٨٣٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرض وذهبت عافيته حتى بشره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما طمأنه وأذهب ما في نفسه، في القصة المشهورة<sup>(١)</sup>.

وهذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكاد يطيش عقله لما توفي الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: من زعم أن رسول الله مات ضربته بالسيف، وإنما ذهب لمقابلة ربه كموسى بن عمران<sup>(٢)</sup>.

وهذا زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرضى بأن يكون عبداً مملوكاً عند الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبجانبه ولا يرضى بالحرية مع والده وأقاربه<sup>(٣)</sup>.  
وحينما قدم الأشعريون من اليمن ما كان رجزهم الذي يرتجزونه في طريقهم إلا: «غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه»<sup>(٤)</sup>.

أما بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد سمع زوجته تقول في مرض موته «وا بلالاه! واحزنناه!»، فردّ عليها قائلاً: «بل واطرباه... غداً ألقى الأحبة، محمداً وحزبه»<sup>(٥)</sup>.

وما سبق غيظ من فيض حملته لنا كتب السير والتراجم عن حال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وحالهم وشوقهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) تفسير روح المعاني، ٣/ ٧٣، دار الكتب العلمية، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ١٤١٥.

(٢) أخرجه البخاري باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ حديث رقم ٣٣٩٤.

(٣) أخرجه البخاري باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ حديث رقم ٣٣٩٤.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٥٠) والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٥١).

(٥) كتاب الشفا (٢/ ٥٦٩).

ويخبرنا الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمدى عمق الشوق الذي سيصل بالمسلمين بعد الصحابة للقاءه فيقول: «والذي نفس محمد في يده ليأتين على أحدكم يوم لا يراني، ثم لأن يراني معهم أحب إليه من أهله وماله»<sup>(١)</sup>. فإذا لم يجد المسلم هذا الشوق العارم في نفسه وقلبه تجاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليتهم نفسه وليجدد إيمانه وليصحح عقيدته.

### المطلب الخامس: أن تعتقد ما اعتقده

من أعظم القضايا في حياة المسلم صحة عقيدته وسلامة دينه ووضوح منهجه الذي يسير عليه ويدين الله تعالى به.

والرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان ليدعو الناس إلى دين وعقيدة ويتركها هو أو يفرض فيها، بل كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلاً حقيقياً صادقاً للمؤمن التقي النقي الذي يلتزم دين الله تعالى ظاهراً بالسلوك الحسن وباطناً بالاعتقاد الصحيح القائم على كتاب الله تعالى، ولذلك جاء الأمر من الله تعالى بوجوب اتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسير على نهجه وعدم مخالفته، وأن ذلك من أعظم أسباب النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة وسبب عظيم لنيل محبة الله تعالى للعبد.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٣٦٥.

وقال تعالى: ﴿... وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»<sup>(١)</sup>، وغير ذلك من النصوص الشرعية.

فالسير على هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو طريق النجاة، واعتقاد ما اعتقده رسول الله هو الطريق الأوحى الذي لا يوجد غيره طريق أبداً.

فكل عقيدة تضبط على عقيدته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن وافقت فقد نجا صاحبها وإن خالفت كان عليه من الوزر ما يقوم عليها، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا...﴾ [النور: ٦٣].

فيجب الإيمان والتصديق والاعتقاد بكل ما جاء به الرسول الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواء كان ذلك في أصول الدين كالإيمان بأركان الإيمان الستة «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»، وما يتعلق بها من لوازم، أم في أركان الإسلام الظاهر «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً»، وما يلزم ذلك في جميع فروع الدين الذي جاء به رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا مجال لأحد أن يجحد أمراً جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب العلم، (١/١٧٢)، (٣١٩).

يجادل فيه أو يتخلى عن تطبيقه بحجة أو بغير حجة، فالله قد أكمل به الدين وأقام به الإسلام وختم به النبوة.

قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

### المطلب السادس: رجاء شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الآخرة

من اللوازم الاعتقادية المهمة للمؤمن أن يرجوا نيل شفاعته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، وهي ما يسميها أهل السنة والجماعة: «المقام المحمود» وهذا لا يكون إلا لشخص واحد، ولا يكون أحد غير نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست واحدة بل هي كثيرة ومتنوعة فمنها شفاعته لأهل الموقف أن يقضي فيهم، كذلك شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الجنة أن يدخلوها، وكذلك شفاعته لبعض أهل الجنة أن يرتفعوا فيها، كذلك شفاعته لبعض أهل النار من الموحدين أن لا يدخلوها، كذلك شفاعته لبعض الموحدين أن يخرجوا من النار، كذلك شفاعته لعمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب في النار فهو أقلهم عذاباً والعياذ بالله.

وطلب الشفاعته منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تكون إلا بالطرق الشرعية الصحيحة التي تكون بعيدة عن البدعيات والشبهات، فهي لا تطلب منه مباشرة كأن يقول المسلم: يا رسول الله اشفع لي، لكن تكون بدعاء المولى

سبحانه وتعالى بأن يشفع فينا رسوله الكريم.

فالشاهد أن شفاعته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلب مهم وعظيم، لا بد أن يسعى إليه المؤمن ويرجو تحقيقه بطريقة سليمة صحيحة.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، (٤/١٧٨٢)،

## الخاتمة

- الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد.
- فبعد هذه الرحلة الماتعة مع جانبٍ من لوازم محبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخلص إلى التالي:
- الإيمان عند أهل السنة؛ قول وفعل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وكذلك المحبة للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ قول وفعل واعتقاد، تزيد بالطاعة وتنقص بالمعصية، فالتلازم بينهما واضح جداً.
  - المحبة الحقيقية تتلازم نقلاً وعقلاً مع محبة الله تعالى المذكورة في النصوص الشرعية.
  - أن أهل السنة والجماعة؛ يظهرون محبتهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال كل عبادة يقومون بها، سواء كانت تلك العبادة قولية أم فعلية أم اعتقادية؛ لأن الاتباع يعد أعظم مظهر من مظاهر المحبة والإجلال؛ للرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، دون غلو ولا جفاء.
  - المحبة الحقيقية ليست مقترنة بزمن أو مكان أو حال، بل هي عامة وشاملة لكل زمان ومكان وحال، بعيداً عن الإفراط أو التفريط.
  - المحبة الحقيقية من أبعد ما يكون عن البدع والمحدثات في الدين؛ لأن ذلك هو لازم الإلتباع والموافقة دون غلو ولا جفاء.
  - ظهر لي أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لا يمكن أن يجاريهم أحد في محبة الرسول الكريم، وإجلاله وتوقيره، لا بالقول ولا بالفعل ولا بالاعتقاد.

- إن فعل المعاصي والذنوب، والتفريط في الواجبات والعبادات من أكبر الشواهد على عدم المحبة الحقيقية للرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مهما زعم الزاعمون وادّعى المتشذقون.
- يحتاج المجتمع -في هذا الباب- إلى وضع مشاريع بحثية عالمية متجددة ومتنوعة، وكذلك مسابقات على مستوى عالٍ؛ لإبراز مكانة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الحقيقية اللائقة به.
- على الدعاة والخطباء والأئمة تبعة عظيمة تجاه رسولهم الكريم، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ليعرّفوا الناس برسولهم؛ ويأخذوا بأيدهم إلى سلوك المنهج القويم، وسلوك الصراط المستقيم في محبته والافتداء به ومتابعته.
- وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١/ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢/ امتاع الاسماع بما للنبي من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)

٣/ تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤/ تحقيق فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤلف: إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي الجهضمي (المتوفى: ٢٨٢هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٩٧٧م، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٥/ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:

٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٦/ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٧/ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير - محمد نسيب الرفاعي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض.

٨/ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

٩/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠/ جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبي عمر يوسف بن عبد الله

النمري القرطبي، دراسة وتحقيق أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣هـ.

١١/ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٢/ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

١٣/ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢ م.

١٤/ جلاء الأفهام، المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.

١٥/ حقوق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الاجلال والاخلال، تأليف: جماعة من العلماء، الناشر: مجلة البيان [www.albayan-magazine.com](http://www.albayan-magazine.com)

١٦/ حقوق النبي على أمته، تأليف د. محمد بن خليفة التميمي، المفكرة الدعوية [www.dawahmemo.com](http://www.dawahmemo.com)

١٧/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن

- عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ١٨/ خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، المؤلف: الصادق بن محمد بن إبراهيم الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى.
- ١٩/ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- ٢٠/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألويسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢١/ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)
- ٢٢/ سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه - وماجه اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٢٣/ سنن أبي داود: المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
- ٢٤/ سنن الترمذي = الجامع الكبير: المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرَة

بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف،  
الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء:  
٦.

٢٥/ سنن النسائي الكبرى: المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن  
النسائي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ -  
١٩٩١، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، عدد  
الأجزاء: ٦.

٢٦/ سير أعلام النبلاء: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن  
أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين  
بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة،  
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٢٥.

٢٧/ شرح العقيدة الطحاوية: المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين  
علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق:  
شعيب الأرناؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة -  
بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٨/ شرح صحيح البخاري لابن بطلال، المؤلف: ابن بطلال أبو الحسن  
علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن  
إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية،  
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٩/ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض اليعقوبي، تحقيق  
مصطفى العدوي، وعبد الرحمن العلاوي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى،

١٤٣٣هـ.

٣٠/ شمائل المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٣١/ الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري.

٣٢/ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٣/ صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ.

٣٤/ العلل الصغير، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (مطبوع بأخر المجلد الخامس).

٣٥/ غريب الحديث، المؤلف: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ.

تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي.

٣٦/ الفصول في سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤلف: الامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير ٧٠١ - ٧٤٧هـ.

٣٧/ المجالسة وجواهر العلم، المؤلف: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

٣٨/ مجموع الفتاوى: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١٥.

٣٩/ مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة: اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلبي شمس الدين، ابن الموصلی، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٠/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣.

٤١/ المستدرک على الصحيحين: المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن

عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني  
النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر:  
دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠، عدد  
الأجزاء: ٤.

٤٢/ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن  
محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق:  
شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،  
إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة،  
الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٤٣/ المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، المؤلف: أبو نعيم  
أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني  
(المتوفى: ٤٣٠هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي،  
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ -  
١٩٩٦ م.

٤٤/ مقاييس اللغة: المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي،  
أبو الحسين، المحقق عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام  
النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء: ٦.

٤٥/ المعجم الوسيط: المؤلف: إبراهيم مصطفى وفريقه، تحقيق: دار  
الدعوة.

٤٦/ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين  
أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم

بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق:  
 محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،  
 الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٤٧/ المنهاج في شعب الإيمان، المؤلف: الحسين بن الحسن الحلبي أبو  
 عبد الله، المحقق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: ١٣٩٩  
 - ١٩٧٩.

٤٨/ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي  
 بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين  
 (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.

## فهرس الموضوعات

- ملخص البحث ..... ١٩٥
- المقدمة ..... ١٩٨
- تمهيد ..... ٢٠١
- المبحث الأول: لوازم المحبة القولية ..... ٢٠٥
- المطلب الأول: الصلاة والسلام عليه ..... ٢٠٥
- المطلب الثاني: قراءة سيرته ومعرفة شمائله ..... ٢٠٧
- المطلب الثالث: إثراء المجالس بسيرته العطرة والإكثار من ذكره ..... ٢٠٨
- المطلب الرابع: التحدث بمناقبه وشمائله والخطابة والوعظ بسيرته ..... ٢١١
- المطلب الخامس: عدم رفع الصوت بمسجده أو عند سماع حديثه ..... ٢١٢
- المطلب السادس: التأليف في سيرته وهديه وشمائله ..... ٢١٤
- المطلب السابع: عدم الكذب عليه ..... ٢١٦
- المطلب الثامن: التأدب بأفضل الألفاظ والأحوال عند ذكره ..... ٢١٨
- المطلب التاسع: النصيحة للنبي ﷺ ..... ٢٢٠
- المبحث الثاني: لوازم المحبة الفعلية ..... ٢٢٣
- المطلب الأول: الاتّباع لستته وهديه (المتابعة لشريعته) ..... ٢٢٣
- المطلب الثاني: نشر سنته ودينه وهديه ..... ٢٢٧
- المطلب الثالث: الرد على أعدائه وخصومه ..... ٢٢٩
- المطلب الرابع: نبذ البدع بجميع أنواعها ..... ٢٣١

- المطلب الخامس: تعزيره ونصرته ..... ٢٣٣.
- المطلب السادس: التحاكم إليه ﷺ، وعدم تقديم قول أحدٍ على قوله ..... ٢٣٦.
- المطلب السابع: زيارة مدينته ومسجده ..... ٢٣٨.
- المطلب الثامن: فعل الصالحات ..... ٢٤٠.
- المطلب التاسع: ترك الذنوب ..... ٢٤٢.
- المبحث الثالث: لوازم المحبة الاعتقادية ..... ٢٤٤.
- المطلب الأول: محبة آل بيته ..... ٢٤٤.
- المطلب الثاني: عدم الغلو فيه وعدم الجفاء عنه ..... ٢٤٧.
- المطلب الثالث: اعتقاد أنه أفضل الناس أجمعين: ..... ٢٥١.
- المطلب الرابع: الشوق إلى رؤيته ولقائه: ..... ٢٥٣.
- المطلب الخامس: أن تعتقد ما اعتقده ..... ٢٥٥.
- المطلب السادس: رجاء شفاعته ﷺ في الآخرة ..... ٢٥٧.
- الخاتمة ..... ٢٥٩.
- المصادر والمراجع ..... ٢٦١.
- فهرس الموضوعات ..... ٢٧٠.



# منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع

د. عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل

أكاديمي سعودي؛ أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## ملخص البحث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فهذا ملخص لبحث (منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع). وقد قسّمت البحث إلى مقدمة وسبعة مباحث.

تكلّمت في المقدمة عن أهمية البحث ومنزلة النصيحة من الدين، ثم ذكرت منهجي في البحث.

أما المباحث فكانت كالتالي:

**المبحث الأول: تعريف النصيحة وأهميتها في الدين:**

تكلّمت فيه عن التعريف اللغوي والاصطلاحي للنصيحة، ثم تكلّمت عن أهمية النصيحة ومنزلتها من الدين مدعماً ذلك بأدلة من الكتاب والسنة.

**المبحث الثاني: تعريف البدعة والمبتدعة:**

عرفت البدعة لغة واصطلاحاً، وبيّنت من هم المبتدعة الذين أقصدهم في البحث.

**المبحث الثالث: أهمية نصيحة المبتدع:**

وبيّنت ذلك من خلال عدة أمور، وهي:

- ١- حفظ الدين. ٢- حصول الاجتماع والاعتصام بحبل الله تعالى. ٣-
- أن البدعة من أعظم أسباب الكفر والردة. ٤- توجيه المبتدع إلى أن يكون

لبنة بناء في المجتمع.

### المبحث الرابع: منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع:

وهو لب البحث وأساسه، وقد بيّنته من خلال عدة أمور، وهي:

- ١- إخلاص النية لله تعالى . ٢- الرفق واللين . ٣- التثبت في الحكم . ٤- العدل مع المبتدع . ٥- تأسيس النصيحة على الاستدلال بالكتاب والسنة .
- ٦- التخليط في النصيح إذا كانت المصلحة تقتضيه . ٧- عدم توسيع دائرة البدعة . ٨- العلم والبصيرة في نصيح المبتدع ومناقشته . ٩- التفريق بين المداراة والمداهنة . ١٠- الحذر عند مخالطة المبتدع لنصيحته .

### المبحث الخامس: مسألة توبة المبتدع:

وضعت هذه المسألة لبيان معنى ما ورد من أن التوبة محجوبة عن المبتدع، وأن البدعة لا يتاب منها؛ لأن مقصد البحث هو أن يتوب المبتدع ويرجع إلى السنة.

فبيّنت أن المبتدع مطلوب منه أن يتوب، وأنه إذا تاب قبلت توبته، وبيّنت وجه المعنى المراد من عدم التوبة على المبتدع بأنه ما جرت به عادة المبتدع من تعلق الشبهة من قلبه مما يحجبه عن معرفة خطئه وبالتالي لا يحدث توبة من ذلك.

أما عند تبين الخطأ والضلال له ورجوعه إلى الحق فإن التوبة مقبولة منه، شأنه شأن كل من تاب من ذنب، فإن الله تعالى يتوب عليه.

### المبحث السادس: مسألة هجر المبتدع:

بينت في هذه المسألة الموقف الشرعي من هجر المبتدع ونصيحته

الموجبة لمخالطته، وأنه لا تعارض في ذلك؛ إذ أن لكل حالة ما يناسبها من ذلك.

المبحث السابع والأخير: نماذج من نصيحة علماء أهل السنة للمبتدعة:  
ذكرت فيه نموذجين في ذلك؛ مراعاة لقدر للاختصار الذي هو طبيعة هذا  
البحث:

١- نصيحة ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا للخوارج. ٢- نصيحة عمر بن عبدالعزيز  
رَحِمَهُ اللهُ لغيلان الدمشقي.

وختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله.  
ثم وضعت فهرساً للمصادر، وآخر لموضوعات البحث.  
أسأل الله تعالى أن يجعل ما كتبت في هذا البحث شاهداً لي، ومباركاً  
نافعاً لكتابته وقارئه وسامعه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه

عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل

alhuthail@yahoo.com

*The Methodology of Ahlu-Sunnah wal-Jama'ah in Advising  
the People of Innovation.*

**Dr. Abdullah bin Abdur-Rahman al-Hudhail**

*Saudi Academic, Associate Professor in the Department of  
Islamic Creed and Contemporary Schools of Thoughts  
Imam Muhammed Ibn Saud Islamic University*

**Abstract**

*In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful .*

*All praise is due to Allah the Almighty. May Allah exalt the  
mention and send peace on the Prophet Muhammed, and all  
those who follow his guidance. Having said so (To proceed):*

*The following is a summary of the research paper titled:  
"The Methodology of Ahlus-Sunnah wal-Jama'ah in Advising  
the People of Innovation."*

*I have divided this research into an introduction and seven  
chapters.*

*In the introduction I addressed the importance of this study,  
the status of advice in our religion [i.e. Islam], and I also stated  
the methodology which I will use to write this research.*

*The chapters are as follows :*

**First chapter:** *The definition of advice and its importance in  
Islam:*

*I mentioned the linguistic and conceptual definition of  
advice, then I spoke about the importance of advice and its  
status in Islam which I have supported with proofs and  
evidences from the Glorious Quran and the practices of the  
Messenger (may Allah exalt his mention and send peace on  
him).*

**Second chapter:** *The definition of innovation and innovators:*

*I mentioned the linguistic and conceptual definition of innovation and I pointed out who are meant by innovators in this study.*

**Third chapter:** *The importance of advising the innovator:*

*I clarified this through the following :*

- 1- *Safeguarding the religion.*
- 2- *The occurrence of unity and holding on to the Rope of Allah the Almighty.*
- 3- *Innovation is one of the major reasons behind disbelief and leaving the fold of Islam.*
- 4- *Guiding the innovator to become one of the building bricks of the society .*

**Chapter Four:** *The methodology of Ahlus-Sunnah in offering advice to the innovator:*

*This is the core of this research and its foundation. I have explained this through the means of several points, and they are :*

1. *Purifying the intention for Allah the Almighty.*
2. *Being gentle and lenient.*
3. *Verifying the ruling and establishing its correctness.*
4. *Being just with the innovator.*
5. *Basing the advice upon the Glorious Quran and the prophetic traditions.*
6. *Harshness while advising if necessary.*
7. *Limitation of the circle of innovation.*
8. *Importance of having sound knowledge and judgment while advising and debating with the innovator.*
9. *Differentiating between being kind and being hypocritical.*

10. Being cautious of mixing with the innovator while offering advice.

**Chapter Five:** *The issue of repentance of the innovator :*

*I included this matter in this study to shed light on what is meant by 'the innovator is blocked from repenting', and that innovation cannot be repented from. I did that because one of the main reasons behind this study is for the innovator to repent and return to the path of the messenger (may Allah exalt his mention and send peace on him.)*

*I illustrated that it is required from the innovator to repent to Allah the Almighty, and verily if he does repent that Allah the Almighty will accept his repentance.*

*I also explained that the innovator has to repent, and if he repents that Allah will accept this repentance from him if he understands the depth of his innovation .*

*I also clarified the meaning that the innovator is blocked from his repentance. The true meaning is that his heart is being clung to his innovation and that he doesn't know the true extent of his fault because of the innovation being rooted in his heart. This prevents him from repenting because he is being blinded by this innovation. On the circumstances that the depth and seriousness of his innovation and misguidance is explained to him, the repentance will be accepted from him. His repentance in that case becomes like that of any other person, and verily Allah the Almighty will forgive him.*

**Chapter Six:** *The matter of boycotting the innovator:*

*I clarified in this chapter the legislated Islamic position of boycotting and advising the innovator which necessitates mixing with him, and that there is no contradiction in this, as this mingling varies as each case has a need for it.*

*Chapter Seven; the last and final chapter: examples of advice from the scholars of Ahlus-Sunnah:*

*I sufficed with two instances of such advices, as this kind of research should be concise:*

- 1. The advice of Ibn 'Abbas (may Allah be pleased with him) to the kharijites.*
- 2. The advice of Umar bin 'Abdul-'Aziz, (may Allah be merciful to him), to Ghailan ad-Dimishqi.*

*I concluded the research by summarizing the most important results which I have found.*

*Then I made an index for the references and another index for the topics.*

*I ask Allah the Almighty to make this research bear witness for me, and make it blessed for the writer, the reader and hearer of it.*

*All Praise is Due to Allah the Almighty. May Allah exalt the mention and send peace on the Prophet Muhammed, his family members and companions.*

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، منّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فكان لهم خير ناصح، وأصدق مشفق، وأهدى دليل، وكان بهم رؤوفاً رحيماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن الحياة لا تطيب إلا بطيب الأقوال والأفعال تكون متبادلةً بين العباد، يُنشر بها الخير، ويُقوّم بها السبيل، ويُصحح بها الخطأ، وتزين الحياة بحب الناصح ونصيحة المحب.

ومن هنا كانت النصيحة في ديننا هي الدين كله كما أخبر بذلك نبينا ﷺ بقوله: «الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(١)</sup>، فمتى فهمت النصيحة وكانت واقعاً في الحياة فثم الدين فهماً وامتثالاً.

وما وجد الشيطان شيئاً أعوق لطريقه، ولا أضيّق لمداخله على العباد مثل النصيحة؛ حين يكون هو يدل على الشر فتأتي الدلالة على الخير صادةً له، وحين يكون فرحاً باعوجاجٍ يصيبُ به من أغواه، فإذا النصيحة تُقوّم

(١) رواه مسلم - باب بيان أن الدين النصيحة رقم ٥٥.

الطريق، وتعديل الميل.

وإذا تأملنا حياة النبي ﷺ وجيلاً شهد له النبي ﷺ بالخيرية، بل جعله خير القرون وأفضلها، نجد النصيحة تضيء في جنباته أفقاً فسيحاً، فلا مكان لخطأ دون تقويم، ولا لمعصية دون توجيه، ولا لإحداث أمرٍ في الدين دون صدق وتبيين، فكانت مثلاً يُحتذى لمن أراد الخيرية والتمكين، كما أخبر ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ورغبة في الوقوف على المنهج الشرعي الذي سلكه أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع؛ إذ إنه من أحق الناس في النصح؛ لإزالة شبهة قد تكون علق، أو هوى قد يكون طغى، وليسد من جانبه ثغرة قد تكون سبباً في ضلال آخرين، كان هذا البحث الذي عنونت له بـ «منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع»، سائلاً الله تعالى العون التوفيق، والعفو عن الزلل والتقصير.

### خطة البحث:

وقد قسمت البحث - بعد المقدمة - إلى سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف النصيحة وأهميتها في الدين.

المبحث الثاني: تعريف البدعة والمبتدعة.

المبحث الثالث: أهمية نصيحة المبتدع.

المبحث الرابع: منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع.

المبحث الخامس: مسألة توبة المبتدع وعلاقتها بنصيحته.

المبحث السادس: مسألة هجر المبتدع وعلاقتها بنصيحته.

المبحث السابع: نماذج من نصائح السلف والأئمة للمبتدعة.

ثم خاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

ثم ثبت المراجع وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

وقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، مع عزو الآيات إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث، وتوثيق النقول، والتعريف بالفرق، وشرح الغريب من الألفاظ.

هذا، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً صواباً، نافعاً لكاتبه وقارئه، وأسأله العفو عن كل خطأ وزلل ونسيان.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين له إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل

## المبحث الأول

### تعريف النصيحة وأهميتها في الدين

المعنى اللغوي:

نَصَحَ الشَّيْءُ: خَلَصَ، وَالنَّاصِحُ: الْخَالِصُ مِنَ الْعَسَلِ وَغَيْرِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَصَ، فَقَدْ نَصَحَ... وَالنُّصْحُ نَقِيضُ الْغِشِّ، مُشْتَقٌّ مِنْهُ نَصَحَهُ وَلَهُ نُصْحًا وَنَصِيحَةٌ وَنَصَاحَةٌ وَنَصَاحَةٌ وَنَصَاحِيَّةٌ وَنُصْحًا وَهُوَ بِاللَّامِ أَفْصَحُ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩] (١).

المعنى الاصطلاحي:

مما تقدم في المعنى اللغوي يتضح معنى النصيحة اصطلاحاً، وقد تعددت أقوال أهل العلم في تعريفها، وكلها تدور مع دلالة المعنى اللغوي.

قال الخطابي: «النصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها، وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحت العسل إذا خلصته من الشمع» (٢).

وقال أيضاً: «النصيحة: كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له» (٣).

(١) القاموس المحيط ٣١٢، لسان العرب ٦١٥ / ٢، معجم مقاييس اللغة ٤٣٥ / ٥.

(٢) معالم السنن ٤٨٦ / ٢.

(٣) أورده النووي عنه في شرح صحيح مسلم ٣٧ / ٢.

وقال القرطبي: «النصح: إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش»<sup>(١)</sup>.

وقال النووي: «النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه. فشبها فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب»<sup>(٢)</sup>.

وقال الجرجاني: «النصح: إخلاص العمل عن شوائب الفساد. النصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد»<sup>(٣)</sup>.

#### أهمية النصيحة:

إن مما يوضح هذا ويجليه قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»<sup>(٤)</sup>، فجمع الدين كله في معنى النصيحة؛ لتكون أساساً وأصلاً أصيلاً في حياة المسلمين. والنصيحة هي طريق الأنبياء، ومنار السبيل في دعوتهم لأقوامهم، والقرآن مليء بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي كل تلك الدعوات كانت النصيحة هي اللسان الصادق، واليد الحانية، والدليل المخرج من الظلمات إلى النور، ومن الموت إلى الحياة.

قال تعالى في شأن نوح ﷺ مع قومه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٣٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢/ ٣٧.

(٣) التعريفات ص ٣٠٩.

(٤) تقدم تخريجه ص ١.

أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿هود: ٣٤﴾.

وقال تعالى في شأن هود عليه السلام مع قومه: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وقال تعالى في شأن صالح عليه السلام مع قومه: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وقال تعالى في شأن شعيب عليه السلام مع قومه: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

وأما نبينا محمد عليه السلام فهو خير ناصح لأُمَّته، بل للناس أجمعين، فاكتملت فيه من النصيحة أكمل معانيها، وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك كما هو ظاهر في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ولذلك جعله الله تعالى رحمة للعالمين.

فالنصيحة أساس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فمن رام السبيل فثم هي بيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وأما أهمية النصيحة في دعوة المبتدع فسيأتي الكلام عليها في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

## المبحث الثاني

### تعريف البدعة والمبتدعة

البدعة في اللغة: اختراع الشيء لا على مثال، يقال: بدع الشيء يُبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وابتدأه. (١)

وفي الاصطلاح: من أجمع ما عرفت به ما ذكره الشاطبي بأنها: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التبع لله سبحانه. (٢)

فهي كل ما أحدث في الدين من الأقوال والأفعال والاعتقادات.

وأما المبتدعة: فهم أهل المحدثات في الدين، وأهل الأهواء.

لكن لا بد أن يُعلم أن المعتبر في الوصف بالابتداع هو غلبة الحال، فمن كان الغالب من حاله هو الابتداع فهو المبتدع، أما من وقع في شيء من البدع، ولم تكن من البدع المغلظة، وهو في غالب حاله متبع للسنة، فهذا لا يوصف بالابتداع، وإن كان لا يُقر على ما أخطأ فيه، بل يجب أن يُردّ الخطأ ويُوهن، مع مراعاة أحوال الناس ومقاماتهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة / ١ / ٢٠٩، النهاية في غريب الحديث والأثر / ١ / ١٠٧، الصحاح

٣ / ١١٨٣، لسان العرب / ٨ / ٦.

(٢) الاعتصام / ١ / ٣٧.

الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة، كبدعة الخوارج<sup>(١)</sup>، والروافض<sup>(٢)</sup>، والقدرية<sup>(٣)</sup>، والمرجئة<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

ويقول الشاطبي: «إن لفظ أهل الاهواء، وعبارة أهل البدع، إنما تطلق حقيقة على الذين ابتدعوها، وقدموا فيها شريعة الهوى بالاستنباط والنصر

(١) هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصار من شأنهم تكفير صاحب الكبيرة، والاستهانة بالدماء، والخروج على الأئمة، ويسمون الحرورية، وهم وإن كانوا من خرج على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلا أن كل من اتصف بصفاتهم فإنه يسمى خارجياً. (مقالات الإسلاميين ص ٨٦، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٣١).

(٢) الرافض في اللغة: الترك. وسموا رافضة لرفضهم زيد بن علي (منهاج السنة لابن تيمية ١/ ٣٥)، وقيل لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (مقالات الإسلاميين للأشعري ص ١٦). وانظر: أصول الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر القفاري ١/ ١٠٧.

(٣) نسبة إلى القدر، ووجه أنهم نفوا تقدير الله تعالى لأفعال العباد، وقالوا إن العبد يخلق فعل نفسه، والغلاة منهم ينكرون علم الله تعالى بأفعال العباد قبل وقوعها، أما عمومهم فلا ينكرون العلم، واستقر هذا في مذهب المعتزلة، ولذلك يطلق على المعتزلة قدرية. (مقالات الإسلاميين ص ٢٢٧، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٦، مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/ ٤٣٠).

(٤) سموا بذلك لإرجائهم، وهو تأخيرهم العمل عن مسمى الإيمان، وهم أصناف: فمنهم الغلاة كالجهمية الذين يجعلون الإيمان مجرد المعرفة، ومنهم من يجعله التصديق في القلب، ومنهم من يجعله القول باللسان، ومنهم من يجعله تصديق القلب وقول اللسان وهم مرجئة الفقهاء. (مقالات الإسلاميين للأشعري ص ١٣٢، الفرق بين الفرق ص ٢١١، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٣٩، مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ١٩٥).

(٥) مجموع الفتاوى ٣٥/ ٤١٤.

لها والاستدلال على صحتها في زعمهم، حتى عدّ خلافهم خلافاً، وشبههم منظوراً فيها، ومحتاجاً إلى ردها والجواب عنها»<sup>(١)</sup>.

والمقصود بالمتدع في هذا البحث هو ذلك الموصوف بالابتداع لغلبته عليه، أما من كان على السنة في غالب حاله، لكنه تأثر بقول ورأي مخالف، فشأنه غير هذا، ولا يلحق بالمتدعة ولا يأخذ أحكامهم.

---

(١) الاعتصام ١/١٦٢.

## المبحث الثالث

### أهمية نصيحة المبتدع

لا يخفى ما لنصيحة المبتدع من أهمية كبرى؛ لما يكون بها من تحقق مصالح عظمى جاءت الشريعة بتقريرها؛ من حفظ الدين ونشره، وترك الباطل وردّه.

ولعلي أوجز نقاطا تبين تلك الأهمية، كما يلي:

#### أولا: حفظ الدين:

إن البدع متى ما تركت دون ردٍّ وإنكارٍ ونصحٍ للأمة من مغبتها فإنها سرعان ما تؤثر في الدين، فتضعفه في القلوب، وتكون بها السننُ محلَّ غُربة وإعراض، ويعود صفوُّ الشراب كدرًا، وطيبُ الثمار للقلوب علقمًا مريًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشرائع أغذية القلوب، فمتى اغتذت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا كان لزامًا -حفظًا للدين- أن يبذل كلُّ سبب في رد تلك البدع ووأدها، ومن ذلك تقديم النصيحة للمبتدعة ليؤوبوا ويرجعوا إلى السنة، فبرجوعهم تقف البدعة أن تجد من ينشرها، بل قد يكون بذلك مزيدُ بيان لضررها وخطرها؛ فالعارف بخطر الشيء أبلغ في تحذير الناس منه.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١ / ٢٨١

وإن لم يكن فيها أوبة لمبتدع، فلا أقل من درء لفتنة بها، وصد لسوء تحمله في طياتها، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَعَلَيْهِمْ يَنْقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وقد قيل للإمام أحمد: إنه يثقل عليّ أن أقول فلان كذا وفلان كذا.. فقال: إذا سكت أنت، وسكت أنا، فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟! (١)

### ثانيا: حصول الاجتماع والاعتصام بحبل الله:

وهذا أمر الله تعالى المرتبط بتقواه حق التقوى، كما قال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وإذا نظرنا في البدع نجد أنها من أعظم أسباب تفرق الأمة، وحصول النزاع والشقاق فيها؛ لذلك كان رد ذلك من أهم المهمات في الدين.

ولما كانت نصيحة المبتدع سبباً في رده أو رد بدعته، فإنها في قطع أسباب الفرقة ظاهرة الأهمية، فحين تكون الغفلة حاکمة، والجهالة محيطة، والهوى غالباً، فإن النصيحة تأتي يداً حانية تأخذ إلى أقوم سبيل وأهداه، فيعود التفرق وحدة، والشقات اجتماعاً واعتصاماً بأشد حبل وأوثق عروة.

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ

(١) نقلا عن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨ / ٢٣١.

اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثالثاً: أن البدعة من أعظم أسباب الكفر والردة:

وتلك خطوات الشيطان التي جعلها عهداً على نفسه في إغواء بني آدم، فتبدأ البدعة قولاً مزخرفاً يصغى إليه سمع، ويمتد إليه نظر، بلسان زور يدعي نصحاً وشفقة، حتى إذا ما تابعت الخطى، إذا المهوى بعيد، والمنتهى ظلمات بعضها فوق بعض.

وكم من قول ورأي غاية في الضلال، ما كان المرء أن يتصور أن أحداً يقول به، إلا أن البدايات كانت الخطوة الأولى في الهوى، والشرارة الأولى في حطمة الهوى والضلال، وتلك الأهواء حين تتجارى بصاحبها، كما قال النبي ﷺ: «وإنه سيخرج في أممي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء»<sup>(١)</sup> كما يتجارى الكلب<sup>(٢)</sup> بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»<sup>(٣)</sup>، وليتأمل في ذلك ما آلت إليه أقوال الطوائف الغالية من الجهمية<sup>(٤)</sup>

(١) أي: البدع. (عون المعبود ١٢/ ٢٢٣).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٣٤٨: (الكلب بالتحريك: داء يعرض للإنسان من عَض الكلب الكلب، فيصيبه شبه الجنون فلا يعرض أحداً إلا كلب وتعرض له أعراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً).

(٣) رواه الإمام أحمد ٤/ ١٠٢، وأبو داود - باب شرح السنة رقم ٤٥٩٩.

(٤) نسبة إلى الجهم بن صفوان، وقد ظهرت بدعته بترمد، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية سنة ١٢٨ هـ، ومن أشهر بدعه: نفي الأسماء والصفات، والقول بالجبر، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والقول بفناء الجنة والنار. (الرد على الجهمية =

والباطنية<sup>(١)</sup> والحلولية<sup>(٢)</sup> ونحوهم.

قال البرهاري رَحِمَهُ اللهُ: «واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغار البدع تعود حتى تصير كباراً، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطع المخرج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان بها»<sup>(٣)</sup>.

تلك البدايات حين يُغفل عن نصح أهلها وتوجيههم، يكون ذلك سبباً في توسعها وانتشارها، مما يؤكد الأهمية البالغة، والوجوب المتحتم على من أنار الله بصيرته بالكتاب والسنة أن يبذل غاية النصح والإرشاد لمن

للدارمي ص ١٧١، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢١، الملل والنحل للشهرستاني ٨٦/١، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ٩-٥٥).

(١) لقولهم: إن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً. وهم أهل دين باطل وعقيدة فاسدة، جعلوا من التستر بالباطن مدخلاً إلى ما يسعون إليه من تبديل الدين، وهم ينتسبون زوراً وكذباً إلى أهل البيت، ويدعون مشايعتهم. قال البغدادي: (إن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة، بل أعظم من ضرر الدجال... وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر). الفرق بين الفرق ص ٣٠٥، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٢٨.

(٢) هم القائلون بحلول الله تعالى في خلقه، فمنهم من يخص هذا في معيّنين كقول النصارى بحلول الله تعالى في عيسى ﷺ، ومنهم من يطلق ذلك ويقول إن الله تعالى بذاته حال في كل شيء، وهذا محكي عن قدماء الجهمية، وهو مما كُفِّروا به. (مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/٤٦٦، الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٣٧).

(٣) شرح السنة ص ٣٤.

تلبس بشيء من البدع، صغر ذلك أو كبر، وقل أو كثر، ليسد بذلك ثغرة يخشى أن يلج الشيطان منها إلى الأمة بكفر أو ضلال.

رابعاً: توجيه المبتدع إلى أن يكون لبنة بناء في المجتمع:

وهذا من باب قول النبي ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا»<sup>(١)</sup>، فإن من المبتدعة من يكون صاحب حجة ونظر، وباذل جهد لا ينقطع في تقرير ما يريد، وهذه همة متى وجدت توجيهاً إلى الخير ستكون لبنة بناء، وسبب نفع في المجتمع.

فلما كانت نصيحة المبتدع سبباً ظاهراً في حصول ذلك، فإن ذلك يوضح أهميتها الكبرى، فهي الآخذة بيد ذلك المبتدع إلى أن يبني دون أن يهدم، وأن يحتاج للحق دون أن يجادل بالباطل، وفي ذلك خير كبير عائد على المبتدع نفسه ابتداءً، وعلى المجتمع الذي ربح لبنة تأخذ بالبناء دون الهدم، ويجتمع مع هذا معرفة ذلك المبتدع بزيف البدع التي كان متلبساً بها، فيكون أشد حذراً وتحذيراً للمجتمع من مغبتها.

ولا يزال الأئمة ينقلون ما تفوه به كبار المبتدعة في أواخر الطريق يروون خلاصة المرارة التي ذاقوها من ظلمات تلك البدع؛ ليكون ذلك عبرة لكل مبتدئ بذلك الطريق.

ولعلني أجد من المناسب هنا أن أشير إلى ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه

(١) رواه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - رقم ٣٣٨٣، ومسلم - باب خيار الناس، رقم

٢٥٢٦ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله تعالى من تأثره حين التقى بشيخ الإسلام ابن تيمية، وإن لم يكن ثمة ابتداء كبير، ولكن غياباً عن معالم، فكان لقاءه سبباً في نجاته بإذن الله تعالى من مزلات أقدام، فيقول في قصيدته النونية:

فشباكها والله لم يعلق بها	من ذي جناح قاصر الطيران
إلا رأيت الطير في قفص الردى	يبكي له نوحاً على الأغصان
ويظل يخبط طالبا لخلاصه	فيضيق عنه فرجة العيدان
والذنب ذنب الطير أخلى طيب الث	ممرات في عالٍ من الأفنان
وأتى إلى تلك المزابل بيتغي ال	فضلات كالحشرات والديدان
يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفق وأخ لكم معوان
جربتُ هذا كله ووقعت في	تلك الشباكٍ وكنتُ ذا طيران
حتى أتاح لي الإلهُ بفضلَه	من ليس تجزيه يدي ولساني
حَبْرٌ أتى من أرض حرّانٍ فيا	أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله	من جنة المأوى مع الرضوان
أخذتُ يده يدي وسار فلم يُرم	حتى أراني مطلعَ الإيمان <sup>(١)</sup>

فانظر إلى هذا المثال، ثم انظر إلى ذلك الأثر الذي تركه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في الأمة من تراث يعتبر من حجج الأقوال حين يذكر.

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ٥/ ٥٧٠.

## المبحث الرابع

### منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع

لما كانت نصيحة المبتدع ليست كنصيحة غيره؛ لما يكون عند المبتدع من شبه وإشكالات تستوجب أن تراعى وفق الأدلة الشرعية، كان لزاماً على المتصدي لنصيحتهم أن يكون على دراية بها، ومراعاة لها، وسالكاً المنهج الشرعي القائم على تحقيق المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

ولقد كان أهل السنة والجماعة أرحم الخلق بالخلق؛ فما كانت دعوتهم إلى هوى، ولم يكن اجتماعهم لعصبية مذمومة، بل كانوا أهل الصدق والعدل، ولذلك كانت طريقتهم في النصح والتوجيه هي الطريقة المثلى، والسبيل الأقوم.

ولعلي أوجز هنا أموراً تبين المنهج الشرعي في نصيحة المبتدع، مستنداً إلى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ولما كان عليه سلف الأمة وأئمتها في هذا الباب:

#### أولاً: الإخلاص في النية:

وهذا أصل كل قول وعمل يرجو صاحبه القبول والسداد، فمتى ما كان الناصح مبتغياً وجه الله تعالى في نصيحته كانت النصيحة أبلغ ما تكون أثراً في الناصح والمنصوح، فالناصرح نال أجرها وثوابها وأدى ما عليه فيها، والمنصوح استفاد صدق الناصح، وجاءته الموعظة بأحسن القول، فإن استجاب فخير أصابه، وإن أعرض فاللائمة على نفسه.

وأصل الإخلاص في النصيحة قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولا أصدق ولا أخلص في النصح والدعوة من رسول الله ﷺ، فمن أراد الهدى والسبيل القويم فتلك هي بيضاء نقية ليلها كنهارها في دعوة النبي ﷺ للمشركين، بله من كان مسلماً وقع في شيء من المخالفات، فلم تكن الدعوة ولا النصيحة لحظ نفس، ولا بلوغ مطلب من مطالب الدنيا، بل هي ﴿إِلَى اللَّهِ﴾، يستشعر صاحبها أمر الله تعالى فيها، وما أعده من فضل وثواب لمن سار عليها.

فعلى المتصدي لنصيحة مبتدع أن يستحضر هذا المعنى ويستشعره ويجعله ملء قلبه ولسانه؛ فإن مما يعكر صفو النصيحة أن تبذل تشفياً أو حسداً أو انتقاماً، فتفقد روحها وأساسها، ويكون ما يرجى بها دون المنازل العلا والثمار الطيبات، ولا أعني هنا شدة يقتضيها الموقف حكمةً وفقهاً، ولكن ضيق نفس تتخذ النصح مجرد تنفيس وهي في غفلة عن ابتغاء أجر وإرادة إصلاح.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «رياض الصالحين»، «باب ما يباح من الغيبة»: «اعلم أن الغيبة تُباح لغرض صحيح شرعي، لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أبواب: ... - ثم ذكر منها-: إذا رأى متفكهاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة. وهذا مما يُغَلَطُ فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه

نصيحة. فليتفطن لذلك»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم، إن لم يقصد فيه بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم لم يكن عمله صالحاً»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الرفق واللين:

وهذا من الأصول المقررة في النصيحة، وهو أساس فيها، والشدة والتغليظ إنما هو لدواع تدعو إليه، أما الرفق فهو مبدأ الأمر ومنتهاه.

وهذا في كل نصيحة تبذل، وليست نصيحة المبتدع خارجةً عن هذا الأصل، وأما ما نقل عن السلف رحمهم الله تعالى من التشديد على المبتدعة فإنما هو لاقتضاء الحال ذلك؛ إذ كان رؤوس الابتداع يحاولون بمعاولهم هدم معالم السنة، فكان لزاماً وقفة صادقة ناصحة تصد بسيف التوحيد والسنة ذلك الاعتداء السافر، والميل الآخذ بالناس إلى سبل التفرق والانحراف، فالرفق هنا واقع بمن يراد حمايته من تلك المسالك المعوجة، وإن كانت على المنادي إليها صوارم قاطعة.

قال الحافظ ابن رجب: «من هنا ردّ الصحابة ومن بعدهم من العلماء على كل من خالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا له في الرد، لا بغضاً له، بل هو محبوبٌ عندهم معظمٌ في نفوسهم، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم،

(١) رياض الصالحين ص ٥٣٨.

(٢) منهاج السنة النبوية ٥ / ٢٣٩.

وأمره فوق أمر كل مخلوق»<sup>(١)</sup>.

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في -تهذيب التهذيب- أن يوسف بن أسباط حذر من بدعة أحد العلماء، فسأله رجل: ما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فأجابه: لم يا أحمق؟ أنا خيرٌ لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم! أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا، فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضرب عليهم<sup>(٢)</sup>.

والأدلة على تأسيس النصيحة على الرفق واللين أكثر من أن تحصى، منها: قول الله تعالى لموسى وهارون في دعوة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

وقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقول النبي ﷺ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يا عائشة إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفق في الأمرِ كُلِّهِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير»<sup>(٤)</sup>. ولما بعث النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن قال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»<sup>(٥)</sup>.

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٣٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/٢٤٩.

(٣) رواه البخاري - كتاب استنابة المرتدين - رقم ٦٩٢٧، ومسلم - باب فضل الرفق - رقم ٢٥٩٣.

(٤) رواه مسلم - باب فضل الرفق - رقم ٢٥٩٢.

(٥) رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير - رقم ٣٠٣٨، ومسلم - باب الأمر بالتيسير - رقم ١٧٣٣.

### ثالثاً: التثبيت في الحكم:

وهذا من العدل الذي أمر الله تعالى به، فالحكم على الناس لا بد أن يأخذ حظه من التثبيت والتبين، كما قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَمَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وفي نصيحة المبتدع لا بد أن يكون الناصح متشبهاً من تلبس المنصوح بتلك البدعة، ولا يكون حاطب ليل بنقل من هنا وهناك، فيصغي سمعاً للمتهمين الناس جزافاً لشيء في نفوسهم، أو لجهلهم بالطرق الشرعية في الحكم على الناس.

وكم جرّت تلك الاتهامات الباطلة والأحكام الزائفة من عواقب مكروهة، وتفرق مذموم، فأحالت النصح قدحاً، والموعظة سوء ظن.

قال الحافظ ابن حجر: «إن الذي يتصدى لضبط الوقائع من الأقوال والأفعال والرجال، يلزمه التحري في النقل، فلا يجزم إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالقول الشائع، ولا سيما إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح، وإن كان في الواقعة أمر قادح سواء كان قولاً أو فعلاً أو موقفاً في حق المستور فينبغي ألا يبالغ في إفشائه، ويكتفي بالإشارة، لئلا يكون وقعت منه فلتة، ولذلك يحتاج المسلم أن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم؛ فلا يرفع الوضيع، ولا يضع الرفيع»<sup>(١)</sup>.

(١) نقلا عن تلميذه السخاوي في التبر المسبوك في ذيل السلوك ص ٤.

## رابعاً: العدل مع المبتدع:

وهذا أمرُ الله تعالى إذ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

فنصيحةُ المبتدع لا بد أن تكون محفوفةً بالعدل؛ إذ هو علامة الصدق في النصح، حتى في حال الإغلاظ عليه والتشهير به، فلا بد أن يكون العدل حاضرًا وحاكمًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله في بتكفير أو تفسيق أو افتراء أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتمماً بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس حاكماً فيما اختلفوا فيه»<sup>(١)</sup>.

وللعدل في نصيحة المبتدع صورٌ لا بد من مراعاتها، فمن ذلك:

١ - عدم تقويله ما لم يقل، فلئن كانت بدعته انحرافاً لا بد من إنكاره وتصحيحه، فلا يسوغ ذلك أن يزداد عليه في القول والانحراف، ولذلك كان السلف يفرقون بين المبتدعة لتفاوت قدر البدع بينهم، كمن نفى بعض الصفات لا ينسب إليه نفيها كلها، ومن أنكر خلق أفعال العباد فلا ينسب إليه نفي مرتبة العلم إن كان لا ينفيها وهكذا<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٤٥.

(٢) انظر -مثلاً-: مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ٣٨٥، منهاج السنة لابن تيمية ٥/ ١٥٧.

٢- أن يكون الحكم بالابتداع بالقدر الذي تستحقه بدعته، فيفرق بين البدع المكفرة والبدع غير المكفرة، ويفرق بين من كانت البدعة هي شأنه وديدنه وبين من تلبس ببدعة مع سلوكه سبيل السنة في مواطن كثيرة<sup>(١)</sup>.

٣- أن يُذكر للمبتدع ما له من حسناتٍ إن كان المقام يقتضي ذلك، بخلاف ما إذا لم يكن من المصلحة ذكر ذلك، ففي حال نصيحة المبتدع حين يذكر له ما فيه من مآثر مدح، كحسن خلق، وإنصافٍ مع المخالف، وحقٍّ معه يُقرُّ ويؤخذُ به، ونحو ذلك، فإن النصيحة سيكون لها أثرها البالغ في استجابته أو على أقل تقدير أخذها محمل الناظر المتأمل.

وفي مثل هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني، فضلاً عن الرافضي قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام الذهبي: «ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن»<sup>(٣)</sup>.

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: «إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع؛ فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبعدها عنه»<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق بموضعه.

(٢) منهاج السنة النبوية ٢/ ٣٤٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن - تفسير سورة الأنعام آية ١٥٢.

وهذا كله دائر مع العدل والحكمة، فإن كان العدل والحكمة يقتضي خلاف ذلك من ذكرٍ لمحاسن المبتدع وما يفهم منه الثناء عليه، فيجب أن يجتنب ذلك؛ فربما كان الثناء وذكر المحاسن موهناً للبدعة التي يدعو إليها، أو حاملاً إلى الإصغاء إلى قوله واستحسان بدعته، فيعود الضرر على ما يتمسك الناس به من سنة، فتضعف وتزاحمها المحدثات، ولربما هُجرت ونُسيت، وهذا مخالفة ظاهرة للعدل والحكمة اللذين هما أساس النصيح والدعوة إلى الله تعالى.

ومن هنا ندرك ما كان عليه السلف رحمهم الله تعالى من مراعاة لأحوال المبتدعة ومقام الكلام معهم، ففي حال يكون فيها من التشديد والتغليظ بحيث لا يذكر لهم فيها حسن قول ولا عمل، وأحوال يكون لهم فيها معهم لين قول وذكر ما معهم من حق، وما ذاك بالتناقض والاضطراب، ولكنه الحكمة التي هي أمر الله تعالى في الدعوة إلى سبيله.

وليس العدل صورةً واحدة تتكرر مع اختلاف الأحوال وما يحف بالقضية من متغيرات، بل هو صورة شاملة يراعى فيها المبدأ والمنتهى، والبعد والقرب، والمصلحة والمفسدة.

### خامساً: تأسيس النصيحة على الاستدلال بالكتاب والسنة:

وهذا هو الحجة القاطعة للمبتدع، ولذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن؛ أعيتهم

الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا»<sup>(١)</sup>. وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن ناسا يجادلونكم بشبه القرآن فخذوهم بالسنن؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عَزَّجَلَّ»<sup>(٢)</sup>.

والمبتدع صاحب كلام وجدل، فمتى ما كان الكلام معه ببضاعته فقط دون أخذه ببراهين النصوص الشرعية، والاتفاق معه أن تكون مرجعاً في فصل النزاع، فسيبقى الكلام محل أخذ ورد دون الوصول إلى نتيجة حاکمة. ومهما نَمَّقَ الناصح كلامه وزينه وأعاد فيه وأبدى سيظل دون براهين دلائل الكتاب والسنة بمراحل بعيدة جداً، لذلك لا بد من أخذ الناس بالدلائل الشرعية، والاستنارة بنورها، واليقين بأنها الأهدى سبيلاً، والأقوم قياً.

وكم نطق كبار المبتدعة بخوضهم البحر الخضم في الطرق الكلامية، والبراهين العقلية، ثم هم لم يجدوا أهدى من الآيات البينات حين تأملوها وتدبروها.

وانظر إلى ما قاله فخر الدين الرازي -وهو من أئمة الأشاعرة، بل من مفسدي المذهب-: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فلم أرها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ

(١) سنن الدار قطني - كتاب النوادر ٤/١٤٦، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/١٩٩.

(٢) الشريعة للأجري ١/٤٨٥.

الطَّيِّبُ ﴿فاطر: ١٠﴾، وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي<sup>(١)</sup>.

فعلى الناصح للمبتدعة أن يخرجهم من وحل الغفلة والبعد عن النصوص الشرعية، ليلوح لهم أفق الهدى أوسع ما يكون وأفسح. نعم، ليأخذ من بضاعتهم في الجدل والكلام ما يراها حجة تعود عليهم، كما كان بعض الأئمة يرد على المبتدعة بسلاحهم فيصيب منهم به مقاتل، ولكن ليحذر أن يجروه إلى جعل ذلك هو الأصل الذي يفصل ويحكم، بل الأصل الحاكم في ذلك هو دلائل الكتاب والسنة.

### سادسا: التخليط في النصح إن كانت المصلحة تقتضيه:

تقدم معنا أن الأصل في النصح أن يكون بالرفق واللين، وهذا يشمل المبتدعة وغيرهم، غير أن ذلك ليس هو الصورة الواحدة التي ينصح بها المبتدعة، بل لا بد من مراعاة الحكمة في ذلك، فمن المبتدعة من هو ظاهر السوء والتفريق في الأمة، وله من القول والعمل ما يغيظ قلوب المؤمنين، وتراه مكابراً للحق، معانداً في الباطل، فهذا يحتاج من الشدة والتخليط ما يكون هو الأنسب في حقه.

وهذا ما نجده في منقولٍ كثيرٍ عن السلف رحمهم الله تعالى؛ من تشديد على المبتدعة، وجعل الكلام فيهم والتحذير من بدعهم من أفضل الأعمال،

(١) أورده الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠١.

بل هو من الجهاد في سبيل الله تعالى .

قيل للإمام أحمد: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: «إذا صام وصلى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين . هذا أفضل»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد»<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل هذا جعلوا الكلام في أهل البدع خارجاً عن حكم الغيبة، كما نقل عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «ليس لأهل البدع غيبة»<sup>(٣)</sup>.

وهذا كله حفظاً لحرمة السنة أن ينال منها، أو تضعف في قلوب الناس، فمن كان في ملاينته توهينٌ لخطر البدعة، وسبيلٌ لظهورها وانتشارها فلا تكون تلك الملاينة من الحكمة في شيء، أما إن لم يكن من ذلك شيء، وكانت الملاينة سبباً في رجوع صاحب البدعة عن بدعته، وقطعٍ لدابرها أن تنال حظَّ ظهور، فإن تلك الملاينة هي الأصل التي يبدأ بها الناصحون.

### سابعا: عدم توسيع دائرة البدعة:

وهذا أمرٌ لا بد من مراعاته في نصيحة المبتدع، وجعله مناراً في الطريقة المسلوكة في ذلك، فما كان من البدع مغموراً فلا ينبغي أن تكون النصيحة

(١) ذكره ابن تيمية، كما في مجموع الفتاوى ٢٨ / ٢٣١ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤ / ١٣ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١ / ١٤٠ .

سبباً في ظهوره وإشهاره، فحظ البدع أن تبقى طوية الجهل والإغمار، بخلاف ما كان منها ظاهراً منتشرًا، فهذه ما دامت بلغت الأسماع والأبصار فلا بد من تطهير تلك الأسماع والأبصار من دنسها وشوائبها.

فعلى الناصح أن يراعي هذا أشد المراعاة، فكم من المبتدعة من يرغب هذه السبيل في مناصحته؛ ليكون له بها ذكر وشهرة، فما حبه للنصح أن يرى حقاً غاب عنه، أو أن يدرك صواباً تنكبه، فيدُّ الهوى ملتفة على القلب تحجبه أن يرى ويسمع، ولكن رأى نفسه حبيسة النسيان أن يُذكر أو يُروى له قول، فهو في ترقب لمعةٍ لاسمه ولو على سبيل النصح والإشفاق، بل ولو على سبيل القرع والإغلاظ، وخاصة حين تصدر من كبار.

يقول الحافظ اللالكائي في هذا المعنى: «فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة، يموتون من الغيظ كمدًا ودردًا<sup>(١)</sup>، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الدررُ: الحَرْد. وهو الغضب. (لسان العرب ٣/١٤٦، ١٦٦).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٩.

### ثامنا: العلم والبصيرة في نصح المبتدع ومناقشته:

ليست نصيحة المبتدع والكلام معه كنصيحة غيره من أهل المعاصي والشهوات؛ فالمبتدع صاحب جدل ومناظرة وشبه متركمة، لذلك ينبغي لمن يتصدى لنصح وتوجيهه أن يكون ذا علم وبصيرة بأمر السنة وما يخالفها؛ لكيلا يؤتى من جهة جهلٍ بالحق أو عدم تصورٍ للباطل.

وكم ممن خاض مع المبتدعة بجهل فإذا حبال شبههم تلف عنقه وتقوده إلى حيث ما كان يقصد خلافه.

تلك المزلّة لا بد من فطنةٍ وفقهٍ تجاهها؛ حفظاً للسنة، وردعاً للبدعة، لأنه متى ما عاد الناصح في الحق إلى قول أهل الباطل أثر ذلك في المبتدعة أنفسهم فيتمادون في بدعتهم، وأثر أيضا في أصحاب القلوب الضعيفة ممن لم يلتبس بتلك البدعة، فيزدادون ضعفاً، وتحظى البدعة بمكانة لديهم.

ولذلك لما كتب رجل من أهل السنة إلى الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: إن بلدنا كثير البدع، وإنه ألف كلاماً في الرد عليهم، فكتب إليه مالك يقول له: «إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل فتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لا يقدر أن يعرفوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تمادياً على ذلك»<sup>(١)</sup>.

(١) أورده الشاطبي في الاعتصام ١/ ٣٣.

### تاسعا: التفريق بين المداراة والمداهنة:

يجد الناصح في حال نصحه للمبتدع أنه بحاجة إلى شيء من المداراة يتبلغ بها إلى قلب المبتدع أن يستجيب ويبصر، وهذه طريقة لا تخالف نصّاً، ولا تعارض دليلاً، بل في الأدلة مستندٌ لها، وهي جاريةٌ مجرى الرفق واللين في النصح والتعامل، لكنها لا تدل على ترك شيء من الدين أو رفضه مجاملة للآخرين، بل الدين معها محل حفظ وصون.

ولذلك لا بد من التفريق بين المداراة والمداهنة، فالثانية فيها من التميع والتهوين من أمر التمسك بالدين بين استقلالٍ واستكثار، وتلك خطوات تأخذ إلى الضعف الشديد، والإعراض عن معالم الشريعة مجاملة لفلان، ومراعاة لخاطر فلان.

وما هذه -والله- بطريقة شرعية ولا عقلية؛ فالنصيحة ما قامت إلا لإقامة الدين، والرجوع إليه، والمحافظة عليه، فإن تضمنت معنى يناقض هذا ويعارضه فما هي بنصيحة ولا إصلاح.

وكم زلت من قدم لما خلطت بين هذه المفاهيم، وما فرقت بينها، فصارت تضيّع من أمر الدين المسألة بعد الأخرى، حتى صارت هي الطريقة المسلوكة، وصار الدين عندها هو الجانب الأضعف في إمداد الجبال الزائفة مع من يراد نصحهم ودعوتهم -زعمًا-.

### عاشرا: الحذر عند مخالطة أهل البدع:

ليس من ضرورة مناصحة المبتدعة أن تكون سبباً في مخالطتهم ومؤانستهم، بل المخالطة محل نهي من كثير من السلف؛ لكيلا يتأثر المرء بما يزخره المبتدعة من قول.

نعم، قد تحصل المخالطة، لكن لا بد أن تكون محل مراعاة عند الناصح لكيلا يكون بها ميلٌ عن طريق، وتنكبٌ عن جادة.

وإذا نظرنا في أقوال السلف فإننا نجد الكم الكثير من الأقوال الناهية عن مجالسة أهل الأهواء ومخالطتهم.

قال الحسن: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام أحمد: «أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم، ولا يخالطهم، ولا يأنس بهم»<sup>(٣)</sup>.

وهذا المنقول عن السلف ما كان إلا حفظاً للدين، وحمايةً لجناب السنة، ورداً للبدعة أن تكون ذا أثر في الناس وانتشار.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ١٣٣.

(٢) الشريعة للأجري ١/ ٤٥٤.

(٣) الإبانة لابن بطة ٢/ ٤٧٥.

وليس من معنى ذلك عندهم أن ليس ثمة مخالطة مع مبتدع يؤخذ بها على يده، ويُنصح بها عسى أن تكون توبته ورجوعه.

فعلى الناصح أن يكون صاحب بصيرة، فيحذر أن يعود نصحه عليه وبالاً حين لا يخرج منه إلا بوهن نفس تربعت فيها شبه صارت تزامم اليقينيّات، فيكون لا نصح لغيره، ولا لنفسه التي بين جنبيه!!

فعلى المسلم أن يكون ضنيناً<sup>(١)</sup> بدينه.

وبعد، فهذه معالم أراها منارات سبيل، وعلامات هدى في الطريق المسلوك في نصيحة المبتدع، أساسها الدليل، وهاديها الاتّباع.

---

(١) الضنين: البخيل. (القاموس المحيط ص ١٥٦٤)، والمراد هنا أن يكون متمسكاً بدينه لا يفرط فيه أبداً.

## المبحث الخامس

### مسألة توبة المبتدع وعلاقتها بنصيحته

#### هل للمبتدع توبة؟<sup>(١)</sup>

دافع هذه المسألة هو ما نقل عن بعض السلف من أن المبتدع لا توبة له، ويستدل لذلك بحديث: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة».

ونحن نحتاج هنا إلى تحرير هذا القول وفهم معناه على وجهه؛ إذ إن نصيحة المبتدع يدفعها الحرص الشديد على توبته ورجوعه عما تلبس به من بدع، فإذا لم تكن له توبة مقبولة، فما الداعي لمناصحته؟!

#### أولاً: حديث «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة»:

هذا الحديث رواه الطبراني في الأوسط، قال: حدثنا علي بن عبد الله الفرغاني، قال نا هارون بن موسى الفروي، قال نا أبو ضمرة أنس بن عياض، عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.. وذكر الحديث مرفوعاً<sup>(٢)</sup>.

وقال الهيثمي -في مجمع الزوائد-: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله

(١) ينظر في هذه المسألة: الآداب الشرعية لابن مفلح ١/١٣٧، شرح منظومة الآداب للسفاريني ٢/٤٥٦، البدعة ضوابطها وأثرها السيء على الأمة لعلي فقيهي ص ١٣، حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ٢/٣٨٨، موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع لإبراهيم الرحيلي ١/٣١٣.

(٢) المعجم الأوسط ٤/٢٨١، رقم ٤٢٠٣.

رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة<sup>(١)</sup>.

وقال الألباني - في السلسلة الصحيحة -: «وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير هارون بن موسى وهو الفروي، قال النسائي وتبعه الحافظ في التقریب: لا بأس به»<sup>(٢)</sup>.

وأورده المنذري في الترغيب والترهيب بلفظ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته» وعزاه للطبراني، وقال: إسناده حسن<sup>(٣)</sup>. وجاء أيضا من طرق ضعيفة بينها أهل العلم.

ورواه ابن الجوزي بإسناده - في العلل المتناهية - من طريقين آخرين، ثم قال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، ومدار الطريقين على محمد بن عبد الرحمن الكوفي القشيري، قال ابن عدي: هو منكر الحديث مجهول، وهو من مشايخ بقية المجهول»<sup>(٤)</sup>.

فالحديث صححه بعض أهل العلم من رواية الطبراني، ومعناه متعلق بالتوفيق للتوبة، وخاصة إذا نظرنا إلى ما جاء في الزيادة التي أوردها المنذري رَحْمَةُ اللَّهِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ.

(١) مجمع الزوائد ١١/٦٤.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/١٥٤ (رقم ١٦٢٠).

(٣) أورده المنذري في الترغيب والترهيب (١/١٠٧ - رقم ٨٣) وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٤) العلل المتناهية ١/١٤٥.

وفرق بين التوفيق للتوبة وبين قبولها إذا وقعت من المبتدع، فالأول هو الذي يُحمل عليه معنى الحديث، وهو معنى متعلق بالغالب من حال المبتدعة، أما الثاني فلا يحمل الحديث عليه؛ فالنصوص صريحة أنه متى وقعت التوبة من أحدٍ واستوفت شروطها فإن الله تعالى يتوب على صاحبها. فالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة دالة على أن من تاب إلى الله من ذنب تاب الله تعالى عليه، مهما كان ذلك الذنب شرًا أو إحدًا أو نحو ذلك.

والمبتدع ليس حالةً مستثناة من هذا الأمر المطلق، فمن كان على بدعة صغرت أو كبرت ثم تاب إلى الله منها فإن الله تعالى يتوب عليه، وهو داخل في عموم ما نادى الله تعالى به عباده بقوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

لكن لما كانت البدعة ذات تمكّن في القلب غالبًا، ويصحبها من حبائل الشبهات ما يلف النفس فتحجبها عن أنوار الهدى والسنة، أضحى المبتدع بها أسير ظلمتها، فرآها هي الحق المبين، والصراط المستقيم، فهل يُرى - والحال هذه - باحثًا عن حق؟ وهل يجد من تلك الحبائل خلاصًا؟ إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته.

وهذا المعنى توضحه زيادة: «حتى يدع بدعته»، فالوعيد بالحجب هو ما دام مقيمًا على تلك البدعة.

وهذا مثل ما ذكره الله تعالى من عدم هدايته للظالمين والكافرين

والفاسقين، كما قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]،  
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾  
[المائدة: ١٠٨]، فهذا كله في حال ظلمهم وكفرهم وفسقهم، أما من تاب وآمن  
وعمل صالحًا فتلك الهداية أحاطت به بفضل الله ورحمته.

وفي تقرير هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا قال طائفة  
من السلف منهم الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن  
المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها. وهذا معنى ما روي عن طائفة  
أنهم قالوا: إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة. بمعنى أنه لا يتوب  
منها؛ لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب عليه كما يتوب على الكافر.  
ومن قال: إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقًا. فقد غلط غلطًا منكرًا، ومن قال: ما  
أذن الله لصاحب بدعة في توبة، فمعناه: ما دام مبتدعًا يراها حسنة لا يتوب  
منها، فأما إذا أراه الله أنها قبيحة؛ فإنه يتوب منها، كما يرى الكافر أنه على  
ضلال، وإلا فمعلوم أن كثيرًا ممن كان على بدعة تبين له ضلالها وتاب الله  
عليه منها، وهؤلاء لا يحصيهم إلا الله، والخوارج لما أرسل إليهم ابن عباس  
فناظرهم، رجع منهم نصفهم أو نحوه، وتابوا، وتاب منهم آخرون على يد  
عمر بن عبد العزيز وغيره، ومنهم من سمع العلم فتاب، وهذا كثير»<sup>(١)</sup>.

ويقول الشاطبي - في كلامه على حديث: «وَإِنَّهُ سَيُخْرِجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ  
تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ»<sup>(٢)</sup> - : «إنه

(١) مجموع الفتاوى ١١ / ٦٨٥.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٣.

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَ بِمَا سَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي افْتَرَقُوا فِيهَا إِلَى تِلْكَ الْفُرُقِ، وَأَنَّهُ يَكُونُ فِيهِمْ أَقْوَامٌ تَدَاخَلَ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ قُلُوبَهُمْ، حَتَّى لَا يُمْكِنُ فِي الْعَادَةِ انفصالها عنهم وتوبتهم منها، على حد ما يداخل داء الكَلْبِ جسم صاحبه، فلا يبقى من ذلك الجسم جزءٌ من أجزائه ولا عرق ولا مفصل ولا غيرهما إلا دخله ذلك الداء، وهو جريان لا يقبل العلاج، ولا ينفع فيه الدواء، فكذلك صاحب الهوى؛ إذا دخل قلبه، وأشرب حبه، لا تعمل فيه الموعظة، ولا يقبل البرهان، ولا يكثر بمن خالفه، واعتبر ذلك بالمتقدمين من أهل الأهواء؛ كمعبد الجهني، وعمرو بن عبيد وسواهما؛ فإنهم كانوا - حيث لقوا - مطرودين من كل جهة، محجوبين عن كل لسان، مبعدين عند كل مسلم، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلا تمادياً على ضلالهم، ومداومة على ما هم عليه، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١] (١).

### ثانياً: ما نقل عن بعض السلف من عدم قبول توبة المبتدع:

ومن ذلك:

عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «أَبَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَأْذَنَ لِصَاحِبِ هَوَى بِتُوبَتِهِ» (٢).

وعن سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «البدعة أحب إلى إبليس من

(١) الاعتصام ٢/ ٢٦٨.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ١٤١.

المعصية، فالمعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا يقال مثل ما تقدم في معنى الحديث: إن ذلك راجعٌ إلى مسألة التوفيق للتوبة، لا أن المبتدع إذا تاب ورجع عن بدعته لا تقبل منه تلك التوبة.

على أن الكلام قد يُحمل أحياناً في مثل هذا السياق على سقوط العقوبة التعزيرية بالتوبة، ولكن ليس هذا محل بحثنا هنا، فإن هذا يُتكلم عنه في توبة الزنديق حال استحقاقه للعقوبة والتعزير.

إذن: فنصيحة المبتدع يُرجى بها توبته ورجوعه إلى الله تعالى، وهذا هو مقتضى الأدلة الشرعية، وشواهد التاريخ والواقع.

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٣٢.

## المبحث السادس

### مسألة هجر المبتدع وعلاقتها بنصيحته

إن هجر المبتدع مسألة فيها من التفصيل والبيان ما لا يستوعبه هذا البحث القصير، وقد كُتِبَ فيها مصنفات، وأخذت نصيباً وافراً في بعض البحوث والمؤلفات، ولكن الإشارة إليها هنا لبيان التوافق التام بين هجر المبتدع ونصيحته، حتى لا يتصور أنهما متقابلان إما هذا وإما ذاك! فالهجر ما هو إلا طريقة من طرق مناصحة المبتدع؛ ليكون بذلك ما يرجى أن يكون بالنصيحة من رجوع المبتدع عن بدعته، أو درء لبدعته أن تحظى بتأثير وانتشار.

ولذلك فالهجر ليس هو مما يبدأ به في باب النصح والإرشاد للمبتدع، بل لا بد أن يكون دائراً مع الحكمة، فمتى ما كانت النصيحة بالوصل والملاينة هي الأكثر أثراً في حق المبتدع فهي التي يجب أن يصار إليها، ومتى ما كان الهجر هو الأنفع والأجدى فيجب الأخذ به.

ولعلي أذكر هنا معالم عامة في مسألة هجر المبتدع، تبين للناصح ما الذي يسلكه تجاه من يتصدى لنصح من المبتدعة:

أولاً: أن الهجر له تعلق بالهاجر وبالمهجور وبالأمّة، فلا بد من سعة النظرة لتستوعب جميع ما يحف بالهجر من متعلقات؛ لكيلا تكون النظرة قاصرة، والحكم ناقصاً.

ففي أحيانٍ يكون الدافع للهجر مصلحة الهاجر حتى لا يكون ضحية القول

الزائف الذي يلقيه المبتدع منمقاً، وهذا من باب محافظة المسلم على دينه.  
وأحياناً يكون لمصلحة المهجور؛ ليكون بذلك رجوعه عما تلبس به من بدعة، ويحصل له بذلك محاسبة ومراجعات.

وأحياناً يكون لمصلحة الأمة حفظاً وصيانة لها من أن يغيرها مبتدع بزخرف القول، ومضلات الشبه.

فعلى الناصح أن يراعي تلك الجوانب كلّها، حتى لا يؤتى من جهة مراعاته لجانب دون آخر، وعليه أن يوازن بينها ويتقي الله تعالى ما استطاع؛ ففقه النصيحة يوجب ذلك ويحتمه.

فلربما نظر إلى مصلحة المهجور ونسي مصلحة المجتمع، فيرى عدم تأثير الهجر في رجوع المبتدع فيتركه، لكن يحصل بذلك تمكّن لقول المبتدع في الناس!! وذلك من أخطر العواقب، وأسوأ الآثار.

ثانياً: أن الهجر ليس حكماً واحداً، ولا حالاً واحدة يشترك فيها كل مبتدع، بل لا بد من التفريق بين أحوال المبتدعة، فهناك البدع المكفرة، وهناك البدع غير المكفرة، ولكلٍّ من ذلك قدره المناسب له، والنظر المراعي للمصلحة في الهجر وعدمه.

ومنهج السلف في هجر المبتدع لم يكن على طريقة واحدة فتنزل على كل مبتدع، ومن لم يستوعب نظراً لذلك المنهج تجده لم يصب طريقة السلف في هذا الباب، وإن ادعى به وصلاً.

ثالثاً: أن الهجر يختلف باختلاف الهاجرين، فالناصح لا بد أن يعرف هذا من نفسه، ويدرك مدى تأثيره في الهجر إن كان الحال يستوجبه ويؤثر في

تحقيق المصالح المعتبرة فيه.

فإن لم يكن في قيامه بالهجر مصلحةً متحققة، فهذا لا يكون لهجره معنى! فمثلاً، إن كان الهجر لمصلحة المهجور أو الأمة، فلا بد أن يكون الهاجر ذا أثر تتحقق به مصلحة الهجر، كعالم أو ذي جاه أو نحو ذلك، بخلاف ما إذا كان الهجر لمصلحة الهاجر نفسه، فليس هذا بلازم. فيجب أن تراعى هذه الفروقات، ليدار مع الهجر وفق ما تتحقق به المصالح الشرعية.

قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «ولا هجرة إلا لمن ترجو تأديبه بها، أو تخاف من شره في بدعة، أو غير ذلك»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم؛ فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإذا كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف أقواماً ويهجر آخرين»<sup>(٢)</sup>.

(١) التمهيد ٦/١١٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٦.

وأنقل ههنا كلاماً مفصلاً للشيخ محمد بن عثيمين - فيما يتعلق بهجر المبتدع - مفيداً جداً في هذا الباب، فيقول: «البدع تنقسم إلى قسمين: بدع مكفرة، وبدع دون ذلك، وفي كلا القسمين يجب علينا نحن أن ندعو هؤلاء الذين يتتسبون إلى الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلى الحق؛ بيان الحق دون أن نهاجم ما هم عليه إلا بعد أن نعرف منهم الاستكبار عن قبول الحق؛ لأن الله تعالى قال للنبي ﷺ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فندعو أولاً هؤلاء إلى الحق ببيان الحق وإيضاحه بأدلته، والحق مقبول لدى كل ذي فطرة سليمة، فإذا وجد العناد والاستكبار فإننا نبين باطلهم، على أن بيان باطلهم في غير مجادلتهم أمر واجب، أما هجرهم فهذا يترتب على البدعة، فإذا كانت البدعة مكفرة وجب هجره، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره، إن كان في هجره مصلحة فعلناه، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنابناه، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقول النبي ﷺ: «لا يحل لرجل مؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث»<sup>(١)</sup>. فكل مؤمن وإن كان فاسقاً فإنه يحرم هجره ما لم يكن في الهجر مصلحة، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه، لأن الهجر حينئذ دواء، أما إذا لم يكن فيه مصلحة أو كان فيه زيادة في المعصية والعتو، فإن ما لا مصلحة فيه تركه هو المصلحة»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري - كتاب الأدب - (رقم ٦٠٧٦)، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب - (رقم ٢٥٥٩).

(٢) من محاضرة له مفرغة بعنوان «الاعتدال في الدعوة»، وهي في موقعه الإلكتروني على الرابط:

## المبحث السابع

### نماذج من نصيحة علماء أهل السنة للمبتدعة

وهنا أعرض لأنموذجين من نصيحة السلف للمبتدعة؛ لتكون أمثلة حية في السبيل القويم في هذا الباب، فيكون السالك بها ناظرًا في طريقتهم نظرة الشمول السابرة لطرائقهم الدائرة مع الحق والمصالح الشرعية حيث كانت. والأمثلة في هذا الباب كثيرة، ولكن سأقتصر هنا على هذين المثالين، يكون بهما إيضاح وبيان لما سبق تقريره:

#### ● المثال الأول: مناصحة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ للخوارج:

فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا خَرَجْتَ الْحَرُورِيَّةَ اجْتَمَعُوا فِي دَارٍ وَهُمْ سِتَّةٌ آلَافٍ، أَتَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبْرِدْ بِالظَّهْرِ لِعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأَكَلْتَهُمْ. قَالَ: إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكَ. قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا. قَالَ: فَخَرَجْتَ آتِيَهُمْ وَلَبَسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حِلِّ الْيَمَنِ فَأَتَيْتَهُمْ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي دَارٍ وَهُمْ قَائِلُونَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا عَبَّاسٍ، فَمَا هَذِهِ الْحَلَّةُ؟ قَالَ قُلْتُ: مَا تَعْيُونُ عَلَيَّ لَقَدْ رَأَيْتَ عَلِيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْحِلِّ، وَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، قَالُوا: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قُلْتُ: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِأَبْلُغْكُمْ مَا يَقُولُونَ وَتَخْبُرُونِي بِمَا يَقُولُونَ، فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ، وَليْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَخَاصِمُوا قَرِيشًا فَإِنَّ اللَّهَ

يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. قال ابن عباس: وأتيت قوماً لم أرقوماً قط أشدَّ اجتهاداً منهم، مسهمةٌ وجوههم من السهر كأنَّ أيديهم وركبهم ثفن<sup>(١)</sup>، عليهم قمصٌ مرخضةٌ، قال بعضهم: لنكلمنه ولننظرنَّ ما يقول. قلت: أخبروني ماذا نعمتم على ابن عمِّ رسول الله ﷺ وصهره والمهاجرين والأنصار؟ قالوا: ثلاثاً. قلت: ما هنَّ؟ قالوا: أمّا إحداهنَّ فإنّه حكّم الرّجال في أمر الله، قال الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وما للرّجال وما للحكم. فقلت: هذه واحدة. قالوا: وأمّا الأخرى فإنّه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فلئن كان الذين قاتل كفاراً لقد حلّ سبيهم وغنيمتهم، وإن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم. قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ قالوا: إنّه محاسبه من أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين. قلت: أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. فقلت لهم: رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يردّ به قولكم أترضون؟ قالوا: نعم. فقلت لهم: أمّا قولكم حكّم الرّجال في أمر الله، فأنا أقرأ عليكم ما قد ردّ حكمه إلى الرّجال في ثمن ربع درهم، في أرنبٍ ونحوها من الصّيد فقال: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصّيدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، إلى قوله ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، فنشدتكم بالله أحكم الرّجال في أرنبٍ ونحوها من الصّيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وإصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أنّ الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرّجال. وفي المرأة وزوجها قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا

(١) الثَّفِنَةُ بكسر الفاء من البعير: الركبة (القاموس المحيط ص ١٥٢٨) ومراده: أنها غلظت

حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴿٣٥﴾ [النساء: ٣٥]، فجعل الله حكم الرجال سنة ماضية. أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم قاتل فلم يسب ولم يغنم! أتسبون أمكم عائشة! ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها! فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم، ولئن قلتم ليست بأمنا لقد كفرتم، فإن الله تعالى يقول: ﴿التَّيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأنتم تدورون بين ضالالتين، أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة، فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، أريكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب المشركين سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين: «اكتب يا علي هذا ما اصطاح عليه محمد رسول الله». فقال المشركون لا والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعلم أنك تعلم أنني رسولك، اكتب يا علي: هذا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله». فوالله لرسول الله ﷺ خير من علي، وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. قال عبد الله بن عباس: فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة<sup>(١)</sup>.

وفي هذه القصة دروس عظيمة يستفاد منها في مناصحة المبتدع، فمن

تلك الدروس:

(١) رواه البيهقي في الكبرى ١٧٩/٨ وهذا لفظه، والحاكم في المستدرک ١٦٤/٢ وقال:

صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

١. أن الذي تصدى لمناصحتهم - أي الخوارج - هو ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو العالم الفذ، حبر لأمة، وترجمان القرآن، وهو الذي دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين»<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على أنه لا يتصدى لمناصحة المبتدعة إلا من كان عالماً بالشرع، عارفاً بأحوال الناس ومقالاتهم.

٢. في قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهم: «أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» لفت أنظارهم إلى من هو أعلم وأفقه ليعتبر قوله، وأن لا يعتد المرء بعلمه أمام من هو أدري منه وأعلم، بل لا بد من تقدير الأقوال بتقدير أصحابها، ولذلك لما أخبرهم بمجيئه من عند الصحابة، نص على سبب ذكر ذلك بأن قال: «فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ».

٣. بيان المرجع في الاستدلال، وهو الكتاب والسنة، وإلزام المبتدع بذلك؛ ليكون فاصلاً في الحكم وقاطعاً في النزاع، وهذا مأخوذ من قوله لهم: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا يَرُدُّ بِهِ قَوْلَكُمْ أَتَرْضَوْنَ؟».

٤. تحديد مواضع المخالفة وأسبابها؛ لئلا يتشعب الكلام، فيخرج عن المقصود، ويتفرع إلى ما يبعده عن أصل ما يراد النصح فيه، ولذلك طالبهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابتداءً بما ينقمونه ويخالفون فيه، ولما أخبروه طلب التأكيد بأن الأمر لا يخرج عما ذكره، فقال لهم: «أَعِنْدَكُمْ سِوَى هَذَا؟ قَالُوا: حَسْبُنَا هَذَا».

(١) رواه البخاري - كتاب الوضوء - باب وضع الماء عند الخلاء - رقم ١٤٣.

٥. استنطاق المقابل بالإقرار باستنفاذ الجواب وأنه وقع به إزالة الإشكال، بحيث إن لم يكن كذلك تستكمل جوانبه قبل الانتقال لغيره، وهذا مستفاد من قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُمْ: «أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟» فقالوا: نعم.

٦. استعمال التطبيق العملي الذي يكون أبلغ في الفهم، وأكد في الاحتجاج، وذلك لما خرج عليهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابساً أحسن ما يكون من حلل اليمن، ولما أنكروا عليه احتج عليهم بأنه رأى النبي ﷺ لابساً أحسن ما يكون من الحلل.

٧. الاستماع إلى المبتدع في عرض قوله؛ ليكون الجواب عن تصور للمسألة، ووقوف على الإشكال، ولذلك طلب منهم ابن عباس ابتداء عرض أقوالهم، واستمع إليها كلها، وأكد بأنه إن كان من مزيد منها فهو على استعداد بأن يسمعها.

٨. استعمال الأقيسة العقلية الصحيحة، وإيقاف المبتدع على ما هو محل تسليم عنده، لئلا يُلزَم بالوقوف عنده، وهذا مأخوذ من مقارنته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين دم الصيد ودماء المسلمين، وأن دماء المسلمين أولى بالحكم، وكذلك إلزامه لهم ببطلان قولهم في السبي لما ذكر لهم أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٩. أن يذكر ما عند المبتدع من حسن حال إن استدعى المقام ذلك، وهذا مأخوذ من وصفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُمْ بقوله: «وَأَتَيْتُ قَوْمًا لَمْ أَرِ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، مَسْهَمَةٌ وَجَوْهَهُمْ مِنَ السَّهْرِ، كَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ وَرُكْبَهُمْ ثَفْنٌ».

## ● المثال الثاني: مناصحة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز

### لغيلان الدمشقي:

عن أبي جعفر الخطمي قال: شهدت عمر بن عبدالعزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر، فقال له: ويحك يا غيلان! ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يكذب عليّ يا أمير المؤمنين، ويُقال عليّ ما لا أقول. قال: ما تقول في العلم؟ قال: نفذ العلم. قال: أنت مخصوم، اذهب الآن فقل ما شئت. يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خُصمت، وإن جحدته كفرت، وإنك أن تُقرّ به فتُخصم خير لك من أن تجحد فتكفر.

ثم قال له: أتقرأ يس؟ فقال: نعم. قال: اقرأ. قال: فقراً: ﴿يَس ۝١﴾  
وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿إلى قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾﴾.  
قال: قف، كيف ترى؟

قال: كأني لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين. قال: زد. فقراً: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيهِ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبِهِ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴿فقال له عمر: قل: ﴿سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [يس: ١ - ١٠].

قال: كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآيات قط، وإني أعاهد الله أن لا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبداً.

قال: اذهب. فلما ولى قال: اللهم إن كان كاذبًا بما قال فأذقه حر السلاح<sup>(١)</sup>.

ففي هذا المثال صورة واضحة تبين ما كان عليه سلف الأمة رحمهم الله تعالى من حرص على المبتدع، فيأخذون بيده نصحًا وتوجيهًا، ويوقفونه على ما يخفى عليه من المعاني، ويقيمون عليه الحجة التي تكون بها الهداية والرجوع إلى السنة، ولا عليهم بعد ذلك ما يكون منه من صدود وإعراض، أو مراوغة وتلبيس، فما الأمر عندهم إلا كما قال الله تعالى: ﴿مَعذِرَةٌ لِيَ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/٧١٣، والسنة لعبدالله بن أحمد ٢/٤٢٩.

## الخاتمة

وبعد أن وصلت إلى ختام البحث بحمد الله تعالى ونعمته، أذكر أهم نتائجه:

١. أن النصيحة من المطالب العالية والأصول المقررة في الشريعة، وهي مبذولة لكل أحد، ومنهم المبتدعة، فواجب نصيحتهم ودالتهم على الخير.  
٢. أن المبتدع موصوف بالابتداع لغلبة ذلك عليه، وأن حاله التي يعرف بها هي التلبس بالابتداع، أما من كان الأصل والغالب على حاله هو السنة فهو من أهلها.

٣. وجوب الإخلاص في بذل النصيحة عمومًا، ومن ذلك نصيحة المبتدع.

٤. وجوب مراعاة العدل والحكمة في نصيحة المبتدع.

٥. وجوب الثبوت في الحكم بالابتداع، وأن تكون النصيحة مبنية على ذلك.

٦. وجوب مراعاة الفروق بين المبتدعة؛ لتكون النصيحة أبلغ في تحقق المقصود.

٧. وجوب تأسيس النصيحة على الاستدلال بالكتاب والسنة.

٨. أن لا تكون نصيحة المبتدع سببًا في انتشار بدعته وإشهارها.

٩. أن تبذل النصيحة المقتضية لمخالطة المبتدع ومناقشته من قبل صاحب علم وبصيرة؛ لكيلا تكون البدعة ذات أثر عليه.

١٠. أن المبتدع إذا تاب إلى الله تعالى من بدعته وصدق في ذلك فإن الله

تعالى يقبلها، وهذا ما بينى عليه تقرير نصيحة المبتدع.

١١. أن كلام العلماء في عدم توبة المبتدع راجع إلى مسألة التوفيق للتوبة، أو مسألة سقوط العقوبة التعزيرية، أما قبول الله تعالى للتوبة الصادقة من المبتدع فهي مقررة بالاتفاق.

١٢. أن هجر المبتدع هو وسيلة من وسائل النصح للمبتدع؛ ليكون بها رجوع منه إلى الحق، ولئلا يكتسب أوزارًا باقتداء غيره به، وليكون بهذا الهجر حفظ للمجتمع أن يتأثر بتلك البدعة.

١٣. وجوب مراعاة المقاصد الشرعية، والمصالح المرعية في هجر المبتدع.

١٤. أن سيرة السلف الصالح رحمهم الله تعالى في نصيحة المبتدع أمثلة حية في صدق النصح امتلأت بها الصفحات، وسجلها التاريخ أمارات هدى، ومنارات سبيل.

## فهرس المراجع والمصادر

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري، دار الراية - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.
٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، بيروت.
٣. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د.ناصر القفاري، ط:١، ١٤١٤ هـ.
٤. الاعتدال في الدعوة، محمد بن عثيمين، محاضرة مفرغة في موقعه.
٥. الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٨ هـ.
٦. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، السابعة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
٧. البدعة: ضوابطها وأثرها السيئ على الأمة، علي بن محمد ناصر الفقيهي، الجامعة الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
٨. تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، مطبعة المنار، ط:١، ١٣٣١ هـ.
٩. التبر المسبوك في ذيل السلوك، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٨٩٦ م.
١٠. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، زكي الدين المنذري، دار

- ابن كثير، دمشق، ط: الثانية، ١٤١٧هـ.
١١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.
١٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧.
١٣. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، دار الفكر - بيروت.
١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٥. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد القرطبي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ.
١٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، دار الراية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، السعودية، الرياض.
١٧. حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.
١٨. الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط: ١، ١٤٠٥هـ.
١٩. رياض الصالحين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتاب

- العربي، بيروت.
٢٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، الأردن، ط: الأولى، ١٤٠٣.
٢١. السنة، ابن أبي عاصم الضحاك، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠.
٢٢. السنة لعبدالله بن أحمد، دار رمادي للنشر، الدمام، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.
٢٣. سنن أبي داود، دار الكتاب العربي - بيروت.
٢٤. سنن البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤.
٢٥. سنن الدار قطني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦ - ١٩٦٦.
٢٦. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثامنة، ١٤١٢هـ.
٢٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢هـ.
٢٨. شرح السنة، لحسن بن علي بن خلف البرهاري، دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٩. شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٠. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى، المحقق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض.
٣١. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين - بيروت، ط: الرابعة - ١٩٩٠.
٣٢. صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
٣٣. صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٤. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣.
٣٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٤١٥هـ.
٣٦. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد السفاريني، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية).
٣٨. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة.
٣٩. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة،

بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٧هـ.

٤٠. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب؛ ابن قيم الجوزية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ.

٤١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

٤٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٤٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، دار الوفاء، الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٤٤. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ / ١٩٩٠.

٤٥. معالم السنن (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

٤٦. المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.

٤٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٨. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، عني بتصحيحه هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر، فيسبادن، ط: ٣، ١٤٠٠هـ.

٤٩. الملل والنحل / محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢، ١٤١٣هـ.
٥٠. منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٥١. موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
٥٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٥٣. هجر المبتدع، بكر بن عبد الله أبو زيد، مكتبة السنة، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.

## فهرس الموضوعات

- ملخص البحث ..... ٢٧٥
- مقدمة..... ٢٨٢
- المبحث الأول: تعريف النصيحة وأهميتها في الدين ..... ٢٨٥
- المبحث الثاني: تعريف البدعة والمبتدعة ..... ٢٨٨
- المبحث الثالث: أهمية نصيحة المبتدع ..... ٢٩١
- المبحث الرابع: منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة المبتدع ..... ٢٩٧
- أولاً: الإخلاص في النية ..... ٢٩٧
- ثانياً: الرفق واللين ..... ٢٩٩
- ثالثاً: الثبّت في الحكم ..... ٣٠١
- رابعاً: العدل مع المبتدع ..... ٣٠٢
- خامساً: تأسيس النصيحة على الاستدلال بالكتاب والسنة ..... ٣٠٤
- سادساً: التغليظ في النصيح إن كانت المصلحة تقتضيه ..... ٣٠٦
- سابعاً: عدم توسيع دائرة البدعة ..... ٣٠٧
- ثامناً: العلم والبصيرة في نصيح المبتدع ومناقشته: ..... ٣٠٩
- تاسعاً: التفريق بين المداراة والمداهنة ..... ٣١٠
- عاشراً: الحذر عند مخالطة أهل البدع ..... ٣١١
- المبحث الخامس: مسألة توبة المبتدع وعلاقتها بنصيحته ..... ٣١٣
- هل للمبتدع توبة؟ ..... ٣١٣

- أولاً: حديث: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة» ..... ٣١٣
- ثانياً: ما نقل عن بعض السلف من عدم قبول توبة المبتدع ..... ٣١٧
- المبحث السادس: مسألة هجر المبتدع وعلاقتها بنصيحته ..... ٣١٩
- المبحث السابع: نماذج من نصيحة علماء أهل السنة للمبتدعة ..... ٣٢٣
- المثال الأول: مناصحة ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للخوارج ..... ٣٢٣
- المثال الثاني: مناصحة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز لغيلان الدمشقي ... ٣٢٨
- الخاتمة ..... ٣٣٠
- فهرس المراجع والمصادر ..... ٣٣٢
- فهرس الموضوعات ..... ٣٣٨



**براءة زيد بن علي  
من مذهبي  
الرفض والاعتزال**

**د. محمد بن أحمد بن يحيى خضي**

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك في قسم الثقافة الاسلامية، بكلية  
التربية، بجامعة جازان



## ملخص البحث

احتوى البحث على مقدمة وخمسة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة موجزة لزيد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثناء علماء السنة عليه.

المبحث الثاني: براءة زيد بن علي من مذهب الرفض.

المبحث الثالث: براءة زيد بن علي من مذهب الاعتزال

المبحث الرابع: كلام أهل العلم عن الكتب المنسوبة إلى زيد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المبحث الخامس: أتباع زيد بن علي الحقيقيون.

### نتائج البحث:

أولاً: أئمة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أئمة لأهل السنة والجماعة.

ثانياً: براءة زيد بن علي مما افتراه أهل الرفض والاعتزال.

ثالثاً: أتباع زيد هم المتبعون للكتاب والسنة وآثار سلف الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

رابعاً: خروج زيد بن علي خطأ لا يوافق عليه لمخالفته للنصوص.

خامساً: عدم صحة ما نسب إلي زيد من كتب ومؤلفات.

### التوصيات:

أولاً: تدريس براءة زيد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأجيال المسلمة حصانة لهم

من الأهواء المضللة.

ثانياً: نشر تلك البراءة عبر وسائل الإعلام ردّاً على إعلام أهل البدع المضلل.  
وصلّى الله وبارك وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

د. محمد بن أحمد بن يحيى خضي

maymon1420@gmail.com

***The Clearance of Zayd bin 'Ali from the Madhhabs of Rafdh and I'tizal (The Rafidites and the Mu'tazlites)***

***Dr. Muhammad bin Ahmad Yahya Khadhy***

*Saudi Academic, Associate Professor in the Islamic Cultural Department, Faculty of Education, Jazan University*

***Abstract***

*In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful  
All praise is due to Allah alone, and may He exalt the mention and send peace to the final prophet:*

*To proceed:*

*The paper includes a foreword and five chapters:*

- 1) A concise biography of Zayd bin 'Ali and the praise of the scholars of the Sunnah for him.*
- 2) Clearance of Zayd bin 'Ali from the Rafidite sect.*
- 3) Clearance of Zayd bin 'Ali from the Mu'tazilite sect.*
- 4) The statements of the scholars regarding the books attributed to Zayd bin 'Ali.*
- 5) The true followers of Zayd bin 'Ali.*

***Results of the research:***

- 1) The Imams of the Prophet's household are also imams of Ahlus-Sunnah.*
- 2) The clearance of Zayd bin 'Ali from what the Rafidites and the Mu'tazilites fabricated about him.*
- 3) The followers of Zayd are followers of the Qur'an, the Sunnah and the narration of the pious predecessors.*
- 4) The rebelling of Zayd bin 'Ali was a mistake and is not to be agreed with due to its clear contradiction to the Islamic texts.*

5) *The lack of authenticity regarding the books and the writings that has been attributed to Zayd.*

***Recommendations:***

1) *Teaching the clearance of Zayd bin 'Ali to the Muslim generations is a form of defending of them from falling in to misguiding aspirations.*

2) *Spreading this clearance via the various forms of media to refute the media of the misguided innovators.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-

[٧١] (١).

(١) هذه خطبة الحاجة، رواها مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة باب: رفع الصوت في الخطبة وما يقول فيه رقم الحديث ٢٠٠٥. انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦ ص ٣٩٥. ورواها الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب النكاح، ج ٢ ص ١٨٢-١٨٣. ورواها أبو داود في سننه في كتاب النكاح، باب: في خطبة النكاح، رقم ٢١١٨. ورواها الترمذي في جامعه في كتاب النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح رقم ١١١١، وانظر تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذي ج ٤ ص ٢٣٧ ط ٣. دار الفكر ١٣٩٩ هـ. ورواها ابن ماجة في كتاب النكاح، باب: خطبة النكاح رقم الحديث ١٨٩٢ ج ٢ ص ٤٣٤. ورواها النسائي في كتاب الجمعة، باب: كيفية الخطبة رقم الحديث ١٤٠٣ =

أما بعد: فإن الله تعالى منّ على هذه الأمة ببعثة نبي الرحمة والهدى محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - واختار لصحبته خيار أتباعه من آله وأهل بيته، وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وألف سبحانه بين أتباعه قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وتعاونوا جميعاً على نصره دين الله، ونشره بالعلم النافع والعمل الصالح، والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال.

ولما ظهر أهل الفرقة والاختلاف من أهل الزيغ والضلال من أصحاب الرفض والابتداع، وافتروا اختلافاً وافتراقاً بين الآل والأصحاب واتخذوا ذلك الافتراء سلماً للطعن في الأصحاب، وغرضهم من ذلك الطعن في الله وفي رسوله وفي كتابه وفي شريعته فخذلهم الله، وأبان للبرية كذبهم، فانبرى لهم أئمة آل البيت، وأثنوا على إخوانهم من أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم -، ونشروا فضائلهم ومناقبهم وأعلنوا على الملأ تبرأهم من الرافضة، وكذا فعل الأصحاب، في الثناء على أهل الإيمان من أهل البيت ونشر فضائلهم ومناقبهم.

ومن أئمة آل البيت الذين رموا الرافضة بسهام الحق وأثنوا على الأصحاب، ونشروا فضائلهم ومناقبهم، الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين رضي الله عنهم أجمعين - الذي ظلم من

قبل من زعم أتباعه، وهو في الحقيقة من خصومه، فزعم أولئك بأنهم على مذهب زيد بن علي وهم على مذهب أعدائه من أهل الرفض والاعتزال. فتراهم تارة ينسبون إليه ما هم عليه من الرفض والعداء للأصحاب، وتارة ينسبون إليه الأصول المبتدعة لأهل الاعتزال والابتداع.

ولتجلية الحق في هذا كتبت هذا البحث بعنوان: «براءة زيد بن علي من مذهبي الرفض والاعتزال».

وقد اخترت هذا البحث للأسباب التالية:

أولاً: لإيضاح الحق ورفع اللبس وإقامة الحجة على عوام من ينتسب إلى زيد بن علي، واعتنق مذهبي الرفض والاعتزال زعمًا منه بأن ذاك مذهب زيد بن علي، ومن ثم أطلقوا على أنفسهم الزيدية نسبة إلى زيد بن علي وهم على ذينك المذهبين المنحرفين.

ثانياً: لكشف حقيقة أولئك الملبسين على سدج أتباعهم وعوامهم، من غير أتباعه بهيئته وظاهره وفي بعض الأحيان بحسن بيانه، وأظهر التباكي والحزن على أهل البيت زعمًا منه بأنهم قد ظلموا من الأصحاب، وحول الدين إلى لطم الخدود وشق الجيوب، وضرب الأجسام وهم من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمُ خَشَبٌ مُسْتَنْدٌ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهمُ اللهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، فاستعنت بالله تعالى وكتبت هذا البحث مساهمة مني في جهاد أولئك القوم، عسى أن أنال مرافقة أهل الإيمان من الآل والأصحاب في أعلى درجات الجنان.

ثالثاً: لما رأيت من حاجة الناس اليوم لتجلية الحق في هذه المسألة وأمثالها، نظراً لما يث من تضليل على الناس في هذه المسائل عبر بعض وسائل الاتصال والتقنية الحديثة، وبعض الفضائيات. وأسأل الله تعالى أن ييسر نشر البحث وأمثاله بياناً للحق وإزهاقاً للباطل.

وقد رتبت البحث في المباحث التالية:

المقدمة: وتشمل أهمية البحث - أسباب اختياره - خطة البحث.

المبحث الأول: ترجمة موجزة لزيد بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وثناء علماء أهل السنة عليه.

المبحث الثاني: براءة زيد بن علي من مذهب الرفض.

المبحث الثالث: براءة زيد بن علي من مذهب الاعتزال.

المبحث الرابع: كلام أهل العلم عن الكتب المنسوبة إلى زيد بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المبحث الخامس: أتباع زيد بن علي الحقيقيون.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث وأمثاله، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرزقني وإخواني المسلمين العلم النافع، والعمل الصالح.

وصلّى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

## المبحث الأول

### ترجمة موجزة لزيد بن علي وثناء علماء أهل السنة عليه رَحِمَهُ اللهُ

اسمه ونسبه: الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي العلوي المدني.

أقوال علماء أهل السنة في زيد:

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ عنه: «كان ذا علم وجلالة وصلاح هفا، وخرج، فاستشهد»<sup>(١)(٢)</sup>.

وقال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عنه: «ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: رأى جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً عنه: «زيد بن علي بن الحسين، أبي الحسين المدني، ثقة من الرابعة، وهو الذي يُنسب إليه الزيدية، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك، فُقتل بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة، وكان مولده سنة ثمانين..»<sup>(٤)</sup>.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يدعو أتباعه إلى الكتاب والسنة وإحياء السنن وإماتة البدع، فمن ذلك قوله لأتباعه: «... وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله

(١) الذهبي/ سير أعلام النبلاء/ ج ٥/ ص ٣٨٩، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.

(٢) سيأتي موقف أهل السنة والجماعة من خروج زيد بن علي رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٧-٢٨.

(٣) ابن حجر/ تهذيب التهذيب/ ج ٣/ ص ٣١٩، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، ١٣٢٥ هـ.

(٤) ابن حجر/ تقريب التهذيب/ ج ١ ص ٢٧٦، دار المعرفة، بيروت لبنان.

عليه وآله وصحبه وسلم - وإحياء السنن، وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل». فرفضوه، وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته، وتركوه، فلهذا سُموا الرافضة من يومئذ، ومن تابعه سُموا الزيدية<sup>(١)</sup>.

قلت: قد قال هذا رَحْمَةُ اللَّهِ فِي موطن لا يتفق قوله هذا مع ما أراد من الخروج، فإن الكتاب والسنة وإحياء السنن وإماتة البدع في لزوم الجماعة وعدم الخروج على مَنْ ولاة الله الأمر.

(١) ابن كثير/ البداية والنهاية/ ج ٩ ص ٣٣٠، ط ١ مكتبة المعارف، بيروت ١٤٠١ هـ.

## المبحث الثاني

### براءة زيد بن علي من مذهب الرفض

وبرأته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من مذهب الرفض، مشهور، ومعروف في كتب أهل العلم، وإنما سُموا رافضة لرفضهم قوله في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكانت الشيعة أصحاب علي يُقدّمون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وإنما كان النزاع في تقدمه على عثمان - رضي الله عنهم أجمعين -، ولم يكن حينئذ يُسمى أحدًا لإماميًا ولا رافضيًا، وإنما سُموا رافضة، وصاروا رافضة لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام، فسأته الشيعة عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، فرفضه قوم، فقال: رفضتموني، رفضتموني، فسُموا رافضة، وتولاه قوم فسُموا زيدية، لانتسابهم إليه، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى رافضة إمامية وزيدية، وكلما زادوا في البدعة زادوا في الشر، فالزيدية خيرٌ من الرافضة وأصدق وأزهد وأشجع»<sup>(١)</sup>.

وهذه الحادثة ذكرها أهل العلم في كتبهم في ترجمة زيد بن علي<sup>(٢)</sup>.

ويفهم منها أمور، فمن ذلك:

(١) ابن تيمية/ منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٩٦.

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر تاريخ مدينة دمشق للإمام ابن عساكر ج ١٩ ص ٤٦٤،

ص ٤٧٢. دار الفكر ١٤١٥ هـ، وسير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٩٠، والبداية والنهاية ج ٩

ص ٣٣٠.

الأول: معروف ومعلوم أن الشيعة قد خذلوا أئمة آل البيت وأغروا بهم خصوصهم، بسؤالهم لزيد بن علي عن الشيخين، وجعلهم موافقته لهم في جوابه شرطاً لنصرته، وذلك الخذلان المعروف عنهم، فقد قالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نصرك<sup>(١)</sup>، وقال زيد لهم: يا أخابث خليفة الله، أسلمتموني للقتل، ثم تبكون علي<sup>(٢)</sup>.

الثاني: ثناء شيخ الإسلام ابن تيمية على الزيدية في قوله المتقدم: (فالزيدية خيرٌ من الرافضة، أصدق، وأزهده، وأشجع).

لا يؤخذ منه تزكية للزيدية، التي خالفت ما عليه زيد بن علي، فالزيدية الذين مدحهم رَحِمَهُ اللهُ هم الذين ساروا على طريقة زيد بن علي في الترضي والترحم على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ولم يُقَدِّموا علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عليهما رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وأما من سبهما منهم أو قدم علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عليهما من الزيدية، فلا يتنزل كلام شيخ الإسلام عليه<sup>(٣)</sup>، فهذا هو يقول في أشهر فرق الزيدية طعنًا في الصحابة وهم الجارودية: «والزيدية خيرٌ من الإمامية، وأشبههم بالإمامية الجارودية أتباع أبي الجارود الذين يزعمون أن النبي ﷺ نص على علي بالوصف لا بالتسمية فكان هو الإمام من بعده، وأن الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد رسول الله ﷺ، ثم الحسن هو الإمام، ثم

(١) سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٩٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٧٤.

(٣) ينظر: أبو نصر محمد بن عبد الله الإمام/ رافضة اليمن على مر الزمن/ ص ٦٧٨ -

٦٧٩/ ط ١، والحديث اليمن - معبر، ط ١ عام ١٤٢٧ هـ.

الحسين...»<sup>(١)</sup>.

وقد أثنى زيد بن علي على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وعدَّ البراءة منهما براءةً من علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتبرأ زيد ممن تبرأ منهما، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أبو بكر الصديق إمام الشاكرين»، ثم قرأ: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] <sup>(٢)</sup>.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «البراءة من أبي بكر وعمر البراءة من علي عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

قلت: والترضي على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كسائر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أُولَى.

وسُئِلَ زيد بن علي عن قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١١]، مَنْ هؤُلاءِ؟ قال: أبو بكر، وعمر، ثم قال: لا أنالني الله شفاعة جدي إن لم أوالِهما<sup>(٤)</sup>.

وسُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فقال للسائل تولَّهما، قال: قلت: كيف تقول فيمن يبرأ منهما؟ قال: أبرأ منه حتى يموت<sup>(٥)</sup>.

(١) منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٠-١١، ط ١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ.

(٢) أبو القاسم اللالكائي/ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/ تحقيق د. أحمد سعد حمدان ج ٧ ص ١٣٠٢، رقم ٢٤٦٨، ط ١، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ.

(٣) أبو القاسم اللالكائي/ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/ تحقيق د. أحمد سعد حمدان رقم ٢٤٦٩.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٩١.

(٥) المرجع السابق نفسه.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: البراءة من أبي بكر، وعمر، وعثمان البراءة من علي، والبراءة من علي البراءة من أبي بكر، وعمر، وعثمان<sup>(١)</sup>.

وقال الشدي: أتيت زيد بن علي وهو في بارق - حي من أحياء الكوفة - فقلت: أنتم سادتنا، وأنتم ولاة أمرنا، ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: تولهما<sup>(٢)</sup>.

وذمّ زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرافضة، فمن ذلك قوله: «الرافضة حربي وحرب أبي في الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الذي تقرر من ثناء زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على الصحاب الكرام - رضي الله تعالى عنهم - هو مذهب جميع الأئمة من أهل البيت.

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «قد ثبت إجماع الأئمة من أهل البيت على تحريم سب الصحابة، وتحريم التكفير والتفسيق لأحد منهم»<sup>(٤)</sup>.

وقال القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ بعد أن قرر ما قرره هنا من ثناء زيد وترضيه على الصحاب الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قال غفر الله له: «هذه هي عقيدة زيد بن علي في الشيخين أبي بكر، وعمر، أعلنها بوضوح وجلاء لأنه كان

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٩١.

(٣) انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤١٩.

(٤) محمد بن علي الشوكاني/ إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ

ص ٥٠، طبع دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة ط ١، ١٤٢٧ هـ.

يتقي الله حق تقاته ويخشاه أشد الخشية، مع أنه كان في وسعه لو كان رجل دنيا أن يُمالي هؤلاء الرافضة الذي أرادوا أن يحملوه على اتباع أهوائهم بمشاركته لهم في القدح في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولو على سبيل التقية كما يفعل الإمامية، وذلك ليستميلهم إلى صفه ليعينوه ويناصروه، حتى يتحقق له هدفه من خروجه على هشام بن عبد الملك، ولكنه أبي ورفض طلبهم، وأثر التمسك بالحق الذي يجب أن يُتبع، ولو أسخط في رضا الله جميع البشر، ذلك لأنه لا يمكن أن يشذ عن النهج الذي كان عليه والده زين العابدين علي بن الحسين، ومن قبله والده ثم جده علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حبهم الصادق لأبي بكر وعمر وعثمان»<sup>(١)</sup>.

وقال أتابه الله في ترجمة يحيى بن الحسين بن المؤيد محمد بن القاسم بن محمد الرافضي الجارودي المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ: «ويدعي أن زيد بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ كان رافضياً، سباباً للصحابة، وحاشاه من ذلك فإنه متواتر عنه خلافه، بل كان سبب رفض الرافضة له، وترك بيعته، لأنهم كانوا طالبوه بالكوفة لما وصل إليها أن يتبرأ من المشايخ أبي بكر وعمر وعثمان فامتنع... وهذا ظاهر عنه في جميع كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي التواريخ لا يمكن رده»<sup>(٢)</sup>.

(١) إسماعيل بن علي الأكوغ/ الزيدية نشأتها، معتقداتها، ص ٢٠-٢١، دار الجيل الجديد ناشرون، صنعاء ط ١٤٢٨ هـ.

(٢) إسماعيل بن علي الأكوغ/ هجر العلم ومعاقله في اليمن ج ٢ ص ١٠٩٠-١٠٩١، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان ط ١٤١٦ هـ.

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد الزبيري غفر الله له: «ومما يؤكد على أن الإمام زيد بن علي رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ أئمة السنة، موقفه من الرافضة وموقف الرافضة الاثني عشرية منه، حيث أنهم يغمزون ويلمزون فيه، ولم يُعُدوه ضمن قائمة الاثني عشر إماماً، الذين يعتقدون فيهم العصمة بحسب زعمهم، ولا عصمة إلا لمن عصمهم الله بالوحي وهم أنبياء الله ورسله، جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ أبو نصر محمد بن عبد الله الإمام - نصر الله وجهه - بعد أن أورد ما أثار عن زيد بن علي من الثناء والترضي عن أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتبرّئه من الرافضة، قال: أخي القارئ.. تأمل أقوال زيد المتقدمة ترى فيها ما يلي:

أولاً: حكم زيد بن علي على أن الطعن في أبي بكر وعمر طعن في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والبراءة منهم براءة من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثانياً: تصريحه بأن الطعن في أبي بكر وعمر شأن الرافضة الذين مرقوا على آل بيت النبوة. كما مرقّت الخوارج على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثالثاً: إعلان زيد بن علي بأن الرافضة حرب عليه وعلى أبيه وجده، تجديداً لما أعلنه من سبقه من آل البيت. وهذا دليل على أن الرافضة لم تنصرهم، لا من سابق ولا من لاحق، وإن ادّعت ذلك.

رابعاً: لا تجد في أقوال زيد أي غمز أو لمز في أبي بكر، أو عمر، أو

(١) عبد العزيز بن محمد الزبيري/ اذهبوا فأنتم الرافضة ص ٧٣، ط ١٤٢٣ هـ.

عثمان، وهذا دليل على حسن معتقده فيهم، ولم يصح تفضيله علياً عليهما، ولا ادعائه أن علياً أحق بالخلافة منهما، فأين الزيدية والهادوية<sup>(١)</sup> من هذه الحقائق؟!

فهذا الذي عليه زيد بن علي موقف كل مسلم ومسلمة، بما في ذلك الفرق الضالة من غير الرافضة، فلا يُعلم أن طائفة من طوائف الضلال تبرأ من أبي بكر وعمر، فدع الرافضة وشذوذهم الشيطاني، عاملهم الله بما يستحقون<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا الإيضاح والتقرير لعقيدة زيد بن علي رَحِمَهُ اللهُ في الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - الموافقة للكتاب العزيز والسنة المطهرة، المخالفة لعقيدة أهل الرفض المبغضين لأهل الحق من الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان، بعد كل ذلك لا بد من التنبيه على ما نقله محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر المعروف بالشهرستاني في كتابه الملل والنحل عن زيد بن علي في مسألة جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل حيث ذكر أنه قال: «كان علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين ثائرة الفتنة، وتطيب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة، كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين علي من دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف

(١) نسبة إلى الهادي يحيى بن الحسين الذي دخل اليمن في آخر المائة الثالثة عام ٢٨٣ هـ (انظر: رافضة علي مر الزمن ص ٩).

(٢) انظر: الرافضة علي مر الزمن ص ١٠٤-١٠٥.

بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن مَنْ عرفوه باللين، والتؤدة، والتقدم بالسن، والسبق في الإسلام، والقرب من رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

### والجواب عن ذلك بجوابين؛ مجمل ومفصل:

أما المجمل: فإن الشهرستاني يُظهر الميل إلى الشيعة، إما بباطنه، وإما مداهنة لهم، وقد ألف كتابه الملل والنحل لرئيس من رؤسائهم<sup>(٢)</sup>.

وقال الدكتور/ محمد بن ناصر بن صالح السحبياني في كتابه منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: «إن المتأمل في كتاب الملل والنحل والمستعرض لما تضمنه يلحظ في ثنايا عرض المؤلف بعض الأفكار التي تشعر بميله إلى بعض مبادئ وأفكار الرافضة...»<sup>(٣)</sup>.

أما الرد التفصيلي: فإن ما نقله الشهرستاني عن زيد بن علي يتضمن أن زيداً يقول بأفضلية علي على كل الصحابة بعد الرسول ﷺ، وهذا لا يتفق مع ما عُرف عن زيد من اعترافه بفضل الخلفاء الراشدين الذين سبقوا علياً، كما أن هذا الرأي المنسوب إلى زيد يوحي بأن الصحابة كان ولاؤهم

(١) الشهرستاني/ الملل والنحل ص ١٥٥، طبع دار الفكر.

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية/ انظر منهاج السنة النبوية ج ٦ ص ٣٠٦.

(٣) محمد بن ناصر بن صالح السحبياني/ منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل

ص ١٣٣-١٣٥، دار الوطن، ط ١٤١٧هـ.

لأقاربهم أشد من ولائهم للإسلام، ولذا كان موقفهم هذا من علي لأنه قتل أقاربهم، وهذا ظن سيء بالصحابة يربأ زيد أن يقول به، وهو العارف بأن الصحابة زكاهم القرآن، وشهدت لهم مواقفهم بأنهم ضحوا بأقاربهم وقتلوهم حينما عارضوا الإسلام، ووقفوا في وجه دعوته<sup>(١)</sup>.

وشيخ الإسلام ابن تيمية نسب ذلك القول إلى الزيدية لا إلى زيد<sup>(٢)</sup>.

أما زيد وجميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم؛ من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما، فإن النقل ثابت عنهم أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر، وكانوا يفضلونهما على علي، والنقول عنهم ثابتة متواترة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٣)</sup>.

(١) منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ص ٥٢٢-٥٢٣.

(٢) منهاج السنة النبوية ج ٦ ص ٣٣١.

(٣) المرجع السابق ج ٧ ص ٣٩٦.

## المبحث الثالث

### براءة زيد بن علي من مذهب الاعتزال

المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد رأسي الاعتزال. وسبب تسميتهم معتزلة: أن واصل بن عطاء، لما قال الفاسق لا مؤمن ولا كافر طرده الحسن البصري من مجلسه، فاعتزل واصل مجلس الحسن، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا حلقة الحسن البصري، فسموا معتزلة.

من أشهر بدعهم:

- ١- نفي الصفات.
- ٢- القول بخلق القرآن.
- ٣- نفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.
- ٤- نفي القدر.
- ٥- القول بالتحسين والتقيح العقلين.
- ٦- القول بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وبخلوده في النار إن مات مصراً على كبرته من غير توبة.
- ٧- القول بالخروج على أئمة الجور، وعدّوا ذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>.

(١) أبو الحسن الأشعري/ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص ١٣٠، طبع شركة أبناء شريف الأنصاري ١٤٢٨هـ، الشهرستاني/ الملل والنحل ص ٤٣، الذهبي/ سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٤٦٤-٤٦٥، ج ٦ ص ١٠٤-١٠٥، محمد العبد وطارق =

زعم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل بأن زيد بن علي تتلمذ على رأس الاعتزال واصل بن عطاء، قال الشهرستاني: «وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب، أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم. فتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزال الأثغ رأس المعتزلة، ورئيسهم...»<sup>(١)</sup>.

والجواب عن ذلك بجوابين أيضاً؛ مجمل ومفصل.

فالمجمل: أن الشهرستاني مع ميله إلى التشيع والرفض، يميل كذلك إلى الاعتزال وإلى كتب المعتزلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والشهرستاني أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة»<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من قوله عن زيد بن علي: «...أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم، فتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء..»، يظهر من قوله هذا تمجيده وتبجيله لرأس الاعتزال واصل بن عطاء.

والشهرستاني لم يدعم ما ذكره من تتلمذ زيد بن علي واصل بن عطاء بنقل مسند عن زيد أو عن أحد أصحابه الثقات.

قال الإمام محمد بن إبراهيم الوزير اليماني: «وأما ما نقله محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر المعروف بالشهرستاني في كتابه الملل والنحل من

عبد الحليم/ المعتزلة بين القديم والحديث، طبع دار الأرقم ١٤٠٨ هـ.

(١) الملل والنحل ص ١٥٥.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية ج ٦ ص ٣٠٧.

كون زيد بن علي عليه السلام قلّد واصل بن عطاء، وأخذ عنه مذهب الاعتزال تقليداً، وكانت بينه وبين أخيه الباقر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مناظرات في ذلك، فهذا من الأباطيل بغير شك، ولعله من أكاذيب الروافض، ولم يورد له الشهرستاني سنداً ولا شاهداً من رواية الزيدية القدماء، ولا من رواية علماء التاريخ، ولا الشهرستاني ممن يوثق به في النقل، وكم قد روى في كتابه هذا من الأباطيل المعلوم بطلانها عند أئمة هذا الشأن؟ وكيف يقلده زيد مع أن زيد أكبر منه قدراً وسناً؛ فإن واصلاً ولد سنة ثمانين، وزيد عليه السلام توفي سنة مائة؟!<sup>(١)</sup>، ولو كان الشهرستاني كامل المعرفة والإنصاف لذكر مع ما ذكره ما هو أشهر منه في كتب الرجال وتواريخ العلماء وأئمة السنة وفي - الجامع الكافي - ثم ذكر الراجح من النقلين، وقواه بوجوه الترجيح. والظاهر أنه اقتصر على نقل كلام بعض الروافض ولم يشعر بغيره والله أعلم. ومما يدل على عدم تحقيقه في معرفة الرجال أنه عدّ زيد بن علي من أتباع المعتزلة، ثم ذكر بعد ذكر الإمامية جماعة جلّة من أئمة السنة ورواة الصحاح وعدهم من أتباع زيد بن علي وسماهم زيدية، بل عدّهم من مصنفي كتب الزيدية، منهم شعبة ووكيعة...»<sup>(٢)</sup>، ثم قال: «فكيف يصح مع هذا أن يكون مذهب زيد والزيدية هو مذهب المعتزلة وفي هؤلاء رؤوس خصوم المعتزلة، لولا عدم معرفته وتحقيقه في أحوال الرجال؟

وقد شرط الذهبي على نفسه أن يذكر في «الميزان» من قدح عليه بحق أو

(١) وقد تقدم أن وفاته سنة ١٢٢ هـ.

(٢) انظر: الملل والنحل ج ١ ص ١٩٠، طبع دار المعرفة بيروت.

باطل، فذكر واصل بن عطاء<sup>(١)</sup>، ولم يذكر فيه زيد بن علي عليه السلام لبراءة ساحته من ذلك. ويدل على ما ذكرته من بطلان ذلك أنه ذكره الشهرستاني على وجه يستلزم الانتقاص لزيد عليه السلام حتى جعله مقلداً لواصل، لا موافقاً بالنظر والاستدلال، وحتى أشار إلى أن الذي حمّله على ذلك إرادة الصلاحية للخلافة وحبُّ الرئاسة، وحتى عاب عليه تقليد واصل، مع قدح واصل في جده علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم قال ابن الوزير: «وقد ذكر السيد الشريف الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الحسيني العلوي في كتابه «الجامع الكافي» في مذهب الزيدية عن قدماء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ما يدل على إجماع قدماء أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في المائة الأولى والثانية وأكثر الثالثة وهي القرن الثالث على صريح مذهب أهل السنة، والحمد لله على وجود ذلك في كتب الزيدية وخزائن أئمتهم ورواية ثقاتهم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الدكتور محمد حسن أحمد الغماري بعد أن ذكر تاريخ دخول الاعتزال إلى اليمن: «...وبهذا تعرف أن الإمام زيد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن معتزلياً، وقد ألفتُ في ذلك رسالة سميتها - النهر الفائض في مخالفة أهل

(١) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج ٤ ص ٣٢٩، دار المعرفة لبنان، قال الذهبي عن واصل: كان من أجداد المعتزلة ولد سنة ثمانين. كان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول إحدى الطائفتين فسقت، لا يُعَيِّنُهَا. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ج ٥ ص ٣٠٨-٣١٠، طبع مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٢هـ.

البيت للروافض-، وقد تتبعت بطون الكتب وسواد الحكايات فلم أجد سنداً صحيحاً ولا كلمة تؤثّر عن زيد بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تدل على أنه كان معتزلياً...»<sup>(١)</sup>.

### أما الرد المفصل:

أولاً: عُرف عن أئمة أهل البيت موافقة السلف من الصحابة والتابعين في مسائل العقيدة، وعدم مخالفتهم في ذلك، وقد نص أئمة الإسلام على ذلك، فمن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن أئمة أهل البيت كعلي وابن عباس ومن بعدهم كلهم متفقون على ما اتفق عليه سائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان من إثبات الصفات والقدر، والكتب المشتملة على المنقولات الصحيحة مملوءة بذلك...»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أن زيدا كان ثقة عند علماء الجرح والتعديل، ولم يتهم بالميل إلى الاعتزال أو الرفض، ولو كان فيه شبهة لأشار إلى ذلك علماء الحديث والجرح والتعديل<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: لم ترد نصوص صريحة عن زيد تثبت رأياً من آراء المعتزلة، بل

(١) الإمام الشوكاني مفسراً ص ٤٦. دار الشروق، ط ١، ١٤٠١ هـ.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ١٠٠.

(٣) ترجم له الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٨٩، وابن حجر في التهذيب ج ٣ ص ٤١٩، وتقريب التهذيب ج ١ ص ٢٧٦، وابن سعد في الطبقات ج ٥ ص ٣٢٥، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٥٠، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ج ٣ ص ٥٦٨-٥٦٩.

ورد عنه خلاف ذلك، ومن ذلك إثباته للقدر الذي تنفيه المعتزلة، روى الإمام ابن عساكر أن رجلاً جاء إلى زيد، فقال: يا زيد: أنت تزعم أن الله أراد أن يُعصى؟ فقال له زيد: أفُعصي عنوة؟ فأقبل يحصر من بين يديه<sup>(١)</sup>.

وكان زيد رَحْمَةً اللَّهِ يقول بالصلاة على أهل الكبراء من أهل الملة، ويذهب إلى الرجاء لأهل التوحيد، كقول أهل السنة<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: إن دعوى نسبة زيد إلى الاعتزال جاءت من أتباعه من جهة، ومن المعتزلة من جهة أخرى، فالأتباع أرادوا تسويغ تأثرهم بعقائد المعتزلة بادعاء أن ذلك كان من قبل إمامهم وقدوتهم زيد، وليس من قبل أنفسهم، أما المعتزلة فإن ذلك من السعي في محاولة إضفاء الصبغة الشرعية على عقائدهم بادعاء أن آل البيت من معتنقي هذا المذهب<sup>(٣)</sup>.

خامساً: كيف يصح القول بأن زيد بن علي تعلّم على يدي واصل، وقد كان واصل وعمرو بن عبيد يطعنان في علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعائشة، وغيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

سادساً: بداية ظهور الاعتزال كان على يدي واصل، ولما عُرف بذلك، تكلم فيه أهل بلده فنبذه الناس، فصار مهجوراً محتقراً، فأنى يأتيه علماء السنة ليتعلموا على يديه كزيد بن علي؟!.

سابعاً: ومما يدل على أن نسبة الاعتزال إلى زيد باطلة، أنهم ينسبون إليه

(١) تاريخ دمشق ج ١٩ ص ٤٥٠، العواصم والقواصم ج ٨ ص ٣٧٥.

(٢) منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، د. السحيباني ص ٥٢٤.

(٣) المرجع السابق نفسه.

القول بخلق القرآن، ومعلوم أن أول من قال بخلقه هو الجعد بن درهم المتوفى قتلاً بسبب ذلك سنة ١٢٤ هـ، ولو قالها زيد لشنع عليه السلف كما شنعوا على الجعد بن درهم<sup>(١)</sup>.

قال الإمام ابن كثير في ترجمة الجعد بن درهم: هو أول من قال بخلق القرآن<sup>(٢)</sup>.

وهنا يرد سؤال، وهو: إذا كان زيد بن علي بريء من مذهب المعتزلة الذين يرون - كما تقدم - الخروج على أئمة الجور، فلماذا خرج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك.

فالجواب: أن أهل السنة ذكروا خروج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، وعدّوا ذلك من هفوات زيد رَحِمَهُ اللهُ.

قال الإمام الذهبي في ترجمة زيد: وكان ذا علم وجلالة وصلاح، هفاً، وخرج، فاستشهد<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: خرج متأولاً، وقتل شهيداً، وليته لم يخرج<sup>(٤)</sup>.

وأهل السنة لا يوافقون زيدا على ما حصل من الخروج لأنه مخالف للنصوص الثابتة عن النبي ﷺ في تحريم الخروج على أئمة الجور، والأمر بالصبر ولزوم الجماعة حفاظاً على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم

(١) انظر رافضة اليمن على مر الزمن ص ١١١-١١٢.

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٨٩.

(٤) المرجع السابق ص ٣٩١.

وديارهم، ومراعاةً للمصالح الكبرى للمسلمين. ولذلك فقد نصح أهل السنة لزيد، في عدم الخروج وبذلوا له كل النصح<sup>(١)</sup>، ولكن غلب على زيد المهيجون للفتن من شيعة العراق، فلا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٢)</sup>.  
 فيفهم مما تقدم أنه لو كان خروج زيد من باب عقيدة المعتزلة، لبين ذلك أهل العلم، ولما عدوه هفوة وتأويلاً، كما تقدم ما قاله الإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

وعلى كل حال فخروج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك كان لرأي رآه زيد وإشكالية وقعت بينه وبين هشام بن عبد الملك بسبب الوشاة.

وكل ذلك لا يُسوِّغ خروج زيد على هشام؛ فقد حرم النبي ﷺ الخروج على ولاية أمور المسلمين. والحكم للكتاب والسنة على أفعال الناس وأقوالهم، وزيد أخطأ في ذلك.

وأما قول الإمام الذهبي: «هفا وخرج فاستشهد»، وقوله أيضاً: «خرج متأولاً وقتل شهيداً»: فهذا رأي الإمام الذهبي. وكلُّ يؤخذ من قوله ويرد عليه؛ فلا جمع بين الخروج والشهادة، فالخروج مخالفة للسنة وإجماع سلف الأمة. فغفر الله للجميع وعفا عنهم.

(١) ابن عساكر/ تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٦٩-٤٧٣.

(٢) رافضة اليمن على مر الزمن ص ١١٧.

## المبحث الرابع

### كلام أهل العلم عن الكتب المنسوبة إلى زيد بن علي رَحِمَهُ اللهُ

نسب أتباع زيد بن علي إليه عدة كتب ورسائل من أشهرها «مسند زيد» والمعروف أيضاً بـ«المجموع الفقهي لزيد بن علي» وهذا المسند أو المجموع لا يصح نسبه إلى زيد بن علي لعدة أمور:

أولاً: العلماء الذين ترجموا لزيد بن علي لم يذكروا أنه صنف من الكتب شيئاً، ومعلوم أنهم يعتنون بذكر مؤلفات المترجم له.

ثانياً: قال الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على كتاب المحلى للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في باب المسح على العصائب في الحاشية رقم (٢) تعليقا على قول ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قيل أنه قد روى زيد عن أبيه عن جده عن علي: قلت يا رسول الله أمسح على الجبائر؟ قال: نعم امسح عليها. قال ابن حزم: هذا خبر لا تحل روايته إلا على بيان سقوطه، لأنه انفرد به أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي، وهو مذكور بالكذب». قال الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر معلقاً: «أبو خالد هذا وضاع قال وكيع: كان في جوارنا يضع الحديث فلما فُظن له تحول إلى واسط، وقال أحمد: يروي عن زيد عن آبائه أحاديث موضوعة يكذب، وقال ابن معين: كذاب غير ثقة ولا مأمون.

وأحاديثه التي يرويها هي التي عُرفت باسم «مسند زيد» أو «المجموع الفقهي» وطبع في ميلانو بإيطاليا سنة ١٩١٩م وفي مصر سنة ١٣٤٠هـ. ومما

يؤسف له أن يقرظه بعض أفاضل العلماء من شيوخنا علماء الأزهر غير متحررين معرفة ما فيه من الكذب على رسول الله ﷺ ولا ناظرين إلى عاقبة ما فيه، ووثوق العامة ممن لا يعرف الصحيح من السقيم بوجود توقيعاتهم على مدائح لهذه الأكاذيب، والله الأمر من قبل ومن بعد»<sup>(١)</sup>.

وما ذكره الشيخ أحمد شاكر عن عمرو بن خالد الواسطي هو ما ذكره علماء الجرح والتعديل عن عمرو وهذا.

قال الإمام الذهبي: «عمرو بن خالد. كوفي. أبو خالد تحول إلى واسط». ثم ذكر فيه قول وكيع السابق ذكره، ونقل عن أبي عوانة قوله: «كان عمرو بن خالد يشتري الصحف من الصيادلة ويحدث بها».

وقال أحمد بن حنبل: عمرو بن خالد الواسطي كذاب<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن أبي حاتم: «عمرو بن خالد القرشي مولى بني هاشم الواسطي أبو خالد. روى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين وزيد بن علي وحبیب بن أبي ثابت. روى عنه إسرائيل وسعيد بن زيد والحسن بن ذكوان وعبد الرحيم بن سليمان الرازي سمعت أبي يقول ذلك».

قال عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل قال أبي: أبو عمرو بن خالد متروك ليس يسوى شيئاً.

(١) انظر: ابن حزم/المحلى ج ٢ ص ٧٥، ط ١، ١٣٤٨ هـ، إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها

ومديرها محمد منير عبده الدمشقي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج ٣ ص ٢٥٧.

وقال يحيى بن معين: عمرو بن خالد كذاب غير ثقة ولا مأمون<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حجر: عمرو بن خالد القرشي مولاهم أبو خالد، كوفي نزل واسط، متروك ورماه وكيع بالكذب من الثامنة. مات بعد سنة عشرين ومائة<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: قال الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان في كتابه «كتب حذر منها العلماء»<sup>(٣)</sup> عن المسند المنسوب إلى زيد بن علي، بعد أن ذكر ما قاله أهل العلم عنه: «والخلاصة.. هذا الكتاب مكذوب ومنحول على الإمام زيد والإسناد إليه مظلم، ورجاله غير ثقات ابتداءً من جامعه إلى الراوي له عنه»<sup>(٤)</sup>.

رابعاً: رغم كل ما ذكر عن أبي خالد عمرو بن خالد من علماء الجرح والتعديل إلا أن يحيى بن الحسين؛ ابن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الشهاري الزيدي المتوفى في صفر سنة ١٠٩٠هـ جمع رسالة في توثيق أبي خالد الواسطي راوي المجموع، وكان له تلاميذ مظهرين للرفض وثلب الأعراس المصونة من أكابر الصحابة كما ذكر ذلك الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى - وقال: «ورأيت بخط السيد يحيى بن الحسين المذكور أن صاحب

(١) الجرح والتعديل ج ٦ ص ٢٣٠.

(٢) تقريب التهذيب ج ٢ ص ٦٩.

(٣) وهو كتاب قيم قدم له فضيلة الشيخ الدكتور/ بكر بن عبد الله أبو زيد.

(٤) أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ كتب حذر منها العلماء ج ٢ ص ٢٧٥، دار

الصمعي، ط ١٩٩٥م.

الترجمة - يعني يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله - توطأ هو وتلامذته على حذف أبواب من «مجموع زيد بن علي» وهي ما فيه ذكر الرفع والضم والتأمين، ونحو ذلك ثم جعلوا نسخاً وبثوها في الناس وهذا أمر عظيم وجناية كبيرة وفي ذلك دلالة على مزيد الجهل وفرط التعصب، وهذه النسخ التي بثوها في الناس موجودة الآن، فلا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>.

قلت: ما فعله هذا الرجل وتلامذته من حذف أبواب من المجموع أو المسند المنسوب إلى زيد بن علي، هو مثل ما فعله في رسالته التي جمعها في توثيق عمرو بن خالد الواسطي الذي صرح بتكذيبه علماء الجرح والتعديل. وهذا هو دأب أهل الرفض في الكذب والتلبيس على أئمة أهل البيت.

خامساً: قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ: «أما المنتمي إلى مذهب زيد بن علي رَحْمَةُ اللَّهِ فإنه لا يجد أقوالاً صحيحة إليه، ذلك لأنها لم تثبت نسبة كتاب إليه، ولم يدون طلبته أقواله، فعزي إليه «المجموع» والراوي له عن زيد بن علي: عمرو بن خالد الواسطي وقد كذبه وكيع وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين كما في «ميزان الاعتدال» والراوي له عن عمرو بن خالد: إبراهيم بن الزبرقان، وهو «متكلم فيه»، ويرويه عن إبراهيم نصر بن مزاحم وقد قال الذهبي: كان زائغاً عن الحق»<sup>(٢)</sup>.

(١) الشوكاني/ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج ٢ ص ٣٢٩-٣٣٠، دار المعرفة بيروت - لبنان.

(٢) صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال للشيخ مقبل الوادعي - ج ١ - ص ٤٥٢، مكتبة صنعاء الأثرية، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.

قال ابن أبي حاتم عن إبراهيم بن الزبرقان: سألت أبي عنه، فقال: محله الصدق، يكتب حديثه، ولا يحتج به<sup>(١)</sup>.

أما نصر بن مزاحم، فقال ابن أبي حاتم عنه: سألت أبي عنه، فقال: واهي الحديث، متروك الحديث، لا يُكتب حديثه<sup>(٢)</sup>.

وقال الذهبي: نصر بن مزاحم الكوفي، رافضي جلد تركوه.

وقال العُقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير.

وقال أبو خيثمة: كان كذاباً.

وقال الدارقطني: ضعيف<sup>(٣)</sup>.

سادساً: ومما يدل على أن ما نُسب إلى زيد بن علي من كتب لا تصح نسبتها إليه، أن زيدا من التابعين، ولا يُعرف أن التابعين ألفوا كتباً، وإنما كانوا يكتبون صحفاً للحفظ دون التأليف.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «والذي كان يُكتب في زمن الصحابة والتابعين، لم يكن تصنيفاً مرتباً مبوباً، وإنما كان يُكتب للحفظ والمراجعة فقط، ثم إنه في عصر تابعي التابعين صُنفت التصانيف، وجمع طائفة من أهل العلم كلام النبي ﷺ وبعضهم جمع كلام الصحابة...»<sup>(٤)</sup>.

(١) الجرح والتعديل ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) الجرح والتعديل ج ٨ ص ٤٦٨.

(٣) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) ابن رجب/ شرح علل الترمذي ج ١ ص ٣٧، تحقيق نور الدين عتر، دار الملاح للطباعة

سابعاً: مكتوب على غلاف مسند زيد بن علي: جمعه عبد العزيز بن إسحاق البغدادي<sup>(١)</sup>.

فمن هو عبد العزيز بن إسحاق البغدادي هذا؟  
قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ: «عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر بن رُوزبهان بن الهيثم أبو القاسم يُعرف بابن البقال.  
قال لي أبو القاسم التنوخي: كان ابن البقال هذا أحد المتكلمين من الشيعة، وله كتب مُصنفة على مذاهب الزيدية تجمع حديثاً كثيراً، وله أخ شاعر مشهور.

قال محمد بن أبي الفوارس: «توفي أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر الزيدي يوم الأربعاء في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وثلاث مائة، وله مذهب خبيث، ولم يكن في الرواية بذلك، سمعت منه أجزاء فيها أحاديث رديئة».

وقيل توفي لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاث مئة. ومولده في سنة اثنتين وسبعين ومئتين<sup>(٢)</sup>.

فهذا حال جامعه مطعون في روايته ومذهبه.  
وقد تابع نصر بن مزاحم الكوفي المتقدم ذكره في رواية مسند زيد بن

(١) رافضة اليمن على مر الزمن ص ١١٩.

(٢) الخطيب البغدادي/ تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطانها من العلماء من غير أهلها ووارديها، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ج ١٢، (حرف العين). تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١٤٢٢هـ.

علي عن ابن الزبرقان المتقدم ذكره، تابعه: الحسين بن علوان الكلبي.  
والحسين بن علوان الكلبي ترجم له الإمام ابن حجر في لسان الميزان  
فقال: الحسين بن علوان الكلبي، قال يحيى: كذاب، وقال علي: ضعيف  
جداً، قال أبو حاتم والنسائي والدارقطني: متروك الحديث، وقال ابن حبان:  
كان يضع الحديث على هشام وغيره وضعاً، لا يحل كتب حديثه إلا على  
سبيل التعجب.

وقال النسائي: كذاب، وقال أبو حاتم أيضاً: واهي الحديث ضعيف،  
متروك الحديث.

وقال صالح جزرة: كان يضع الحديث.

وقال محمود بن غيلان: أسقط حديثه أحمد وابن معين وأبو خيثمة  
وذكره الطوسي في «مصنفي الشيعة»، وقال: روى عن أبي عبد الله يعني  
جعفر الصادق<sup>(١)</sup>.

يتبين مما سبق عدم صحة أي كتاب إلى زيد بن علي، وأن أكبر كتاب  
نُسب إليه وهو يُسمى بمسند الإمام زيد أو المجموع، لا تصح نسبته إلى  
زيد بن علي البتة، فرواته وجامعه مطعون في عدالتهم ومذاهبهم.

وبذلك نُدرِك جلياً أن بعض المنتسبين إلى زيد بن علي اخترعوا لهم  
مذهباً نسبوه إلى زيد، فجاء من بعدهم على هذه الكتب المصنوعة، فظنوها

(١) ابن حجر العسقلاني/ لسان الميزان ج ٣ ص ١٨٩-١٩١، تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة

وسلمان عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ١٤٢٣ هـ.

صحيحة إلى من نُسبت إليه، فأخذوا يستमितون على هذه الأباطيل، وأما مذهب زيد بن علي فمتروك عندهم، لأن مذهبه الكتاب والسنة، وأنعم به من مذهب، ولا يجوز أن يُنسب إليه إلا هذا ولكن الإنصاف عزيز<sup>(١)</sup>.

ثامناً: قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في مفتاح كنوز السنة: والكتاب الرابع عشر: المسند المنسوب للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المتوفى سنة ١٢٢ هـ. وهذا الكتاب عمدة في الفقه عند علماء الزيدية من الشيعة، ولو صحت نسبته إلى الإمام زيد - عليه السلام - لكان أقدم كتاب موجود من كتب الأئمة المتقدمين، إلا أن الراوي له عن زيد رجل لا يوثق بشيء من روايته عند أئمة الحديث، وهو أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي رماه العلماء بالكذب في الرواية قال الإمام أحمد بن حنبل في شأنه: «كذاب يروي عن زيد بن علي عن آبائه أحاديث موضوعة»<sup>(٢)</sup>.

تاسعاً: ذكر الإمام محمد بن إبراهيم الوزير رَحِمَهُ اللهُ: أن أئمة الزيدية لم يصنفوا في معرفة صحيح الحديث ومعلوله، ومردوده ومقبوله، وبَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ أنه ليس لأئمة الزيدية في ذلك تصنيف البتة<sup>(٣)</sup>.

ولو كان للإمام زيد بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مصنف في ذلك لذكره ابن الوزير.

(١) رافضة اليمن على مر الزمن ص ١٢٣ (بتصرف).

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي، مقدمة مفتاح كنوز السنة (ع)، المكتبة الامدادية، مكة المكرمة.

(٣) محمد بن إبراهيم بن الوزير/ الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، ص ٨٨، ط ١، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ١٤٠٣ هـ.

## المبحث الخامس

### من هم أتباع زيد الحقيقيون؟

أتباع زيد بن علي الحقيقيون هم الذين على مذهبه، ومذهب أئمة آل البيت، الذين هم على ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - الذين يتولون من تولاهم الله تعالى وأثنى عليهم وزكاهم الله ورسوله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - وهم الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

أما من زعموا الانتساب إلى زيد بن علي أو إلى غيره من أئمة آل البيت وهم مخالفون لما كان عليه زيد وأئمة آل البيت، ويقعون بالظعن والسب لخيار الأمة، فهؤلاء هم الذين فارقوا زيدا وفارقهم زيد وتبرأ منهم، فقد لحق شيعته به وسألوه الخروج معهم ففعل، ثم تفرقوا عنه إلا نفرأ يسيراً، فنسبوا إلى زيد ونسب من تفرق عنه إلى الرافضة.

قال مصعب بن عبد الله: يزعمون أنهم سألوه عن أبي بكر وعمر فتولاهما فرفضته الرافضة، وثبت معه قوم فسموا الزيدية، فقتل زيد وانهمز أصحابه<sup>(١)</sup>.

وسئل عيسى بن يونس عن الرافضة، والزيدية، فقال: «أما الرافضة فأول ما ترفضت جاءوا إلى زيد بن علي حين خرج، فقالوا: تبرأ من أبي بكر وعمر حتى نكون معك، فقال: بل أتولاهما وأبرأ مما يبرأ منهما، قالوا: فإذا

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٦٨.

نرفضك، فسميت: -الرافضة- . قال: وأما الزيدية، فقالوا: نتولاهما ونبرأ ممن يتبرأ منهما، فخرجوا مع زيد فسميت -الزيدية-»<sup>(١)</sup>.

فهذا واضح أن أصحاب زيد بن علي كانوا يعيدون عن الرافض والاعتزال والله الحمد<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٦٨ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب: رافضة اليمن على مر الزمن ص ١٢٤-١٢٥ .

## الخاتمة

### وتشمل: النتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فأحمد الله تعالى على إتمام هذا البحث وقد توصلت إلى النتائج التالية:

أولاً: أئمة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أئمة لأهل السنة والجماعة.

ثانياً: براءة زيد بن علي مما افتراه أهل الرفض والاعتزال.

ثالثاً: أتباع زيد هم المتبعون للحق؛ الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

رابعاً: خروج زيد بن علي خطأ لا يوافق عليه لمخالفته للنصوص.

خامساً: عدم صحة ما نسب إلى زيد من كتب ومؤلفات.

أما التوصيات:

أولاً: تدريس براءة زيد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأجيال المسلمة حصانة لهم من الأهواء المضللة.

ثانياً: نشر تلك البراءة عبر وسائل الإعلام رداً على إعلام أهل البدع المضلل.

ثالثاً: تكثيف البرامج العلمية والإعلامية عبر كل الوسائل المتاحة لبيان

الائتلاف والتحاب بين آل والأصحاب رضي الله عنهم أجمعين.  
وصلى الله وبارك وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه / د. محمد بن أحمد بن يحيى خضي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

المشارك في جامعة جازان

كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية

## فهرس الموضوعات

- ٣٤٣..... ملخص البحث
- ٣٤٧..... مقدمة البحث
- ٣٥١... المبحث الأول: ترجمة موجزة لزید بن علي وثناء علماء أهل السنة عليه رَحْمَةُ اللَّهِ
- ٣٥٣..... المبحث الثاني: براءة زید بن علي من مذهب الرفض
- ٣٦٢..... المبحث الثالث: براءة زید بن علي من مذهب الاعتزال
- ٣٧٠..... المبحث الرابع: كلام أهل العلم عن الكتب المنسوبة إلى زید بن علي رَحْمَةُ اللَّهِ
- ٣٧٨..... المبحث الخامس: مَنْ هم أتباع زید الحقيقيون؟
- ٣٨٠..... الخاتمة
- ٣٨٢..... فهرس الموضوعات

# المفاضلة بين الأنبياء والأئمة في دين الشيعة الاثني عشرية

د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

أكاديمي سعودي؛ أستاذ مساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة  
بجامعة القصيم



## ملخص البحث

مسألة المفاضلة بين الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والأئمة الاثني عشر من المسائل المهمة التي تكشف عن أحد الأوجه العظيمة للغلو عند الإمامية، فعلى الرغم من أن الأنبياء والرسل هم صفوة الله وخيرته من خلقه، إلا أن الإمامية يرفعون - في الجملة - مرتبة الإمامة على مرتبة النبوة، فما من آية لنبي أو خصيصة لرسول حتى إحياء الموتى إلا وادّعوها أو ادّعوا وقوع نظيرها لهم، وحين أثبتوا العصمة للأنبياء عن كل نقيصة حتى عن السهو والنسيان لم تطب نفوسهم إلا أن يثبتوها لأئمتهم وعلى الكيفية ذاتها، وقد نشأ عن تقديمهم الإمامة على النبوة أن فضّلوا الأئمة الاثني عشر على الأنبياء كافة من كل وجه، حتى أولي العزم منهم، باستثناء النبي ﷺ، ففضّلوهم عليهم من جهة الشرف والمكانة مطلقاً، وقدموهم عليهم من جهة ادّعاء علمهم بالشرائع عامة من لدن أول رسول حتى خاتم الأنبياء ﷺ، وكذلك ادّعاء علمهم بالغيب القرآني، على خلاف بينهم في التصريح بهذا اللفظ على جهة الإطلاق أو نفيه، في مصادمة صريحة للنصوص، وكذلك ادّعاء علمهم بما كان في الماضي وما سيكون في المستقبل، وبما تكنه الضمائر بصورة لا يمكن أن يقبلها عقل فضلاً عن أن يجيء بها نقل، ومن المعلوم أن هذا العلم بهذه الصفة لا يمكن أن يكون لمخلوق كائناً من كان.

د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

dr.b.n.alawad@hotmail.com

*The Comparison Between the Prophets and the Imams  
in the Religion of the Twelver Shiites.*

*Dr. Badr bin Nassir Al-Awraad*

*Saudi Academic, Assistant Professor in the College of  
Sharia and Islamic Studies in the Qasim University*

**Abstract**

*The issue of comparison between the prophets (may peace be upon them) and the twelve imams are from amongst the important issues that expose the extremism of the Imami Shiites. Despite the fact that the messengers and prophets are the chosen ones and best from amongst Allah's creation, the Imamiyyah by large (largely) raise the ranks of an imam over that of prophethood.*

*There's not a miracle of a prophet, or a characteristic quality of a messenger, even if it's giving life to the dead, except that the Shiites claimed it or something similar to it for an Imam.*

*When the Shiites said that the prophets are infallible and that they were free of all kind of defects, even forgetfulness and absent-mindedness, they didn't come to rest until they affirmed it for their imams too.*

*When they started to say that the imamate is better than the prophethood, the idea that the twelve imaams were better than all the other prophets in every aspect was born. They even said that the imams are better than the five best messengers with the exception of the Prophet Muhammad (May Allah exalt his mention and send peace upon him).*

*They preferred the imams over the prophets in nobility and rank, and they also put them on a higher status due to their knowledge of the legislations of the first messenger to the last, and due to their claim that they knew the hidden knowledge of the Qur'an. They differed somewhat in their admission of this - making it absolute or negating it, when facing clear irrefutable Islamic texts.*

*They (the Shiites) also asserted that the imams' knowledge included all that happened in the past, all that will happen in the future and all what was hidden in the hearts of men. They did it in a way that would be rejected by the intellect alone, let alone having a Islamic text to support its infeasibility. And it's known that this knowledge cannot be possessed by any of the creation no matter who or what it was.*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠

- ٧١].

أما بعد:

فإنّ مما لا شكّ فيه أنّ النبيّ الخاتم صلوات الله وسلامه عليه قد جاهد في الله حقّ جهاده، فأدى الأمانة التي استودعه الله إيّاها بتبليغ رسالته والنصيحة لأُمَّته، وأنه لم يمت إلا بعد أن تركنا على المحجّة البيضاء التي ليّلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فما من خير إلا دلّنا عليه وأمّرنا بالتمسك به والأخذ بأسبابه، وما من شرّ إلا نهانا عنه وحذّرنا من الأخذ

بدواعيه، وأغلق جميع الأبواب الموصلة إليه، والتي من أعظمها الغلو في الدين والافتتان بالصالحين.

هذا، ولما كانت ظاهرة الغلو في الأئمة الاثني عشر - والذي يصل إلى درجة التآليه كما عند قداماء الإغريق - من أبرز ما يسترعي انتباهي كلما طالعتُ تراث الشيعة الاثني عشرية<sup>(١)</sup> أو استمعتُ إلى شيء من أطروحات شيوخهم؛ أحببتُ الإسهام برصد هذه الظاهرة، وذلك بدراسة مسألة (المفاضلة بين الأنبياء والأئمة) والتي تمثل لبنةً من لبنات الغلو التي قام عليها دينهم بصفة عامة.

### خطة البحث:

يتكوّن هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة.

المبحث الأول: مقارنة قدرات الأئمة وخصائصهم بالثابت من ذلك للأنبياء.

(١) الاثنا عشرية: إحدى أشهر فرق الشيعة وأكثرها انتشاراً، سُمّوا بذلك نسبةً لقولهم بإمامة عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأحد عشر من بنيه نصّاً ووصيةً، كما اشتهروا بـ(الجعفرية) أيضاً، ومن أصولهم: القول بوجوب الإمامة في عليّ وأحد عشر من بنيه نصّاً ووصيةً، والقول بالعصمة، والبداء، والرّجعة، والغيبة، ووجوب التقية وغير ذلك. انظر: فرق الشيعة (١٠٨)، الملل والنحل (١/١٦٢)، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١٠٣/١).

المبحث الثاني: العلم بين الأنبياء الكرام والأئمة الاثني عشر.

المبحث الثالث: تفضيل الأئمة على الأنبياء باستثناء محمد ﷺ.

خاتمة، وتتضمن أهم النتائج.

### منهج البحث:

١- عزو الآيات إلى مواضعها من المصحف الشريف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢- توثيق الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بمجرد العزو، وإن كان في غيرهما خرّجته.

٣- توثيق النقول من مصادرها الأصلية.

٤- ذكر المؤلف في الحاشية ما لم يكن مذكورًا في المتن.

٥- أن الدراسة في الأصل مخصوصة بالمذهب الإمامي، ولكني قد أذكر مذهب أهل السنة عند الحاجة لبيان الفرق بين المذهبين.

٦- محاولة التتبع التاريخي لتطور بعض الآراء عند الإمامية.

٧- ذكر سنة الوفاة عند مرور الأعلام، ما لم يكن الواحد منهم حيًا، أو ذكر عرَضًا في سند أو خبر أو قصة، وقد أترك أحيانًا ذكر السنة عند ورود من يمر اسمه كثيرًا.

٨- الإبقاء على عبارات القوم كما وردت في كتبهم دون تغيير، مثل: عبارة (عليه السلام)، أو (ص) اختصار: ﷺ، أو (ع) اختصار: عليه أو عليهم السلام، ونحو ذلك.

٩- الإبقاء على ذكر الألقاب التي يُضيفها بعضهم على بعض عند إيراد

كلامهم مثل: (المفيد) و(الصدوق) و(آية الله) و(روح)؛ وذلك للدلالة على مكانتهم عند القوم.

### الدراسات السابقة:

على الرغم من أهمية هذه المسألة في الفكر الإمامي والتي عدّها الحرّ العاملي في كتابه الفصول المهمة من الأصول<sup>(١)</sup> إلاّ أنّي لم أقف على بحث مستقلّ في هذه المسألة.

(١) انظر: الفصول المهمة في أصول الأئمة (١/٤٠١).

## المبحث الأوّل

### مقارنة قدرات الأئمة وخصائصهم بالثابت من ذلك للأنبياء

الأنبياء والرسل هم صفوة الله وخيرته من خلقه، اختارهم الله لحمل الأمانة العظمى من بين ملايين البشر ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، واصطفاهم دون سواهم في تبليغ رسالاته، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

والإيمان بالرسل أحد الأركان الستة التي لا يمكن أن يقوم الإيمان إلاّ عليها، فمن كفر بهم فهو كافر بالله تعالى حتى وإن ادعى الإيمان به كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وعلى الرغم من هذا الاصطفاء الإلهي لهم وهذه المكانة العلية التي لا يشاركهم فيها سواهم والتي تستوجب عصمتهم، إلا أنهم من جهة الجبلّة الإنسانية بشر كغيرهم، ليس لهم ما يمتازون به عن سائر الناس، إلا ما خصّهم الله به من حمل أمانة الوحي، وما أيدهم به من الآيات الدالة على صدقهم في البلاغ عنه، ولهذا فإنهم يمرضون، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُّ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، وقوله عن إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينُ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ويعجزون كما في قوله عن نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، ويحزنون ويخافون

وتضيق صدورهم كما في قوله تعالى عن يعقوب: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٣]، وقوله عن موسى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ١٠]، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [١٢] وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهَمَّ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء: ١٢ - ١٤]، وقوله عن محمد: ﴿ فَعَلَّكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ [هود: ١٢]، وقوله: ﴿ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨]، إلى غير ذلك من الأمور الجبلية.

ولهذا لما طلب المشركون من النبي ﷺ ما هو خارج نطاق القدرة الإنسانية كان جوابه واضحًا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرُوفٍ أَوْ تَرْتَجِي فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِنَبَأًا نَقَرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣].

وهذا ما دعا كثيرًا من الأشقياء إلى عدم الإيمان بالرسالات، وإلى مواجهة الأنبياء بالتكذيب والمكابرة، كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤]، وأنهم قالوا: ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [يس: ١٥]، ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٤]، ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّثْنَا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا

لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرِ ﴿ [القمر: ٢٤]، ﴿ وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧].

ولا ريب أن من أعظم الحُكْمِ الرّبانيّة في كونهم بشراً يعترتهم في أجسادهم من النَّقائص ما يعترى سائر البشر سدّ ذريعة الغلوّ فيهم؛ بالافتتان بما يظهر على أيديهم من الآيات البيّنات، وإيصاد الأبواب الموصلة إلى نسبة شيء من خصائص الرّبوبيّة والألوهيّة إليهم.

هذه على سبيل الإجمال هي دلالة القرآن وهدايته بالنسبة لحقيقة الأنبياء ومكانتهم وقدرتهم، وأمّا أئمة الشّيعة فلا ريب أنه لم يرد فيهم حرف واحد. ولعلّ من المستحسن أن نقارن بين الأنبياء والأئمة الاثني عشر في أمرين، وذلك بحسب الفكر الإمامي:

### الأمر الأوّل: العصمة<sup>(١)</sup>

(١) اتّفق أهل السّنة على إثبات العصمة للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في البلاغ، وعلى تنزيههم عن كلّ ما يقدر في نبوتهم. انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ٤٧٢).

ومن أجل فهم مذهب أهل السّنة في هذه المسألة على جهة التّحرير فلا بدّ من التّفصيل فيه على النحو التّالي:

أولاً: تبليغ الرّسالة.

وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السّنة، وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيميّة في منهاج السّنة النبويّة (١/ ٤٧٠) عن أهل السّنة أنهم: «متفقون على أنّ الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرّسالة، فإنّ الرّسول هو الذي يُبلّغ عن الله أمره ونهيه وخبره، وهم معصومون في تبليغ الرّسالة باتّفاق المسلمين بحيث لا يجوز أن يستقرّ في

للعصمة عند الإمامية تعاريف متعدّدة، وممن عرّفها المفيد الذي قال بأنها «لطفٌ يفعلهُ اللهُ تعالى بالمكلف، بحيث تمنع منه وقوع المعصية وترك

ذلك شيء من الخطأ» (١)، وأنهم «متفقون على أنهم لا يُقرّون على الدّين أصلاً». وأما النسيان والسّهو الذي هو من طبيعة الإنسان فلا ينفونه عنهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية منهاج السنة النبوية (١/٤٧٢)-: «وأما النسيان والسّهو في الصّلاة فذلك واقع منهم، وفي وقوعه حكمة استنان المسلمين بهم، كما روى في موطأ مالك [١/١٠٠] إنما أنسى أو أنسى لأسنّ، وقد قال ﷺ إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني أخرجاه في الصحيحين [البخاري (١/١٥٦)، مسلم (١/٤٠٠)]، ولما صلّى بهم خمساً فلما سلّم قالوا له: يا رسول الله، أزيد في الصّلاة؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: صلّيت خمساً فقال.. الحديث. [صحيح البخاري (١/١٥٧)، صحيح مسلم (١/٤٠٢)].»

ثانياً: الأمراض والأسقام.

وهذا لا خلاف بين أهل السنة- في الجملة- في أنهم يمرضون، والأدلة على هذا كثيرة.

ثالثاً: الذنوب، وهي نوعان:

أ- كبائر، وهم معصومون عنها بلا خلاف.

ب- صغائر، وهم غير معصومين عنها في قول الأكثرين.

قال الإمام ابن تيمية في مجموع فتاواه (٤/٣١٩)-: «القول بأنّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الأمدي أنّ هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصّحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول... وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يُقرّون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال». باختصارٍ يسير، وقال أيضاً في تلخيص كتاب الاستغاثة (١/٣٠٦)-: «جمهور العلماء على جواز وقوع الصغائر من الأنبياء وإن كانوا لا يُقرّون عليها».

الطّاعة مع قدرته عليهما»<sup>(١)</sup>.

وبغض النظر عن تطوّر نظريّة العصمة عند الإماميّة فإنّ الذي استقرّ عليه مذهب القوم هو القول بعصمة الأنبياء مطلقاً ومن كلّ وجه، وقد أفصح محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) عن اعتقادهم في هذه المسألة بقوله: «أصحابنا الإماميّة أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمّة - صلوات الله عليهم - من الذنوب الصّغيرة والكبيرة عمدًا وخطأً ونسياناً قبل النّبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه، ولم يخالف فيه إلاّ الصّدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد - قدّس الله روحهما - فجوزا الإسهاء من الله تعالى لا السّهو الذي يكون من الشيطان»<sup>(٢)</sup>.

وقد تفتّن بعض متقدّمي الإماميّة - وهو محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القميّ (٣٤٣هـ) - إلى خطورة القول بنفي السّهو عن النّبويّ ﷺ وأنّ اعتقاده سيكون بمثابة الخطوة الأولى على طريق الغلوّ الطويل فقال: «أول درجة في الغلوّ نفي السّهو عن النّبويّ ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

(١) النُكت الاعتقاديّة للمفيد (٣٧). وانظر للاستزادة: حقوق آل البيت عليهم السّلام لمحمد حسين العاملي (٣١)، شرح منهاج الكرامة للميلاني (١٦٦/٣)، التّحقيق في الإمامة وشؤونها لعبد اللطيف البغدادي (٦٠)، العصمة للميلاني (٩)، العصمة: حقيقتها - أدلّتها. إعداد: مركز رسالة سلسلة المعارف الإسلاميّة (١١)، رسالتان حول العصمة للصفّاني (٨٧).

(٢) بحار الأنوار (١٧/١٠٨). وانظر أيضًا (٢٥/٢٠٩)

(٣) الوافي للفيض الكاشاني (٨/٩٥٥).

والذي دعا الإمامية إلى تبني هذا المذهب والقول به هو اعتقادهم أنّ العقل يقضي بوجوب عصمتهم عن كلّ رذيلة وتنزيههم عن كلّ نقيصة<sup>(١)</sup>.

وهذا الحكم العقلي لا شكّ في صحّته من جهة الإجمال، لكن يبقى الإشكال في فهمه وتطبيقه، وذلك أنّ القوم لمّا جعلوا الوقوع في شيء من الصّغائر وكذلك الاتّصاف بالسّهو أو النسيان ونحوها من النّقائص؛ نزّهوا الأنبياء عنها، متجاهلين أنّهم بهذا الصّنيع الذي ظنّوا أنّهم يصونون به جانب التّبوّة فيهم ويعظّمون من شأن الأنبياء قد جرّدوهم عن إنسانيّتهم وألبسوهم من أردية الكمال ما لم يشتمل عليه آدمي قطّ.

وعلى كلّ فغير خفيّ على الناظر أنّ هذا الاعتقاد الغالي الذي حكاه المجلسي عن الإمامية مصادم لحقائق القرآن العظيم، فقد قال الله تعالى عن آدم عَلَيْهِ السّلام - وهو نبيّ عندهم<sup>(٢)</sup> -: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، وحكى عن إبراهيم عَلَيْهِ السّلام قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وعن موسى عَلَيْهِ السّلام قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، وقال عن محمد عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]،

(١) انظر: شرح أصول الكافي للمازندراني (١/١٣)، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه للزرندى (٧٩).

(٢) انظر: الكافي للكليني (٨/١١٤)، الأمالي للشريف المرتضى (٣/١٦١)، صراط النّجاة للخوائي (٥/٢٨٥)، شرح أصول الكافي للمازندراني (١١/٢٧٠)، الوافي للكاشاني (٢/٢٨٣)، شرح العروة الوثقى للغروي (٧/٣٢٥).

وقال له ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وعاتبه بقوله: ﴿عَسَّ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزِطُكَ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤ أَمَا مِنْ أَسْتَعْتَبَ ۝٥ فَانْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزِطُكَ ۝٧ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَحْسَبُنِي ۝٩ فَانْتَ عَنْهُ لَهَاغَى ۝١٠﴾ [عبس: ١ - ١٠].

وأثبت الله النسيان لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥]، ولموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]، ولمحمد ﷺ في قوله: ﴿وَأَذْكَرَ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

ونظريّة العصمة التي أطبقت عليها الإماميّة في العصور المتأخّرة لا تصادم دلائل القرآن فحسب، بل تصادم أيضًا ما نطقت به أخبارهم في إثبات وقوع السهو من النبي ﷺ، من مثل ما جاء عن الحسن بن صدقة أنه قال: «قلت لأبي الحسن الأوّل - عليه السّلام - أسلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في الرّكعتين الأوّلين؟! فقال: نعم، قلت: وحاله حاله؟! قال: إنّما أراد الله عز وجل أن يفقههم»<sup>(١)</sup>.

وقد علّق الفيض الكاشاني (١٠٩٠ هـ) على هذا الخبر بقوله: «تعجّب السائل من سهوه صلى الله عليه وآله وسلّم مع كونه معصومًا عن الخطأ! فأجابّه عليه السّلام بأنه كان في ذلك مصلحة للأمة بأن يفقهوا بمثل هذه الأمور معالم دينهم، ويعلموا أنّ البشر لا ينفك عن السهو والنسيان، وأنّ

(١) الكافي للكليني (٣/٣٥٦).

المخلوق محلٌ للغفلة والتقصان، وإنما المنزّه عن جميع صفات التقص هو الله سبحانه»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي الصلت الهروي أنه قال: «قلت للرّضا عليه السّلام: يا ابن رسول الله، إنّ في الكوفة قومًا يزعمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يقع عليه السّهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله! إنّ الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو»<sup>(٢)</sup>.

وقد انتبه محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) للمأزق الذي وقعوا فيه من جهة أنّ ما أطبق عليه القوم -إلا من شدّ منهم- مخالفٌ بصورة صريحة لِمَا أثبتته القرآن وأيديته أخبارهم، فقال: «اعلم أنّ هذه المسألة في غاية الإشكال؛ لدلالة كثيرٍ من الآيات والأخبار على صدور السّهو عنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا التّقرير استظهر بعض المعاصرين من الإمامية أنّ المجلسي متوقّف في هذه المسألة<sup>(٤)</sup>، غير أنّ الصّواب أنه رجّح النّفي مطلقًا فقال: «لا معدل عمّا عليه المُعظّم؛ لوثاقة دلائلهم، وكونه أنسبَ بعلو شأن الحُجج عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ورفعَة منازلهم»<sup>(٥)</sup>.

هذا بالنّسبة لقولهم في مسألة عصمة الأنبياء.

(١) الوافي للفيض الكاشاني (٨/ ٩٥٥).

(٢) بحار الأنوار (١٧/ ١٠٥).

(٣) المصدر السابق (١٧/ ١١٩).

(٤) انظر: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم للسبحاني (٣٠٧).

(٥) بحار الأنوار (١٧/ ١٢٠).

وأما بالنسبة لأئمتهم فقد أجمعوا على القول بعصمتهم على الهيئة التي ادّعوها للأنبياء حذو القُدّة بالقُدّة إلّا من شدّد<sup>(١)</sup>، وقد أشار القاضي ابن البرّاج (٤٨١هـ) إلى وجوب كون «الأئمة معصومين مطهّرين من الذنوب كلّها، صغيرةً وكبيرةً عمدًا وسهواً، ومن السّهو في الأفعال والأقوال»<sup>(٢)</sup>، وهذا ليس بمستغرب، بل متوقّع؛ لأنّ القول بعصمة الاثني عشر فرعٌ عن القول بإمامتهم، وما داموا يعتقدون بأنهم «حُجّج الله على الخلق أجمعين»<sup>(٣)</sup> وأنهم «المُثل العُلّيا لكمال الإنسان، اختصّهم الله بعناياته الخاصّة»<sup>(٤)</sup> فلا بدّ من ادّعاء عصمتهم، وإلّا لامتنع الوثوق بأقوالهم والافتداء بأفعالهم، وكيف لا يكونون كذلك وهم - على حدّ تعبير الصّدوق (٣٨١هـ) - «أهل بيت النبوة، وموضع الرّسالة، ومختلّف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرّحمة، وخزان العلم، ومنتهى الحلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النّعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرّحمن، وسلالة النّبیین، وصفوة المرسلين، وعتره خيرة ربّ العالمين»<sup>(٥)؟!</sup>

(١) انظر: لمحات للطف الله الصّافي (١٣٨)، عصمة الأنبياء في القرآن الكريم للسبحاني (٣٠٢).

(٢) جواهر الفقه لابن البرّاج (٢٤٩).

(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول للمجلسي (١/١).

(٤) مجموعة الرّسائل للطف الله الصّافي (٤١٦/٢).

(٥) من لا يحضره الفقيه (٦١٠/٢).

ثم إنه ما دامت العصمة ثابتة للأنبياء الذين هم أقل رتبة وأدنى مكانة عند الإمامية من الأئمة - على ما سيأتي بيانه بإذن الله - فكيف لا تثبت للأئمة؟! وما أدقّ نظر شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) حين أشار إلى أن «من جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يُعطه لفظها»<sup>(١)</sup>.

والإمامية حين ينزهون أئمتهم هذا التنزيه العظيم حتى عن السهو يرفعونهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم، مع أن في مروياتهم ما يكذب هذا الاعتقاد صراحة، كمثل ما رووه عن الفضيل أنه قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام السهو فقال: «وينفلت من ذلك أحد؟! ربّما أقعدت الخادم خلفي يحفظ عليّ صلاتي»<sup>(٢)</sup>.

كما أنهم باعتقادهم عصمة الأئمة من كل الذنوب حتى الصغائر يصطدمون بكّم هائل من الروايات التي تدلّ على وقوعهم في الذنوب وتوبتهم عنها واستغفارهم منها<sup>(٣)</sup>.

وقد حاولوا التخلص من دلالتها؛ تارة بالتأويل، وتارة أخرى بأنها

(١) منهاج السنة النبوية (١٨٨/٦).

(٢) مستطرفات السرائر (٢٠٧).

فائدة: علّق المجلسي في بحار الأنوار (٢٣٠/٨٥) على هذا الخبر بقوله: «لعله محمول على أنه عليه السلام كان يفعل ذلك لتعليم الناس، وظاهره موافق لمذهب الصدوق»، ويقصد به (مذهب الصدوق) إثبات السهو للنبي ﷺ وللأئمة من بعده.

(٣) انظر على سبيل المثال: الصحيفة السجادية (٦٨) و(٧٦) و(٨٢).

أحاديث آحاد، وتارةً ثلاثة بالطّعن والإبطال، وتارةً رابعة بدعوى أنها جاءت من باب تعليم النّاس<sup>(١)</sup>.

### الأمر الثاني: الآيات الدّالة على صدقهم والمعروفة بـ(المعجزات)

حين نقارن بين ما ذكره القرآن من الآيات التي أيّد الله به أنبياءه وبين ما يذكره الإماميّة من معجزات الأئمّة الاثني عشر ندرك أنهم يرون بأنّ الله قد جعل لأئمّتهم من المعجزات ما يُضاهي ويشاكل آيات الأنبياء<sup>(٢)</sup>، بل إنهم يزعمون أنّ ما حظي به أئمّتهم من تلك المعجزات وهاتيك القُدرات أعظم وأكثر من آيات الأنبياء، فما من آية لنبيّ إلا والأئمّة قادرون - بزعمهم - على الإتيان بها.

وقد بوّب محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار على ذلك بقوله (باب: أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)<sup>(٣)</sup>، وبوّب الشيخ علي النّمازي (١٤٠٥ هـ) في مستدرك سفينة البحار بقوله (باب: أنّ الأئمّة صلوات الله عليهم يقدرون على جميع معجزات الأنبياء)<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: منتهى المطلب للحلي (٧/٧٨)، عصمة الأنبياء في القرآن الكريم للسبحاني (٢١٩) و(٣٠٥).

(٢) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي (١١٥).

(٣) بحار الأنوار (٢٧/٢٩).

(٤) مستدرك سفينة البحار (٧/٩٦).

وأما هاشم بن سليمان البحراني (١١٠٧هـ) فإنه لم يكتفِ بما ادّعاه المجلسي والنمازي من قُدرة أئمتهم على الإتيان بما أتى به الأنبياء من الآيات وإنما تجاوزهم إلى الادّعاء بأن الأئمة قد أتوا بها بالفعل فقال: «جميع معجزات الأنبياء والمرسلين والأئمة الرّاشدين والخواصّ جرت على أيديهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>(١)</sup>، وعلى ضوء ذلك فقد نسب لهم ٢٠٦٦ معجزةً.

وهكذا يظنّ القوم في سباق محموم في ميدان الغلوّ في أئمتهم، فما يدّعي أحدهم شيئاً إلا وثمة آخر قد ادّعى ما هو أعظم وأغرب!

فلئن كان إحياء البقرة آيةً لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد أحيا جعفر الصادق (١٤٨هـ) بقرةً ميتة، وكذلك فعل موسى الكاظم (١٨٣هـ)<sup>(٢)</sup>.

ولئن كان إحياء الموتى آيةً لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد أحيا علي بن أبي طالب (٤٠هـ) يوسفَ بن كعب<sup>(٣)</sup>، وأحيا عليّ السّجّاد (٩٤هـ) امرأةَ الرّجل البلخيّ، وأحيا محمد الباقر (١١٤هـ) الرّجل الشّاميّ، إلى غير ذلك مما يذكرونه<sup>(٤)</sup>.

فالأئمة - بحسب الإمامية - يُحيون الموتى، ويُبرؤون الأكمه

(١) مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر (٣/١٢٩).

(٢) انظر: الخرائج والجرائح للراوندي (١/٢٩٤)، فرج المهموم لابن طاووس (٢٣٠) مستدرك سفينة البحار (٢/٤٩٥).

(٣) انظر: مدينة المعاجز للبحراني (٢/٣٥).

(٤) انظر: مستدرك سفينة البحار للنمازي (٢/٤٩٥).

والأبرص<sup>(١)</sup>، ويمشون على الماء<sup>(٢)</sup>، وقد أعطوا خزائن الأرض<sup>(٣)</sup>، وبإمكانهم أن يُسيروا من شأؤوا إلى أيّ مكان في الأرض<sup>(٤)</sup>، كما أنهم خُزّن الله في السّماء والأرض<sup>(٥)</sup>، وأنّ الملائكة تدخل منازلهم وتطوف بسطّهم وتأتيهم بالأخبار<sup>(٦)</sup>، وأنهم يُخاطبون ويسمعون الصّوت، ويأتيهم صورٌ أعظم من جبرئيل وميكائيل<sup>(٧)</sup>، وأنهم يعلمون جميع الألسن واللّغات ويتكلّمون بها<sup>(٨)</sup>، ويعلمون منطق الطّير والبهائم والمسوخ<sup>(٩)</sup>، وأنّ الواحد منهم يرى ما بين المشرق والمغرب، وأنهم يعلمون بما في السّماوات والأرض والجنّة والنّار، وما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة<sup>(١٠)</sup>، وأنّ أعمال العباد تُعرض على الأحياء منهم والأموات<sup>(١١)</sup>، وأنهم يزورون الموتى ويزورهم الموتى<sup>(١٢)</sup>، وأنّ عليّاً

- 
- (١) انظر: بحار الأنوار للمجلسي (٢٧/٢٩).
- (٢) انظر: الخرائج والجرائح للزاوندي (٢/٥٨٣).
- (٣) انظر: بصائر الدرجات للصفّار (٣٩٤).
- (٤) انظر: المصدر السابق (٤٢٢).
- (٥) انظر: المصدر السابق (١٢٣).
- (٦) انظر: المصدر السابق (١١٠).
- (٧) المصدر السابق (٢٥١).
- (٨) انظر: بصائر الدرجات (٣٥٣)، بحار الأنوار (٢٦/١٩٠).
- (٩) انظر: بصائر الدرجات (٣٦١) و(٣٦٧) و(٣٧٣).
- (١٠) انظر: المصدر السابق (١٤٧).
- (١١) انظر: المصدر السابق (٤٤٧).
- (١٢) انظر: المصدر السابق (٤٢٨).

يركب السحاب و يترقى في الأسباب والأفلاك<sup>(١)</sup>، وأن الله ناجاه بالطائف وغيرها<sup>(٢)</sup>.

ومن خصائص الأئمة عند الإمامية كذلك «أنهم قد ولدوا مطهرين مختونين»<sup>(٣)</sup>، و«أنهم قد أوتوا الحكم في حال الصبا»<sup>(٤)</sup>، و«أن لحومهم حرام على الأرض لا تطعم منها شيئاً»<sup>(٥)</sup>.

وهذا غيظ من فيض مما يذكرونه، واللافت للنظر أن القوم قد ادّعوا للأئمة ما لم يُعطه نبي قطّ، ولم يكتفوا بذلك بل أشركوهم في بعض خصائص الرب عز وجلّ.

ولا غرابة في كثرة ما ينسبونه إلى الأئمة من المعجزات والعجائب والتي فاقت بكثير آيات الأنبياء؛ ذلك أنّهم يزعمون أنّ معجزات الأنبياء كافة قد أُعطيت لمحمد ﷺ، وهو قد أعطاهما لعلّي، وهكذا من إمام لإمام مع زيادات متجددة، فعن أبي حمزة الثمالي أنه قال: «قلتُ لعلّي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ... الأئمة منكم يُحييون الموتى، ويُبرؤون الأكمه والأبرص، ويمشون على الماء؟

فقال: ما أعطى الله نبياً شيئاً إلا وقد أعطاه محمّداً صلى الله عليه وآله،

(١) انظر: المصدر السابق (٢٩٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٣٠).

(٣) تاج الموالي للطبرسي (١٤).

(٤) تاج الموالي (١٤).

(٥) مستدرک سفينة البحار للنمازي (١/٢٠٠).

وأعطاه ما لم يُعْطِهِمْ ولم يكن عندهم، وكلُّ ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أعطاه أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثم إماماً بعد إمام إلى يوم القيامة، مع الزيادة التي تحدث في كل سنة، وفي كل شهر، وفي كل يوم»<sup>(١)</sup>.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ هوسهم برفع مرتبة أئمتهم وتفخيم شأنهم جعلهم يضيفون لهم خصائص لم تكن للأنبياء كافة؛ لاعتقادهم أنها من خصائص الأنبياء، ومن ذلك ادّعاؤهم أنّ الأئمة (لا يولدون إلّا مختونين) مع أنه قد «أجمع العلماء على أنّ إبراهيم أول من اختن»<sup>(٢)</sup>، وهذا باعترافهم هم كذلك<sup>(٣)</sup>.

والمتحصّل من هذا كلّهُ أنّ معجزات الأئمة - عند الإمامية - أكثر وأعظم من آيات الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام.

(١) الخرائج والجوائح للراوندي (٥٨٣/٢)، بصائر الدرجات للصفّار (٢٩٠)، بحار الأنوار للمجلسي (٩١/٢٦)، مستدركات رجال علم الحديث للنمازي (٩٧/٦).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٥٩/٢١). وانظر للاستزادة: الأوائل لابن أبي عاصم (٦٤/١)، فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٨٨/١١).

(٣) انظر: التّوادر لابن إدريس العجلي (١٤٧).

## المبحث الثاني

### العلم بين الأنبياء الكرام والأئمة الاثني عشر

علم الأئمة عند الشيعة الإمامية لا يشبه علوم البشر، فهو ليس بخارج عن المألوف فحسب وإنما خارج عن نطاق القدرة الإنسانية، إذ هم عندهم يعلمون كل شيء عن كل شيء ولا يغيب عنهم أي شيء، وبهذا يفسرون قول الله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]<sup>(١)</sup>، ومن هنا يتضح بجلاء أن علم أئمتهم - وفق ما يدعون به - لا يشبه إلا علم الرب تبارك وتعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء!

ولإدراكهم بأن إزعان العقول للخرافة وقبولها بما لا تعرف له نظيراً في الشاهد من أصعب الأشياء؛ فقد كانت الهراوة التي رفعوها في وجوه المتشككين من أتباعهم هي عصا الرواية، فوضعوا على لسان علي رضي الله عنه أنه قال: «الشاك في أمورنا وعلومنا كالممترى في معرفتنا وحقوقنا»<sup>(٢)</sup>.

وعلم الأئمة عند القوم «الذي عليه يقوم أمر الخلائق من التكوين والتشريع»<sup>(٣)</sup> ليس له حدّ ينتهي إليه، لا من جهة التنوع ولا من جهة الإحاطة

(١) انظر: تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة لعلي الحسيني الإسترابادي النجفي (١٧٨).

(٢) نواذر المعجزات لابن رستم الطبري (١٩)، المختصر لحسن الحلبي (٢٧٨)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٧/٢٨).

(٣) التوحيد للصدوق (٢٣) هامش (٢).

والشّمول<sup>(١)</sup>، حتى «أنّ جميع الدّنيا حاضرةٌ عند علمِ الإمام يَعْلَمُ ما يقع فيها وينظر إليها؛ لأنه عينُ الله النّاطرة في خلقه، كَنِصْفِ جوزةٍ يكون في يد أحدكم ينظر إليه»<sup>(٢)</sup>، ومما افتروه على عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال:

لقد حزتُ علمَ الأوّلين وإنّي      ضنينٌ بعلمِ الآخرين كَتُومٌ  
وكاشفُ أسرارِ الغُيوب      وعندِي حديثٌ حادٌ  
وإني لقيومٌ على كلِّ قيّم      محيطٌ بكلِّ العالمين

ولهذا فإنهم لا يتردّدون في النّصّ على أنّ علم الأئمّة يفوق الأنبياء كافّةً من كلّ وجه حتى أولي العزم منهم، وقد أشار المولى محمد علي بن أحمد القرّاجه داغي التبريزي (١٣١٠هـ) إلى أنه قد استفاض في الأخبار أنّ علم الأئمّة أكمل من علوم كلّ الأنبياء<sup>(٤)</sup>.

وقد بوّب الكلينيّ (٣٢٩هـ) في الكافي على ذلك بقوله: «باب: أنّ الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرُّسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>(٥)</sup>، وبوّب محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار بقوله: «باب: أنّهم أعلم من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>(٦)</sup>، ومما أورده تحته حديثُ الحسين بن

(١) انظر: الكافي للكليني (١/٤٢٩).

(٢) مستدرک سفينة البحار للنمازي (٣/٣٧٦). وانظره بأخصر منه في: بحار الأنوار للمجلسي (٢/١٤٦).

(٣) مستدرک سفينة البحار للنمازي (٧/٣٣٧).

(٤) انظر: اللّمة البيضاء في شرح خطبة الزّهراء (٢١٥).

(٥) الكافي (١/٢٥٥).

(٦) بحار الأنوار (٢٦/١٩٤).

علوان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَوْلِيَّ الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَفَضَّلَهُمْ بِالْعِلْمِ، وَأَوْرَثَنَا عِلْمَهُمْ وَفَضَّلَنَا عَلَيْهِمْ فِي عِلْمِهِمْ، وَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَعَلَّمَنَا عِلْمَ الرَّسُولِ وَعِلْمَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن الوليد السَّمان قال: قال لي أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا عبدَ الله، ما تقول الشيعةُ في عليٍّ وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟ قال: قلتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ! ومن أيِّ حالاتٍ تسألني؟ قال: أسألك عن العلم، فأما الفضل فهم سواء، قال: قلتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ! فما عسى أقول فيهم؟ فقال: هو والله أعلم منهما.

ثمَّ قال: يا عبدَ الله، أليس يقولون: إنَّ لعلِّي ما للرَّسول من العلم؟ قال: قلتُ بلى، قال: فخاصمهم فيه، قال: إنَّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، فأعلمنا أنه لم يُبين له الأمر كله، وقال الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وعلمهم لا يُفْضَل علم الأنبياء فحسب؛ بل يُفْضَل أيضاً كبار الملائكة، فعن عليٍّ أنه قال - «سلوني قبل أن تفقدوني عن علمٍ لا يعرفه جبرائيل وميكائيل»<sup>(٢)</sup>.

(١) بصائر الدرجات للصفار (٢٤٨)، بحار الأنوار (١٧/١٤٥)، الفصول المهمة في أصول الأئمة للحر العاملي (١/٤٠٦).

(٢) بواسطة كتاب الولاية التكوينية لآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لعلِّي عاشور (١٣٢).

وعن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إِنَّ عِنْدَنَا - وَاللَّهِ - سِرًّا مِنْ سِرِّ اللَّهِ وَعِلْمًا مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مَقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ»<sup>(١)</sup>.

وظاهرٌ من هذه الرواية التأكيد على أن لدى الأئمة من العلوم الأسرار ما خصّهم الله به دون أنبيائه المصطفين!  
ولعلّ من المستحسن بعد هذا الإجمال أن نفصّل القول فيه، وذلك على النحو التالي:

### أولاً: علم الشرائع

من المتفق عليه أن كلّ من يبعثه الله من الأنبياء فهو أعلم الناس بالدين الذي بُعث به، وأمّا شريعة غيره التي ليست هي شريعة له فلا يُشترط أن يكون علمٌ له بها إلا ما أتاه من طريق الوحي.

أمّا الإمامية فيعتقدون أن كلّ نبيٍّ يعلم شريعته مضافاً إليها ما يرثه من الأنبياء السابقين، حتى ورث النبيُّ ﷺ كل ذلك، ثم ورث عليّاً علوم جميع الأنبياء التي منها علم كل واحد بشريعته وبكتابه المنزل، ثم ظلت هذه العلوم تنتقل - بزعمهم - من إمامٍ للذي بعده، وجليٍّ من هذا التقرير أن الأئمة - عندهم - أكمل علماء وأتم معرفة بالشرائع ممن سبقهم من الأنبياء باستثناء محمدٍ ﷺ، وقد بوب محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار بقوله:

(١) الكافي للكليني (١/٤٠٢)

«باب آخر في أن عندهم صلوات الله عليهم كتب الأنبياء عليهم السلام، يقرؤونها على اختلاف لغاتها»<sup>(١)</sup>، وساق تحته أحاديث كثيرة، منها أن ضريس الكناسي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام - وعنده أبو بصير - فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن داود ورث الأنبياء، وإن سليمان ورث داود، وإن محمداً ورث سليمان وما هناك، وأنا ورثنا محمداً صلى الله عليه وآله، وإن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى»<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو جعفر الكليني (٣٢٩هـ) في الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام (١١٤هـ) أنه قال: «إن الله عز وجل جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم، وهلم جراً إلى محمد صلى الله عليه وآله.

قيل له: ما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله صير ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال له رجل: يا ابن رسول الله، فأمر المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول! إن الله يفتح مسامع من يشاء، إنني حدثته أن الله جمع لمحمد صلى الله عليه وآله علم النبيين وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يسألني: أهو أعلم أم بعض النبيين؟!»<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار (٢٦/١٨٠).

(٢) بحار الأنوار (٢٦/١٨٣).

(٣) الكافي (١/٢٢٣).

وروى المفيد (٤١٣هـ) في الإرشاد بسنده إلى الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخريين، أما والله لو تُني لي الوَسَاد لحكمتُ بين أهل التّوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزّبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتى يزهر كلُّ كتاب من هذه الكتب ويقول: يا ربّ إنّ عليّاً قضى بقضائك»<sup>(١)</sup>.

كما روى القوم عن شيخٍ من أصحاب أبي جعفر عليه السلام (١١٤هـ) أنه سمعه يقرأ بالسُّريانيّة بصوتٍ حسن<sup>(٢)</sup>، ورووا عن موسى بن جعفر عليه السلام (١٨٣هـ) أنه لقي بُريهة النّصراني فقال له: يا بُريهة، كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا عالم، قال: كيف ثقّتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه! قال: فابتدأه موسى بقراءة الإنجيل حتى دهش بُريهة وقال: والمسيح لقد كان يقرؤها هكذا، وما قرأ هذه القراءة إلاّ المسيح عليه السّلام!<sup>(٣)</sup>

## ثانياً: علم الغيب

لا خلاف بين أهل السُّنة في أنّ الغيب مما اختصّ الله بعلمه، وقد حُجِب علمه عن الخلق قاطبةً حتى عن الصّفة المختارة الذين هم أنبياءه ورسله، فمن ادّعاه فقد وقع في الشُّرك؛ إذ نازع الله في شيءٍ من خصائصه، والنّصوص

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد للمفيد (١/٣٤).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٢٦/١٨٠).

(٣) الاختصاص للمفيد (٢٩٢)، بحار الأنوار للمجلسي (٢٦/١٨٠) بتصرّف يسير.

في هذا المعنى في غاية الكثرة والظهور، منها قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقد نفاه نوح الذي هو أول الرسل عن نفسه فقال لقومه: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [هود: ٣١].

كما أمر الله تعالى محمداً الذي هو خاتم الرسل أن ينفيه عن نفسه فقال: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠]، إلى غير ذلك من الأدلة الصريحة.

وقد يُطلع الله بعض رسله على بعض الغيبات عن طريق الوحي تأييداً لهم كما في قوله: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) ﴿إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رِيسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، وهو ما يُسمى بالغيب النسبي.

أمّا عند الإمامية فإنّ الأنبياء «لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم إليه الخلق»<sup>(١)</sup>، وهذا الكلام صحيح في مجمله وإن كان فيه ما فيه عند المحاققة

(١) كنز الفوائد للكراچكي (١١٠). وانظر أيضاً: تقريب القرآن إلى الأذهان لمحمد

الحسيني الشيرازي (٣٠/٣).

والإلزام<sup>(١)</sup>، وقد روى عن جعفر الصادق (١٤٨هـ) أنه قال: «موسى والخضر عليهما السلام أُعطيَا علمَ ما كان، ولم يُعطيَا علمَ ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة»<sup>(٢)</sup>.

ولكنهم حين يأتون إلى أئمتهم فإنهم يُثبتون لهم علم الغيب؛ إذ يرون أنّ «هذا العلم الخاصّ هو أحد الأركان التي تثبت بها الإمامة وتقوم عليها»<sup>(٣)</sup>، وهذا هو أحد الأسباب الرئيسة في عناية القوم بهذه المسألة وإفرادهم إيّاها بمصنّفات مستقلة<sup>(٤)</sup>.

(١) وذلك لأنهم في كثير من الأحيان يجعلون علم الأئمة بالغيب وبكلّ ما كان وما يكون موروثاً عن النبي ﷺ. انظر: الخرائج والجوائح للراوندي (٣٤٣).

(٢) الكافي للكليّني (١/٢٦١).

(٣) الصّحيح من سيرة الإمام عليّ عليه السلام لجعفر مرتضى العاملي (١١/١٩٠). باختصار يسير جداً.

(٤) من هذه المصنّفات:

• رسالة في علم الإمام والنبيّ - بالفارسيّة - لمحمد عليّ الكرمانشاهي (١٢١٦هـ).

انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٥/٣١٩).

• رسالة في علم الإمام، لعليّ أكبر بن محمد أمين اللاري (كان حيّاً سنة ١٢٨٤هـ). انظر:

مستدركات أعيان الشيعة (٧/١٧٨).

• رسالة في علم الإمام، لزين العابدين الكلبيّگاني (١٢٨٩هـ). انظر: موسوعة طبقات

الفقهاء (١٣/٢٨٢).

• رسالة في علم الإمام، ليحيى بن محمد شفيح المستوفي الأصفهاني (١٣٢٥هـ). انظر:

موسوعة طبقات الفقهاء (١٤/٨٩٧).

• رسالة في علم الإمام (ضمن مجموع: النجم الثاقب في نفائس المناقب). لأبو القاسم

وقد بَوَّبَ محمد بن الحسن الصِّفار (٢٩٠هـ) في «بصائر الدرجات» بقوله: «بابُ: في الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ أُعْطُوا عِلْمَ مَا مَضَى وَمَا بَقِيَ إِلَى يَوْمِ

[هذا اسمُه] بن محمد تقي بن محمد قاسم الأردوبادي (١٣٣٣هـ). انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٧٠/٢٤).

• أنوار الإسلام في علم الإمام عليه السلام، لمحمد بن فضل الله النجفي (١٣٤٢هـ). انظر: موسوعة طبقات الفقهاء (٥٦٢/١٤).

• رسالة في علم الإمام والنيبي، لعبد الحسين التستري اللاري (١٣٤٢هـ). انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٣١٨/١٥).

• رسالة في علم الإمام، لحسين السبزواري (١٣٥٢هـ). انظر: معجم المؤلفين (٤٣/٤).  
• مباحث علم الإمام عليه السلام وأوصافه، لموسى بن محمد باقر الاسكوثي الحائري (لم أقف على سنة وفاته). انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٢٩٠/١).

• رسالة الإلهام في علم الإمام عليه السلام، لمحمد علي بن حسن علي الحائري المعروف بالسنتري (١٣٧٨هـ). انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٣١٩/١٥).

• رسالة في علم الإمام، لأبو طالب [يبدو أن هذا اسمُه] بن علي أكبر تجليل التبريزي (لم أقف على سنة وفاته). انظر: موسوعة مؤلفي الإمامية (١٨٩/٢).

• رسالة في علم الإمام وكيفية، لمحمد حسين المظفر (١٣٨١هـ)، وهي مطبوعة.

• رسالة في علم الإمام عليه السلام، لعلي العلامة الفاني الأصفهاني (١٤٠٩هـ). انظر: موسوعة أحاديث أهل البيت (٤١١/١٢).

• علم الإمام، لعلي حمود العبادي تقريراً لأبحاث آية الله كمال الحيدري، والرِّسالة مطبوعة.

• حقيقة علم آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وجهاته، لعلي عاشور. والرِّسالة مطبوعة.

• علم الإمام، لمحمد سند، والرِّسالة مطبوعة.

القيامة»<sup>(١)</sup>، و«باب: في الأئمة أنهم يعلمون كل أرض مخصبة، وكل أرض مُجدبة، وكل فئة تهتدي وتصل إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>، و«باب: في الأئمة أنهم يعرفون بالأخبار من هو غايب عنهم»<sup>(٣)</sup>، وبوّب أبو جعفر الكليني (٣٢٩هـ) في الكافي بقوله: «باب: أن الأئمة عليهم السّلام يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم»<sup>(٤)</sup>، و«باب: أن الأئمة عليهم السّلام يعلمون متى يموتون»<sup>(٥)</sup>.

والذي يمكن استشفافه من مطالعة نصوص القوم قديماً وحديثاً أن ادّعاء علم الأئمة بالغيب مطلقاً لم يكن قولاً مقبولاً عند عامة متقدمي الشيعة؛ لأنه لا توجد لهم نصوص في ادّعائه للأئمة وإنما في إثبات كونهم يجتهدون ويعملون في أمور كثيرة بغالب الظنّ ونحو ذلك، وهو ما يتناقض بالكلية مع القول بعلمهم للغيب<sup>(٦)</sup>، كما أنهم يجعلون القول به مذهباً للمفوضة والغلاة فقط، ثم تطوّر على يد الشيخ المفيد (٤١٣هـ) - وبعض من قُرب من زمانه - الذي جنح بالمذهب نحو اعتقاد الغلاة بالقول: «إن الأئمة من آل محمد (ص) قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه»<sup>(٧)</sup>،

(١) بصائر الدرجات (١٤٩).

(٢) المصدر السابق (٣١٦).

(٣) المصدر السابق (٤١٦).

(٤) الكافي (١/٢٦٠).

(٥) المصدر السابق (١/٢٥٨).

(٦) انظر: تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى (٢٢٧)، تلخيص الشافي للطوسي (٣/٨٦).

(٧) أوائل المقالات (٦٧). وانظر أيضاً: كنز الفوائد للكراچكي (١١٢).

فخالف الغلاة في نقطتين:

أ- أنه لم يُطلق القول بعلم الأئمة لِمَا تُخفيه ضمائر الخلق كافة، وإنما قيده ببعضهم - وهم الشيعة<sup>(١)</sup> - خلافاً للغلاة.

ب- أنه خالف الغلاة أيضاً في نوع هذا العلم من جهة كونه بتعليم الله لهم، على ما سيأتي بيانه بعد قليل.

ثم ما فتى هذا الاعتقاد يتطور حتى أصبح القول السائد بين الإمامية الآن في حقيقته قولاً ملفقاً من قول الغلاة ومن قول الشيخ المفيد، حيث أخذوا من الغلاة إطلاق القول بعلم الأئمة بالغيب، وأخذوا من المفيد نوع هذا العلم<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء من جهة إطلاق عبارة (العلم بالغيب) بالنسبة للأئمة على صنفين:

**الصنف الأول:** من يصرّحون بعلمهم للغيب من كل وجه وإطلاعهم على كل شيء دون موارد، كما قال آية الله السيد كاظم الحسيني الرشتي: «وبالجملة يجب على المؤمن المخلص أن يعتقد أنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يعلمون كل شيء بالإجمال والتفصيل والكليّة والجزئية»<sup>(٣)</sup>، وقال الشيخ محمد باقر محمودي (١٤٢٧ هـ): «القول بأنّ الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يعلمون الغيب باطل،

(١) انظر: أوائل المقالات (٧٢).

(٢) هذا لا ينفي وجود بعض المعاصرين من الإمامية يقولون بقول الغلاة من كل وجه.

(٣) شرح الخطبة التنجية (٣/٧٠).

ومرجعه إمّا الجهل بالحقائق ومقامات أولياء الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإمّا الغفلة عن قدرة الله والتّجاهل عن شؤون أصفیائه، وإمّا العناد واللّجاج والمشاقّة لتراجمة وحي الله وحَفَظَةَ سِرِّ الله<sup>(١)</sup>، وأشار السيّد علي خان المشعشي الحويزي الموسوي (١٠٨٨هـ) إلى أنّ الأئمّة «يعلمون ما يقع بهم وبذرّيّتهم وما قُدِّرَ لهم؛ لأنّ عندهم علم ما كان وما يكون»<sup>(٢)</sup>، ونصّ على ذلك أيضًا آية الله كمال الحيدري وهو معاصر<sup>(٣)</sup>.

**الصّنف الثّاني:** من يتحرّزون عن إطلاق هذه العبارة دون تقييد - وهم الأكثر - خوفًا من تشنيع المخالفين<sup>(٤)</sup>، وإن كانت حقيقة قولهم تؤوّل إلى قول من قبلهم.

قال الشّيخ المفيد (٤١٣هـ): «فأمّا إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكرٌ بين الفساد؛ لأنّ الوصف بذلك إنّما يستحقّه من علم الأشياء بنفسه لا بعلمٍ مستفاد»<sup>(٥)</sup>.

وقال محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) - «الحاصل أنّ مقتضى الجمع بين الآيات والأخبار حملها على أنّ نفي الغيب عنهم معناه أنّهم لا يعلمون

(١) نهج السّعادة في مستدرك نهج البلاغة (٣/٧).

(٢) بحوث في الممل والنحل للسبحاني (٧/١٩٢).

(٣) انظر: علم الإمام (٢٠٤).

(٤) انظر: الغدير للأميني (٥/٥٢).

(٥) أوائل المقالات (٦٧).

ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحى أو إلهام»<sup>(١)</sup>.

فَعَلِمَ من ذلك أن كلا الصنفتين يُثبتان للأئمة علم الغيب، لكن العُلاة يجعلون هذا العلم علمًا ذاتيًا يحصل لهم من تلقاء أنفسهم دون توسُّط معلِّم، وأمَّا الآخرون فيجعلون هذا العلم حادثًا لهم بتعليم الله إيَّاهم<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة أن القوم بصفة عامة ليسوا على قدم ثابتة في هذا الباب، بل وقع بينهم اختلاف كبير في كثير من جزئيات هذه المسألة، ففي الوقت الذي ينص جماعات من علماء الإمامية كالسيد المرعشي (١٠١٩هـ) ومحمد حسن المظفر (١٣٨١هـ) وحسين الشاكري (١٤٣٠هـ) ومحمد تقى النقوي الخراساني وعبد اللطيف البغدادي على أن علم الأئمة لدنبي إلهامي وليس كسبياً<sup>(٣)</sup> مشيرين إلى أنه «قد أقام المتكلمون من الشيعة على ذلك سيلاً من الأدلة التي لا تقبل الجدل والشك»<sup>(٤)</sup>، نجد آخريين ينكرون ذلك جملةً وتفصيلاً، ويرون أن نسبة هذا الرأي للإمامية إنما هو من باب الجهل

(١) بحار الأنوار (٢٧/١٠٣).

(٢) انظر: تعاليق الميرزا أبي الحسن الشعراي على شرح أصول الكافي للمازندراني (١/٦)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي (٨/٢١٦ و٢١٨)، الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية لجواد التبريزي (١٢٤)، علم الإمام للمظفر (٥٩).

(٣) انظر: شرح إحقاق الحق للمرعشي (٢٨/٥١٥)، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة للمحمودي (٢/٣٥١)، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم لحيدر الأملي (١/٣)، الإمام الصادق عليه السلام للمظفر (١/١٣٦)، موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام للشاكري (١١/٦١)، التحقيق في الإمامة وشؤونها لعبد اللطيف البغدادي (١٣٢).

(٤) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام للشاكري (١١/٦١).

بمذهبهم أو الدسّ فيه<sup>(١)</sup>.

وقل مثل ذلك في علمهم، أهو كلّي أم جزئيّ تفصيليّي؟ ثمّ أهو ذاتي أم كسبيّي؟ وإن كان كسبيّاً أفهو بتعليم الملائكة أم هو موروث عن النبيّ ﷺ أم غير ذلك؟! وهل يحصل لهم هذا العلم منذ الولادة أم بعد ذلك؟ أويُزاد علمهم باستمرار أم هو هو؟ وأهو حاصل بالقوّة أم بالفعل؟<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك، ومردّد هذا الاختلاف إلى اضطراب دلالات أخبارهم وتناقض مفاهيم مروياتهم، وقد اعترف زعيم الحوزة العلميّة آية الله أبو القاسم الخوئي (١٣٤١هـ) بـ«أنّ البحث في علم الإمام عليه السّلام من المباحث الغامضة»<sup>(٣)</sup>.

وعلى كلّ فإنّ الأخبار المثبّته لعلمهم بإطلاق أكثر من أن تُحصّر، ولهذا أشار السيّد محمد حسين الطّباطبائي (١٤٠٢هـ) إلى تضافر الأخبار من طرق أئمّة أهل البيت بعلم الأئمّة كلّ شيء<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الشّيعّة في الميزان لمحمد جواد مغنية (٤٤).

(٢) انظر: الكافي للكُليني (١/٢٥٤ و٢٥٨)، المعالم الماثورة لمحمد عليّ القمّي

(٢/٢٤٩)، الفوائد الطّوسيّة للحرّ العاملي (٢٤٠)، شرح أصول الكافي للمازندراني

(٥/٣٣٧)، جواهر الكلام للجواهري (١/١٨٢) في الهامش، القصاص على ضوء

القرآن والسّنّة لعادل العلويّ (١/٧٣)، حقيقة علم آل محمد عَلَيْهِمُ السّلام وجّهاته لعلّيّ

عاشور (٣١) وما بعدها، الشّيعّة في الميزان لمحمد جواد مغنية (٤٥).

(٣) مصباح الفقاهة للتوحيد التّبريزي (١/٥٨٣).

(٤) انظر: الميزان في تفسير القرآن (١٨/١٩٢).

ومن الأخبار الواردة في هذا الشأن ما ينسبونه إلى عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال على منبر الكوفة -: «نظرتُ في الملكوت فلم يعزُب عني شيءٌ غاب عني، ولم يفتني ما سبقني»<sup>(١)</sup>.

كما رووا عن عبد الأعلى وعبيدة بن بشر أنهما قالوا: قال أبو عبد الله - ابتداءً منه -: «والله إنني لأعلم غيب السموات والأرض، وما في الجنة وما في النار، وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك رووا عن جعفر الصادق أنه قال: «والله لقد أعطينا علم الأولين والآخريين، فقال له رجلٌ من أصحابه: جُعِلْتُ فِدَاكَ! أعندكم علم الغيب؟ فقال جعفر: إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء... والله لو أردتُ أن أحصي لكم كل حصة عليها لأخبرتكم»<sup>(٣)</sup>.

وعن بكير بن أعين أنه قال: «قبض أبو عبد الله على ذراع نفسه وقال: يا بكير، هذا والله جلد رسول الله، وهذه والله عروق رسول الله، وهذا والله لحمه وهذا عظمه، وإني لأعلم ما في السموات وأعلم ما في الأرض، وأعلم ما في الدنيا وأعلم ما في الآخرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) المحتضر لحسن بن سليمان الحلبي (١٦١)، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء للفيض الكاشاني (٢٠٥/٤).

(٢) بصائر الدرجات للصفار (١٤٧).

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (٣/٣٧٤) باختصار.

(٤) المصدر السابق (٣/٣٧٤).

وروا عن أبي بصير أنه قال: «سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن مصحف فاطمة؛ ما فيه؟

قال: فيه خبرٌ ما كان وخبرٌ ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبرٌ سماء سماء، وعددٌ ما في السماوات من الملائكة وغير ذلك، وعددٌ كلِّ مَنْ خلق الله رسلاً وغيرَ مرسل، وأسمائهم وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب، وأسماء جميع مَنْ خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأوّلين والآخريين، وأسماء البلدان وصفة كلِّ بلدٍ في شرق الأرض وغربها، وعددٌ ما فيها من المؤمنين، وعددٌ ما فيها من الكافرين، وصفة كلِّ مَنْ كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدّة ملكهم وعددهم، وأسماء الأئمة وصفتهم وما يملك كل واحد واحد، وصفة كبرائهم وجميع من تردد في الأدوار.

قلتُ: جُعِلتُ فداك، وكم الأدوار؟

قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار، فيه أسماء جميع ما خلق الله آجالهم، وصفة أهل الجنّة وعددٌ من يدخلها، وعددٌ من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التّوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزّبور، وعددٌ كلِّ شجرة ومدرة في جميع البلاد»<sup>(١)</sup>.

ولا ريب بأنّ العلم على هذه الهيئة من خصائص الله تعالى التي ما كان

(١) دلائل الإمامة لابن جرير الشّيعي (١٠٥) باختصارٍ يسير.

لبشر أن يدعيه لنفسه كائناً من كان، وأيُّ فرق بين ما ادَّعوا أن عليّاً قاله على في الكوفة وبين ما أخبر به موسى فرعونَ عن ربِّه عزَّ وجل: ﴿لَا يَصُدُّ رَيْيَ وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، ثمَّ كيف يعلم جعفر الصادق ما في الجنة وما في النار والنبي ﷺ يقول ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ﴾ [الأحقاف: ٩]؟!، ثمَّ ما حجم هذا المصحف الذي احتوى على مليارات المعلومات!؟

ورغبةً من القوم في ألا يلحقهم لوم جرّاء زعمهم انفراد الأئمة بكمال ليس للنبي ﷺ فقد وضعوا أحاديث تدلّ على كون هذا العلم مأخوذاً عن الرسول ﷺ، وإلى ذلك أشار محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) بقوله: «دلّت الأخبار الكثيرة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يعلم علم ما كان وما يكون، وجميع الشرائع والأحكام، وقد علّم جميع ذلك عليّاً عليه السلام، وعلّم عليّ الحسن عليه السلام وهكذا»<sup>(١)</sup>.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في هذا المقام هو متى علّم النبي ﷺ عليّاً هذه العلوم والمعارف التي تشمل ما كان وما يكون وغير ذلك؟! وهذا أيضاً هو ما استشكله واستنكره أحد علمائهم وهو الشيخ محمد مهدي شمس الدين (١٤٢١هـ) حيث قال: «مهما كانت اللّحظات التي خلاها النبيّ مع الإمام كثيرة لا نستطيع أن نتصوّر كيف أفضى إليه فيها بألف بابٍ من العلم على نحو التّفصيل؛ لأنها مهما طال مداها لا تتسع للإفشاء ببعض

(١) بحار الأنوار (٢٦/٢٠). وانظر أيضاً: دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف

هذا العدد الكبير»<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أنّ المعضلة التي وقع فيها الإماميّة في هذا الخصوص منشؤها من جهتين:

**الجهة الأولى:** التناقض البيّن والصّريح بين الآيات القرآنيّة الدالّة على حصر علم الغيب بالله ونفيه عمّن سواه، وبين الأخبار الكثيرة المرويّة من طرقهم عن التي تصف أئمّتهم بذلك.

**الجهة الثانية:** أنّ هذا الاعتقاد مناقض بصورة تامّة المأثور من سيرة أئمّتهم، وقد أشار السيّد محمد حسين الطّباطبائي إلى هذه الحقيقة حين قال: «المأثور من سيرتهم أنهم كانوا يعيشون مدى حياتهم عيشة سائر النّاس، فيقصدون مقاصدهم ساعين إليها على ما تُرشد إليه الأسباب الظّاهريّة وتهدى إليه السُّبل العاديّة، فربّما أصابوا مقاصدهم وربما أخطأ بهم الطّريق فلم يصيبوا، ولو علّموا الغيب لم يخيبوا في سعيهم أبداً، فالعاقل لا يترك سبيلاً يعلم يقيناً أنه مصيبٌ فيه، ولا يسلك سبيلاً يعلم يقيناً أنه مخطئ فيه، وقد أصيبوا بمصائب ليس من الجائز أن يُلقى الإنسان نفسه في مهلكتها لو علّم بواقع الأمر، كما أُصيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد بما أُصيب، وأُصيب عليّ عليه السّلام في مسجد الكوفة حين فتك به المُرادى لعنه الله، وأُصيب الحسين عليه السّلام فقتل في كربلاء، وأُصيب سائر الأئمة بالسُّمّ، فلو كانوا يعلمون ما سيجري عليهم كان ذلك من إلقاء النّفس في

(١) دراسات في نهج البلاغة (١٧٣).

التهلكة وهو محرّم»<sup>(١)</sup>.

والغريب أنهم يروون عن بعض أئمتهم المعصومين - بزعمهم - ما يدلّ صراحةً على عدم علمهم بالغيب، فمن ذلك ما قاله عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في وصية كتبها بعد منصرفه من صفين بما يُعمل في أمواله، وقد جاء فيها: «فإن حدث بحسنٍ حدثٌ وحسينٌ حيٌّ فإنه إلى الحسين بن عليّ... وإن حدث بحسنٍ وحسين حدثٌ فإن الآخر منهما ينظر في بني عليّ»<sup>(٢)</sup>، وقال في وصية أخرى - : «إن حدث بي حدثٌ»<sup>(٣)</sup>، فلو كان عليّ الذي هو أعلم الأئمة الاثني عشر يعلم الغيب ولا يخفى عليه شيءٌ - كما يدّعون - لما احتاج إلى التعليق بأن، وإنما لقال: سيكون كذا فافعلوا كذا وكذا.

بل يروون عنهم إنكار علمهم بالغيب، ففي الكافي عن سدير أنه قال: «كنتُ أنا وأبو بصير ويحيى البرّاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام؛ إذ خرج إلينا وهو مغضبٌ! فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب! ما يعلم الغيب إلا الله عزّ وجلّ، لقد هممتُ بضرب جاريّتي فلانة فهربتُ مني فما علمتُ في أيّ بيوت الدار هي!»<sup>(٤)</sup>.

ولعلّ من أظرف ما يصادفه الناظر في كتب القوم ما ذكره الصفّار

(١) الميزان في تفسير القرآن (١٨/١٩٢).

(٢) الكافي للكليّني (٧/٥٠)، تهذيب الأحكام للطوسي (٩/١٤٧).

(٣) روضة المتّقين شرح من لا يحضره الفقيه للمجلسي (٦/٣٤٩)، الوافي للكاشاني (١٠/٥٦٣).

(٤) الكافي للكليّني (١/٢٥٧).

(٢٩٠هـ) في كتابه «بصائر الدّرجات» في سياق إثبات علم الأئمّة بالغيب تحت عنوان: «باب: في الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ أُعْطُوا عِلْمَ مَا مَضَى وَمَا بَقِيَ»، وكذلك الكلينيّ (٣٢٩هـ) في كتابه الكافي تحت عنوان: «باب: أَنَّ الأئمّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَعْلَمُونَ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمُ الشَّيْءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>، عن سيف التّمّار أنه قال: «كنا مع أبي عبد الله عليه السّلام جماعة من الشّيعّة في الحجّر فقال: علينا عَيْنٌ؟ فالتفتنا يمينه ويسرّة فلم نر أحداً فقلنا: ليس علينا عين، فقال: وربّ الكعبة وربّ البنية - ثلاث مرّات - لو كنتُ بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأنّ موسى والخضر عليهما السّلام أُعطيّا علمَ ما كان، ولم يُعطيّا علمَ ما يكون وما هو كائن حتى تقوم السّاعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثته»<sup>(٢)</sup>.

وبما أنّ الباطل لا بدّ وأن يتضمّن في نفسه دليلَ بطلانه فلنا أن نتساءل فنقول: إنه إذا كان علمُ الصّادق بهذه الصّفة المدّعاة من أنه لا يخفى عليهم شيء فكيف لم يُفتّه العلمُ بوجود جاسوس من عدمه؟ وما الذي يُحيجه إلى علم جُلّسائه ليعطوه الخبر الأكيد؟!

وعلى كلّ فهذا ديدن الباطل وهجّيراه، يأبى الله إلا أن يظهرَ فساده فيه وأن ينكشف عوّاره منه، وأن ينقض أوّله آخره ويكذب منتهاه مبتداه.

(١) بصائر الدّرجات (١٤٩)، الكافي (١/٢٦١).

(٢) الكافي (١/٢٦١).

## المبحث الثالث

### تفضيل الأئمة على الأنبياء باستثناء محمد ﷺ

لا يختلف أهل السنة في تفضيل الأنبياء على سائر البشر، قال أبو جعفر الطحاوي (٣٢١هـ): «ولا نُفَضَّلُ أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء، ونقول: نبيٌّ واحد أفضل من جميع الأولياء»<sup>(١)</sup>، وقد قطع القاضي عياض (٥٤٤هـ) ومحبي الدين النووي (٦٧٦هـ) بتكفير من قال بتفضيل الأئمة على الأنبياء ما لم يكن معذوراً<sup>(٢)</sup>.

وهذه المسألة من المسلّمات العقديّة، وهي في القرآن والسنة أوضح من أن تحتاج إلى بيان واستدلال، ولم يخالف في ذلك إلا طائفتان من أجهل الخلق وأضلّهم عن الحقّ، وهما:

- ١- اتّحادية الصّوفية الذين قالوا بتفضيل الأولياء على الأنبياء<sup>(٣)</sup>.
- ٢- الإمامية الذين قالوا بتفضيل الأئمة على الأنبياء، وهذه الطائفة هي المقصودة بالكلام في هذا الموضوع، فالذي استقرّ عليه قول الإمامية حتى أنهم لا يُعرَفون بغيره بل ولا يُعرَف متأخروهم سواء هو القول بتفضيل الأئمة على سائر الأنبياء والمرسلين حتى أولي العزم منهم باستثناء النبيّ

(١) متن العقيدة الطحاوية (٣٠).

(٢) انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/٢٩٠)، روضة الطالبين للنووي (١٠/٧١).

(٣) انظر: بغية المرئاد لابن تيمية (٢٢٨).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، وهذا بزعم كثيرٍ منهم هو مقتضى الأخبار الصريحة<sup>(٢)</sup>، وقد أفردوا هذه المسألة مصنّفات مستقلة<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: كنز الفوائد للكراچكي (١١٢)، الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (٢٢/١)، مدينة

المعاجز للبحراني (١٣/١)، مصباح الهداية في إثبات الولاية لعلّي البهبهاني (١٣٣).

(٢) انظر: مختصر مفيد لجعفر مرتضى العاملي (٣٨/٧).

(٣) من هذه المصنّفات:

• تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام، لمحمد بن محمد بن نعمان الملقّب بالمفيد (١٣٤هـ). والكتاب مطبوع.

• الرّسالة الباهرة في العترة الطاهرة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، للشّريف المرتضى (٤٣٦هـ). انظر: بحار الأنوار (٣٣٢/٢٧).

• تفضيل الأئمة على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، للحسن بن سليمان الحلّي (توفّي بعد ٨٠٢هـ). انظر: مستدرک الوسائل (٤/٤٨٤).

• منهاج الحق واليقين في تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي الحائري (بعد ٩٨١هـ). انظر: كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار (٥٦٥).

• المنهج القويم في تفضيل الصّراط المستقيم عليّ عليه السّلام على سائر الأنبياء والمرسلين سوى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ذي الفضل العميم، لمهذب الدّين أحمد (١١٠٤هـ). انظر: رسائل في دراية الحديث (١١/٢).

• تفضيل الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على الأنبياء الذين كانوا قبل جدّهم النّبّي الخاتم صلوات الله عليه وعلى آله الذي هو أشرف الخلائق وأفضلهم، لهاشم بن سليمان البحراني (١١٠٧هـ). انظر: مدينة المعاجز (١٣/١).

• تفضيل عليّ عليه السّلام على أولي العزم من الرّسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. للمؤلّف نفسه، وهو غير تصنيفه السّابق. انظر: مدينة المعاجز (١٣/١).

قال ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصّدوق (٣٨١هـ) - «يجب أن يُعتقَد أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقًا أفضلَ من محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحبُّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ وأكرمهم وأولهم إقرارًا به لما أخذ الله ميثاق النّبیین في الذرّ»<sup>(١)</sup>.

وقد بوّب الصّفّار في «بصائر الدّرجات» (٢٩٠هـ) بقوله: «باب: في أنّ الأئمة عليهم السّلام أفضل من موسى والخضر عليهما السّلام»<sup>(٢)</sup>، وبوّب محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) في بحاره على هذا بقوله: «باب: تفضيلهم عليهم السّلام»

- 
- تفضيل أمير المؤمنين عليه السّلام على من عدا خاتم النّبیین صلى الله عليه وآله وسلّم، لمحمد باقر المجلسي (١١١١هـ). انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٣٥٨/٤).
  - تفضيل نبينا محمد وآله الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين على جميع الأنبياء والمرسلين، لمحمد بن عبد علي بن محمد القطيفي (بعد ١٢٤٠هـ). انظر: مقدّمة محقّق رسالة تفضيل أمير المؤمنين للمفيد (٦).
  - تفضيل أمير المؤمنين عليه السّلام على غير النّبیین صلى الله عليه وآله وسلّم، وتفضيل أولاده على أولاد الشّيعين، لمحمد بن دلدار علي النقوي اللكهنوي (١٢٨٤هـ). انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٣٥٩/٤).
  - تفضيل الأئمة عليهم السّلام على غير جدّهم من الأنبياء عليهم السّلام، لمحمد كاظم بن محمد شفيع الهزار جريبي الحائري (١٢٣٢هـ). انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة (٣٥٨/٤).
  - تفضيل الأئمة (ع) على الأنبياء (ع)، لعلي الميلاني (معاصر). انظر: اختصاص الشيعة في التمسك بالقرآن الكريم (٨).

(١) الهداية (٢٤).

(٢) بصائر الدّرجات (٢٤٩).

على الأنبياء وعلى جميع الخلق»<sup>(١)</sup>، وأشار إلى أن كون الأئمة عليهم السلام أفضل من سائر الأنبياء «هو الذي لا يرتاب فيه من تتبّع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى»<sup>(٢)</sup>.

والمتيقن أن متقدّمي الإمامية لم يكونوا جميعاً على هذا الاعتقاد الغالي، وإنما كانوا منقسمين على ثلاثة أقوال ذكرها الشيخ المفيد (٤١٣ هـ) في كتابه أوائل المقالات، وهي:

**القول الأوّل:** تفضيل الأئمة على سائر من تقدّم من الرّسل والأنبياء سوى محمد ﷺ.

**القول الثّاني:** تفضيل الأئمة على جميع الأنبياء سوى أولي العزم منهم.

**القول الثّالث:** تفضيل الأنبياء على سائر الأئمة<sup>(٣)</sup>.

والذي يبدو - بعد التّفتيش والتّفتيش في كتب القوم - أن القولين الثّاني والثّالث قد انقرضا منذ آماذ، فلم يعد ثمة قائل بأيّ منهما.

ثمّ إنه على الرّغم من نصّ المفيد على أنه ليس على أحدٍ من هذه الأقوال الثلاثة إجماع، وإشارته إلى ميله إلى القول الأوّل<sup>(٤)</sup> إلا أن هذا

(١) بحار الأنوار (٢٦/٢٦٧).

(٢) بحار الأنوار (٢٦/٢٩٧). وانظر للاستزادة: الفصول المهمّة في أصول الأئمة للحرّ العاملي (١/٤١٠).

(٣) انظر: أوائل المقالات (٧٠).

(٤) انظر: أوائل المقالات (٧١)، الفصول المختارة (٦٢)، وقد جزم بالقول الأوّل في المقنعة (٣٢).

القول الذي لم يقطع به المفيد أصبح - فيما بعد - محل اتفاق بين المتأخرين منهم كما قال محمد باقر المجلسي (١١١١هـ): «لا خلاف بين الإمامية في أن الأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أفضل من جميع الملائكة، والأخبار في ذلك مستفيضة»<sup>(١)</sup>، بل أصبح من ضروريات مذهبهم على حدّ تعبير روح الله الخميني (١٤٠٩) (٢)، وبدلاً من كون ثلثي الشيعة (٣) على تفضيل أولي العزم من الرسل على الأئمة انقلبت المسألة رأساً على عقب كعادة عقائد القوم في التطور والتغير المستمر، حيث عنون محمد باقر المجلسي لمسألة المفاضلة بـ «أن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم»<sup>(٤)</sup>، و«باب: أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين»<sup>(٥)</sup>، وزعم هو وغيره عن طريق الرواية أن ولاية عليّ عرّضت على الأنبياء في عالم الدرّ والميثاق فمنهم من أقرّ ومنهم من أنكر فعوقب، ومن هؤلاء يونس بن متى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كان حبسه في بطن الحوت - بزعمهم - عقوبة له على إنكاره حتى تاب وأقرّ<sup>(٦)</sup>.

فالمتحصّل من كلام القوم أن الأئمة أفضل من الأنبياء قاطبة، وهذا

(١) بحار الأنوار (٢٨٥/٥٧).

(٢) انظر: الحكومة الإسلامية (٥٢).

(٣) هذه النسبة مأخوذة على جهة التقريب من حاصل الأقوال الثلاثة المذكورة.

(٤) بحار الأنوار (٢٦٧/٢٦).

(٥) المصدر السابق (٣١٩/٢٦).

(٦) بصائر الدرجات للصفّار (٩٥)، مدينة المعاجز للبحراني (٣٥/٢)، البرهان في تفسير

القرآن لهاشم الحسيني (٦٣١/٤)، بحار الأنوار للمجلسي (٣٩١/١٤).

يجرّنا إلى الكلام عن مسألتين أُخريين مرتبطين بهذه المسألة ارتباطاً وثيقاً.

### المسألة الأولى: الإمامة أعلى مرتبة من النبوة أم العكس؟

وقد اضطرب القوم في الجواب عن هذا السؤال، وذلك لأنهم وجدوا أنفسهم بين أمرين - أحلاهما مرّ - : إمّا الاطراد مع اعتقادهم بتقديم مقام الإمامة وتفضيله على مقام النبوة، وإمّا موافقة نصوص الكتاب والسنة بتقديم مقام النبوة وتفضيله على مقام الإمامة.

فقد ذهب كثيرون - ولعلهم الأكثر - إلى تفضيل الإمامة وتقديمها، قال المولى المازندراني (١٠٨١هـ): «الإمامة أرفع منزلةً وأعلى مرتبةً من النبوة»<sup>(١)</sup>، وقال الوحيد البهبهاني (١٢٠٦هـ): «مرتبة الإمامة فوق مرتبة النبوة والرّسالة»<sup>(٢)</sup>، وقال شهاب الدّين النّجفي (١٤١١هـ): «الإمامة مرتبةٌ تاليةٌ للنبوة»<sup>(٣)</sup>.

ويلزم القائلين بهذا تكذيب النصوص التي جاءت بتفضيل الأنبياء على غيرهم وتقديم مرتبة النبوة على ما سواها كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٣)</sup> وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن

(١) شرح أصول الكافي (٢٠١/٥).

(٢) مصباح الهداية في إثبات الولاية (١٣٤).

(٣) تعليقاته على شرح إحقاق الحق (٢/٢٩٥) هامش (٣)، ويقصد بـ«تالية» أن الأنبياء لا يمكن أن يتأهلوا لنيل مقام الإمامة إلا بعد حصولهم على النبوة. وانظر أيضاً: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم للسبحاني (٣٩٥).

ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَرَكَرِيًّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ  
 وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثَمُوثَىٰ أَفْضَلًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ [الأَنْعَام: ٨٣ - ٨٦]، وقوله:  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَعَمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:  
 ٣٣]، وقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأَنْعَام: ١٢٤].

ثم إنه يلزمهم أيضاً بيان الفرق بين الإمامة والنبوة، ولماذا ذُكرت النبوة  
 والأنبياء في القرآن ولم تُذكر الأئمة ولا الإمامة بالمعنى الذي تدعيه  
 الجعفرية؟!

ثم كيف تفضّل الإمامة على النبوة وهم يقرّرون أنّ النبوة أصل تتفرّع عنه  
 الإمامة<sup>(١)</sup>، وأنها (أي: الإمامة) من توابع النبوة وفروعها<sup>(٢)</sup>، وأنها نيابة  
 عنها<sup>(٣)</sup> واستمرار لوظائفها؟!<sup>(٤)</sup>

وقد خالفهم جماعة فذهبوا إلى تفضيل النبوة وتقديمها على الإمامة،  
 قال محمد بن جرير الطبري الشيعي (أوائل ٤٠٠ هـ) - «الإمامة بعد النبوة

(١) انظر: المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن رستم  
 الطبري (٦٤٢)، المصباح في إثبات الإمامة للكرماني (٨٠).

(٢) النَّافِعُ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلْمَقْدَادِ السِّيُورِيِّ (٩٤)، الإمامة في أهمّ الكتب الكلامية لعليّ الميلاني  
 (٤٦).

(٣) انظر: شرح منهاج الكرامة للميلاني (١٨٣/٣).

(٤) انظر: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم للسبحاني (٣٨٦).

وفي أدنى المراتب»<sup>(١)</sup>، وأشار ابن طاووس (٦٦٤هـ) إلى أنّ النبوة أعظم من الإمامة<sup>(٢)</sup>، وقال الدكتور عبد الرسول غفار - «مقام النبوة أرفع شأنًا من منصب الإمامة»<sup>(٣)</sup>، وقال أيضًا - «هي رتبة دون النبوة»<sup>(٤)</sup>، وهؤلاء وإن فوّقوا للقول بما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة إلا أنهم من جهة أخرى قد ناقضوا لازم اعتقادهم، فإنّ قولهم بأفضليّة الإمام على النبيّ يلزم منه بالضرورة القول بأفضليّة الإمامة على النبوة، وأمّا اعتقاد الشيء دون لازمه فهو تناقض فاضح.

### المسألة الثانية: ما الفرق بين النبوة والإمامة؟

حرص القوم على رفع منزلة أئمتهم، فكان مبدأ رحلة التّيه بتفضيلهم عليًّا على عثمان، ثمّ خطّوا خطوةً أخرى ففضّلوه على الشّيخين وقدموه عليهما، ثمّ خطّوا خطوةً ثالثة بجعله في مصافّ الأنبياء حيث زعموا أنّ الرسول ﷺ قال لعليّ: «إنّ اسمك في ديوان الأنبياء الذين لم يُوحَ إليهم»<sup>(٥)</sup>، وقال له أيضًا - بزعمهم - «إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإياك، واصطفاني وإياك،

(١) المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام (٥٦٤).

(٢) انظر: سعد السعود (٦٩).

(٣) شبهة الغلو عند الشّيعه (٢٥٣).

(٤) الكليني والكافي (٣٥٨).

(٥) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (٥٧/٣)، بحار الأنوار للمجلسي (٨١/٣٩)،

مسند الإمام علي عليه السّلام لحسن القبانجي (٢٢٩/٧)، نفحات الأزهار لعليّ

الميلاني (٢٢٥/١١).

واختارني في النبوة واختارك في الإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي»<sup>(١)</sup>، ولهذا بوب الصّفار (٢٩٠هـ) في بصائر الدرجات بقوله: «باب: في أمير المؤمنين (ع) أن رسول الله (ص) شاركه في العلم ولما يشاركه في النبوة»<sup>(٢)</sup> والملحوظ في هذا التبويب أن الصّفار أثبت شراكة عليّ للنبي ﷺ في العلم ولم ينفِ مشاركته له في النبوة بـ(لم) الدالة على النفي المطلق مع أنها الأشهر في الاستعمال والأقرب إلى الذهن، وإنما استعمل (لما) الدالة على القرب وتوقع الحصول<sup>(٣)</sup>، وهو صنيع مقصود له دلالتُه وبعده.

وفي نهاية المطاف حطّ القوم رحالهم على القول بتفضيل الأئمة على الأنبياء باستثناء النبي ﷺ، وهي المرحلة الرابعة.

وبما أنهم يقولون بأن «النبوة والإمامة توأمان»<sup>(٤)</sup>، فكلتاهما لا تتبان إلا بتصديق الربّ<sup>(٥)</sup>، وكلتاهما تستوجبان الطاعة المطلقة، وكلتاهما إنكارهما كفر<sup>(٦)</sup>، ويقولون أيضاً بأن أئمتهم أفضل من أنبياء الله؛ فكيف يمتاز عنهم هؤلاء الذين هم دونهم في العلم والمكانة بخصائص ليست لهم؟! هذا ما لا

(١) عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي (٢٦٧/١)، إقبال الأعمال لابن طاووس (٢٧/١)،

بحار الأنوار للمجلسي (١٩١/٤٢).

(٢) بصائر الدرجات (٣١٢).

(٣) انظر: حاشية الخضري على ابن عقيل (١٢٠/٢).

(٤) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم للسبحاني (١٣٢).

(٥) انظر: شرح أصول الكافي للمازندراني (١٥٩/٣).

(٦) انظر: الهداية للصدوق (٢٧)، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (١٨/٣).

يُقبل عندهم.

ومن هنا فقد وجدوا أنفسهم مضطربين إلى أن يُثبتوا لأئمتهم جميع خصائص النبوة فما من معجزة لرسول أو خصيصة لنبيّ إلا وقد جعلوها لأولئك سواء بسواء على ما سبق بيانه تفصيلاً، كما أوجبوا عليهم جميع وظائفها من «تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام»<sup>(١)</sup>.

ولئن كان من المسلم أن النبوة مرتبطة بالوحي رؤيةً أو سماعاً فإن الأئمة يرون الملائكة ويكلمونهم غدواً وغشياً، قال آية الله البروجردي (١٣٨٠هـ): «المستفاد من الأخبار الكثيرة المتقدمة التي لا يخفى استفادتها بل تواترها حصول العلم لهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بضروبٍ من الوحي والإلهام كالنكت في القلوب، والنقر في الأسماع، وسماع صوت الملك ومشاهدته»<sup>(٢)</sup>.

ومع أن الإمامية جعلوا لأئمتهم جميع خصائص النبوة ووظائفها إلا أنهم منعوا القول بنبوتهم، وهذا في غاية الإشكال؛ لأنه يقودنا بالضرورة إلى السؤال المفصليّ والحساس في هذا الموضوع وهو: إن كانت جميع خصائص النبوة ووظائفها وواجباتها متحصّلة وكائنة للأئمة فلماذا لا يكونون أنبياء؟! وما الفرق المؤثر بين النبيّ والإمام؟!!

والحقيقة أن كثيراً من علمائهم قد حاولوا بشتى الطرق الإجابة عن هذا

(١) أوائل المقالات للمفيد (٦٥). وانظر أيضاً: كمال الدين وتمام النعمة للصدوق (٢٣).

(٢) تفسير الصراط المستقيم (١/٤٠٦). وانظر بعض هذه الأخبار في: بحار الأنوار

السؤال المحيّر وتجليّة وجه الفرق بينهما دون طائل<sup>(١)</sup>، كما خصّ شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (٤٦٠هـ) هذه المسألة بمؤلف خاصّ سمّاه: رسالة في الفرق بين النبيّ والإمام<sup>(٢)</sup> لكنه لم يأت فيه بشيء يُذكر، وكذلك ابن إدريس الحلّي (٥٩٨هـ)<sup>(٣)</sup>.

وعلى كلّ فقد اعترف محمد باقر المجلسي (١١١١هـ) بأنّ هذه المسألة في غاية العواسة حيث قال: «استنباط الفرق بين النبيّ والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال، وكذا الجمع بينها مشكل جدًّا!» إلى أن قال: «وبالجملة لا بدّ من الإذعان بعدم كونهم عليهم السّلام أنبياء... ولا تصل عقولنا إلى فرق بين النبوة والإمامة»<sup>(٤)</sup>.

والحاصل أنّ القوم وإن امتنعوا عن إعطاء أئمتهم لفظ النبوة إلّا أنهم قد أعطوهم معناها<sup>(٥)</sup> من كلّ وجه حتى إنه لم يتبقّ من فرق بينهم وبين الأنبياء إلّا في إطلاق اسم النبوة لا غير، ولهذا حاروا وعجزوا عن إيجاد فرق بين النبيّ وبين الإمام.

(١) انظر على سبيل المثال: الاقتصاد لأبي جعفر الطوسي (١٦٠)، شرح أصول الكافي للمازندراني (١١٦/٥) هامش (١)، منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي (٨٣/١٢)، تفسير الصّراط المستقيم للبروجردي (٤٠٨/١)، الأنوار الساطعة لجواد الكربلائي (٤٠٦/١).

(٢) وهي مطبوعة.

(٣) انظر: موسوعة ابن إدريس الحلّي (٣٧٨).

(٤) بحار الأنوار (٨٢/٢٦)، مرآة العقول (٢٨٩/٢).

(٥) انظر: منهاج السنة النبويّة لابن تيميّة (١٨٨/٦).

## الخاتمة

بعد أن من الله عليّ بإتمام هذا البحث فهذه إشارة إلى أبرز نتائجه:

- ١- أن آراء الإمامية في أئمتهم الاثني عشر في غاية الغلو، وأنهم في كثير من النواحي لم يكتفوا برفعهم إلى درجة الأنبياء فحسب، وإنما زادوا على ذلك فأشركوهم في بعض خصائص الرب عز وجلّ.
- ٢- أن عقائد الإمامية تتغيّر وتتطور باستمرار، ولهذا فإن بعض ما يؤمنون به الآن كان معدوداً لدى جماعة من متقدميهم من جملة العقائد الغالية.
- ٣- أنه وإن اتفق على القول بـ(عصمة الأنبياء) بين أهل السنة وبين الشيعة من جهة الإجمال إلا أن مفهومها مختلف غاية الاختلاف بينهم.
- ٤- أن الذي استقرّ عليه الإمامية هو أن أئمتهم الاثني عشر معصومون حتى عن السهو والنسيان.
- ٥- أن القول بعصمة الأئمة الاثني عشر عند الإمامية فرع عن القول بإمامتهم.
- ٦- أن معجزات الأئمة عند الإمامية أكثر وأعظم من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأن الأنبياء عندهم لا يمتازون عن الأئمة بأيّ معجزة أو خصيصة.
- ٧- أن قدرة الأئمة أعظم بمراحل من قدرة الأنبياء عليهم السلام.
- ٨- أن علم الأئمة عند الشيعة الإمامية لا يشبه علوم البشر، بل هو خارج عن نطاق القدرة الإنسانية.
- ٩- أن الأئمة الاثني عشر أعلم من جميع الأنبياء باستثناء النبي ﷺ، وإن كان الذي يفهم من بعض نصوصهم أن بعض الأئمة قد يكون أعلم منه؛ لأنه

- يرث عمّن قبله كلّ علمه ثمّ يزداد علمًا جديدًا كلّ يوم.
- ١٠- أنّ بين الإمامية اختلافات كثيرة في طبيعة علم الأئمة الاثني عشر ونوعه ومقداره وحدوده وجهاته ووقت حصوله.
- ١١- أنّ الأخبار المتعلقة بعلم الأئمة وصفة ذلك العلم لا تخلو من التناقض والاضطراب.
- ١٢- أنّ القول بأنّ الأئمة (يعلمون الغيب) مما لا يختلف فيه الإمامية الآن، سواء صرّحوا بذلك أم تحاشوا إطلاق هذه العبارة.
- ١٣- أنّ ادّعاء علم الأئمة بالغيب مطلقًا لم يكن قولًا مقبولًا عند عامّة متقدّمي الشيعة.
- ١٤- لا يخالف في تفضيل الأنبياء على سائر البشر من أهل الضلال إلا طائفتان هما: الشيعة في أئمتهم، والصوفيّة في أوليائهم.
- ١٥- أنّ متقدّمي الإمامية كانوا على خلاف في مسألة التقديم على أقوال، ولكن الذي استقرّ عليه قولهم هو التقديم مطلقًا.
- ١٦- أنّ حرص الإمامية على شأن أئمتهم والرفع من منزلتهم قد جرّهم إلى الحطّ من مرتبة النبوة، بل الإساءة والافتراء على بعض الأنبياء كما فعلوا مع يونس عليه السّلام.
- ١٧- أنّ لازم قول الإمامية في التفضيل هو أنّ مرتبة الإمامة أعلى وأرفع من مرتبة النبوة، وهو ما صرّح به أكثرهم.
- ١٨- أنّ القوم لمّا جعلوا للإمامة جميع خصائص النبوة ووظائفها استعصى عليهم التفرّيق بينهما بفرق سالم من الاعتراض.

## ثبت المصادر والمراجع

مصادر أهل السنة:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، تأليف: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة الثانية سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٣- الأوائل، تأليف: أبي بكر أحمد بن عمرو (أبي عاصم) بن الضحاك بن مخلد الشيباني، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.
- ٤- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: موسى بن سليمان الدويش، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.
- ٥- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمد بن علي عجال، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ.
- ٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة الطبع ١٣٨٧هـ.

٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، جمع: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧هـ.

٨- حاشية الخضري على ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف: محمد الخضري، الناشر: دار الفكر بيروت،

٩- روضة الطالبين وعمدة المفتين، تأليف: الإمام محيي الدين النووي، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥هـ.

١٠- السنة، تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ.

١١- السنة، تأليف: أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني الناشر: دار الراية بالرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تأليف: أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة بالرياض، سنة الطبع ١٤٠٢هـ.

١٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف: القاضي أبي الفضل عياض اليعصبي، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء

للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة الطبع ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

١٤ - صحيح مسلم، جمع: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بمصر.

١٥ - متن العقيدة الطحاوية، تأليف: أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٦ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

١٧ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، د. محمد رشاد سالم، الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ.

١٨ - الموطأ، جمع: الإمام مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بمصر.

### مصادر الشيعة الإمامية

١ - اختصاص الشيعة في التمسك بالقرآن الكريم، المؤلف: الشيخ حسين غيب غلامي الهرساوي، ترجمة: علاء تبريزيان، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ.

٢ - الاختصاص، تأليف: محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب

- بـ(الشيخ المفيد)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة
- ٣- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقّب بـ(الشيخ المفيد)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ.
- ٤- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم، تأليف: آية الله الشيخ جعفر السبحاني، بدون أيّ بيانات أخرى.
- ٥- الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الناشر: مكتبة جامع جهلستون - طهران، مطبعة الخيام - قم، سنة الطبعة ١٤٠٠هـ.
- ٦- أمالي السيّد المرتضى في التفسير والحديث والأدب، تأليف: أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين الموسوي، تصحيح وضبط ألفاظ وتعليق حواشي: السيّد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ.
- ٧- الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام، تأليف: محمد الحسين المظفر، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م.
- ٨- الإمامة في أهمّ الكتب الكلامية، تأليف: السيد علي الحسيني الميلاني، بدون أيّ بيانات أخرى.
- ٩- الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية، تأليف: آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي، الناشر: دار الصديقة الشهيدة عليها السلام، الطبعة الأولى

سنة ١٤٢٢هـ.

١٠- الأنوار الساطعة شرح الزيارة الجامعة، تأليف: الشيخ جواد بن عباس الكربلائي، مراجعة: محسن الأسدي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١١- الأنوار النعمانية، تأليف: السيّد نعمة الله الجزائري، الناشر: دار القاري ودار الكوفة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٢- أوائل المقالات، تأليف: محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقّب بـ(الشيخ المفيد)، طباعة ونشر: دار المفيد، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف: الشيخ محمد باقر المجلسي، لشيخ محمد باقر المجلسي، الناشر: مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤- بحوث في الملل والنحل، تأليف: آية الله الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١٥- بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، تأليف: آية الله السيد أبي الفضل مير محمدي الزرندي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

١٦- البرهان في تفسير القرآن، تأليف: السيد هاشم الحسيني البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الناشر: مؤسسة البعثة - قم.

١٧- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (ع)، تأليف: شيخ القميين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، تقديم وتعليق

وتصحيح الحاج ميرزا محسن «كوچه باغي»، منشورات الأعلمي - طهران، مطبعة الأحمدي - طهران، طبع في سنة ١٣٦٢ ش - ١٤٠٤ ق.

١٨ - تاج الموالي في موالي الأئمة ووفياتهم، تأليف: الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، بدون بيانات أخرى.

١٩ - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، تأليف: السيد شرف الدين علي الحسيني الإسترابادي النجفي، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي بقم، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ.

٢٠ - التحقيق في الإمامة وشؤونها، تأليف: عبد اللطيف البغدادي، بدون بيانات أخرى.

٢١ - تفسير الصراط المستقيم، تأليف: آية الله السيد حسين البروجردي، تصحيح وتعليق: الشيخ غلام رضا بن علي أكبر، الناشر: مؤسسة أنصاريان، المطبعة: الصدر - قم، سنة الطبع ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٢ - تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تأليف: السيد حيدر الأملي، تحقيق وتعليق: السيد محسن الموسوي التبريزي، مطبعة: الأسوة، الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٨ هـ.

٢٣ - تفضيل أمير المؤمنين (ع)، تأليف: محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بـ(الشيخ المفيد)، تحقيق: علي مدرسي الكعبي.

٢٤ - تقريب القرآن إلى الأذهان، تأليف: آية الله السيد محمد الحسيني الشيرازي، الناشر: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٥ - تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تأليف: شيخ

الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخراسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية تهران بازار سلطاني.

٢٦- التّوحيد، تأليف: أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف ب(الصّدوق)، تصحيح وتعليق: هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.

٢٧- الثّاقب في المناقب، تأليف: عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة، تحقيق: الأستاذ نبيل رضا علوان، الناشر: مؤسسة أنصاريان في قم، مطبعة الصدر في قم، الطبعة الثّانية سنة ١٤١٢هـ.

٢٨- جواهر الفقه، تأليف: عبد العزيز بن البراج الطرابلسي، تحقيق إبراهيم بهادري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ.

٢٩- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تأليف: الشيخ محمد حسن النجفي، تحقيق: الشيخ عباس القوچاني، الناشر: دار الكتب الإسلامية تهران، بازار سلطاني.

٣٠- حقوق آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الكتاب والسُّنة باتِّفاق الأُمَّة، تأليف: الشيخ محمد حسين الحاج العاملي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ.

٣١- حقيقة علم آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وجهاته، تأليف: السيد علي عاشور، بدون بيانات أخرى.

٣٢- الحكومة الإسلامية، تأليف: السيّد روح الله الخميني، الطبعة الثّالثة سنة ١٣٨٩هـ.

٣٣- الخرائج والجرائح، تأليف: قطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر:

مؤسسة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣٤- دراسات في الحديث والمحدثين، تأليف: هاشم معروف الحسيني، الناشر: دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٥- دراسات في نهج البلاغة، تأليف: محمد مهدي شمس الدين، دار الزهراء (ع) للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٣٦- دلائل الإمامة، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة في قم، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ.

٣٧- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف: الشيخ آقا بزرك الطهراني، الناشر: دار الأضواء بيروت

٣٨- رسالتان حول العصمة، تأليف: آية الله الشيخ لطف الله الصافي، منشورات دار القرآن الكريم في قم، سنة الطبع ١٤٠٣هـ.

٣٩- رسائل في دراية الحديث، تأليف: أبي الفضل حافظيان البابلي، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ.

٤٠- روضة المتقين شرح من لا يحضره الفقيه، تأليف: المولى محمد تقي المجلسي، تعليق: السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ علي پناه الإشتهاردي، الناشر: بنياد فرهنگ اسلامي حاج محمد حسين كوشانپور.

٤١- سعد السعود، تأليف: رضى الدين أبي القاسم على بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني الحسيني، الناشر: منشورات الرضى

- قم، سنة الطبع ١٣٦٣هـ.
- ٤٢- شبهة الغلو عند الشيعة، تأليف: الدكتور عبد الرسول الغفار، الناشر: دار المحجة البيضاء - دار الرسول الأكرم (ص).
- ٤٣- شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، تأليف: القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، تحقيق: آية الله السيد شهاب الدين النجفي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم - إيران.
- ٤٤- شرح أصول الكافي، تأليف: المولى محمد صالح المازندراني، تعاليف: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيّد علي عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٤٥- شرح الخطبة التطنجية، تأليف: آية الله السيد كاظم الحسيني الرشتي، إعداد: لجنة السيّد الأجدد، الناشر: جامع الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠١م.
- ٤٦- شرح العروة الوثقى، تأليف: آية الله الشيخ علي الغروي، الناشر: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ٤٧- شرح منهج الكرامة في معرفة الإمامة، تأليف: السيد علي الحسيني الميلاني، الناشر: مركز الحقائق، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨هـ.
- ٤٨- الشيعة في الميزان، تأليف: محمد جواد مغنية، الناشر: دار الشروق بيروت - القاهرة.
- ٤٩- الصحيح من سيرة الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَام (المرتضى من سيرة المرتضى)، تأليف: آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي، الناشر: ولاء

المنتظر (عج)، المطبعة: (دفتر تبليغات إسلامي)، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠هـ.

٥٠- الصحيفة السجّادية، الناشر: دفتر نشر الهادي - قم.

٥١- صراط النّجاة (استفتاءات لآية الله العظمى الخوئي مع تعليقة وملحق لآية الله العظمى التبريزي)، جمع: موسى مفيد الدين عاصي العاملي، الناشر: دفتر نشر برگزيده، المطبعة: سلمان الفارسي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ.

٥٢- الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م.

٥٣- عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، تأليف: آية الله الشيخ جعفر السبحاني، الناشر: مؤسّسة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام، المطبعة: اعتماد - قم، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٠هـ.

٥٤- العصمة: حقيقتها - أدلتها، إعداد: مركز رسالة سلسلة المعارف الإسلاميّة، الناشر: مركز الرسالة، المطبعة مهر - قم، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

٥٥- العصمة، تأليف: علي الحسيني الميلاني، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ.

٥٦- علم الإمام، تأليف: الشيخ علي حمود العبادي تقريراً لأبحاث آية الله كمال الحيدري، منشورات: دار فرقد للطباعة والنشر، المطبعة: ستاره، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٥٧- علم الإمام، تأليف: محمد حسين المظفر، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٢هـ -

.م ١٩٨٢

٥٨- عيون أخبار الرضا، تأليف: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقّب بـ(الصدوق)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥٩- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، تأليف: الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٦٠- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، تأليف: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني، بدون بيانات أخرى.

٦١- فرق الشيعة، تأليف: الحسن بن موسى النوبختي، الناشر: دار الأضواء - بيروت، سنة الطبع ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

٦٢- الفصول المختارة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي المعروف بـ(الشيخ المفيد)، تحقيق: السيد علي مير شريف، الناشر: دار المفيد بيروت - لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٦٣- الفصول المهمّة في أصول الأئمّة، تأليف: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، الناشر: المؤسسة معارف إسلامي إمام رضا (ع)، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ.

- ٦٤ - الفوائد الطوسية، تأليف: الشيخ محمد بن الحسن العاملي، تحقيق وتعليق: الحاج السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي، المطبعة العلمية - قم، سنة الطبع ١٤٠٣هـ.
- ٦٥ - القصاص على ضوء القرآن والسنة، تأليف: عادل العلوي تقريراً لأبحاث آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - قم، المطبعة: حافظ، سنة الطبع ١٤١٥هـ.
- ٦٦ - الكافي، تأليف: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، مرتضى آخوندي تهران - بازار سلطاني، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ.
- ٦٧ - كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار، تأليف: المحقق السيد اعجاز حسين النيسابوري الكنتوري، بدون بيانات أخرى.
- ٦٨ - كمال الدين وتمام النعمة، تأليف: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بـ(الصدوق)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم (إيران)، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.
- ٦٩ - كنز الفوائد، تأليف: أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي، بدون بيانات أخرى.
- ٧٠ - لمحات، تأليف: آية الله لطف الله الصافي الكلپايگاني، الناشر: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة.
- ٧١ - اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء، تأليف: المولى محمد

علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري، تحقيق: دار فاطمة  
للتحقيق - السيد هاشم الميلاني بمساعدة معاوينة شؤون التعليم والتحقيق  
في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الناشر: دفتر نشر الهادي، المطبعة:  
مؤسسة الهادي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هـ.

٧٢- مجموعة الرسائل، تأليف: آية الله لطف الله الصافي الكلپايگاني،  
الناشر: مؤسسة الإمام المهدي، سنة الطبع ١٤٠٤ هـ.

٧٣- المختصر، تأليف: الشيخ عزّ الدين أبي محمد الحسن بن  
سليمان بن محمد الحلّي، تحقيق: سيد علي أشرف، الناشر: انتشارات  
المكتبة الحيدرية، المطبعة: شريعت، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢ هـ -  
١٤٢٤ هـ.

٧٤- مختصر مفيد: أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة، تأليف: السيد  
جعفر مرتضى العاملي، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الأولى  
سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٧٥- مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر،  
تأليف: السيد هاشم بن سليمان البحراني، الناشر: مؤسسة المعارف  
الإسلامية، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، المطبعة: بهمن،  
الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ.

٧٦- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تأليف: المولى محمد باقر  
المجلسي، الناشر: دار الكتب الإسلامية تهران - بازار سلطاني، الطبعة  
الثانية سنة ١٤٠٤ هـ.

٧٧- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تأليف: الحاج ميرزا حسين

النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لإحياء التراث،  
الطبعة المحققة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٧٨- مستدرك سفينة البحار، تأليف: البحاثة الحاج الشيخ علي النمازي  
الشاهرودي، تحقيق وتصحيح: الحاج الشيخ حسن بن علي النمازي،  
النّاشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

٧٩- مستدركات أعيان الشيعة، تأليف: الشيخ حسن الأمين بن محسن  
الأمين، النّاشر: دار التعارف للمطبوعات بيروت.

٨٠- مستدركات رجال علم الحديث، تأليف: البحاثة الحاج الشيخ  
علي النمازي الشاهرودي، المطبعة: شفق - تهران، الطبعة الأولى سنة  
١٤١٢ هـ.

٨١- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ،  
تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير، تحقيق: الشيخ  
أحمد المحمودي، الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، المطبعة:  
سلمان الفارسي - قم، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هـ.

٨٢- مسند الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، تأليف: البحاثة الشيخ السيد حسن  
القبانجي، تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، منشورات مؤسسة الأعلمي  
للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

٨٣- المصايح في إثبات الإمامة، تأليف: حجة العراقيين أحمد حميد  
الدين الكرمانى، تقديم وتحقيق: مصطفى غالب، النّاشر: دار المنتظر،  
الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٨٤- مصباح الفقاهة، تأليف: محمد علي التوحيدى التبريزي تقريراً

لأبحاث آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، الناشر: مكتبة الداوري في قم، المطبعة العلمية في قم، الطبعة الأولى.

٨٥- مصباح الهداية في إثبات الولاية، تأليف: آية الله الحاج السيّد علي البهبهاني، إشراف: رضا الاستادى، الناشر: مدرسة دار العلم بأهواز، المطبعة: سلمان الفارسي بقم، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٨ هـ.

٨٦- مضمّار السبق في ميدان الصدق المعروف بـ(إقبال الأعمال)، تأليف: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ.

٨٧- المعالم المأثورة، تأليف: محمد علي الإسماعيل پور القمشه أي القمّي تقريراً لأبحاث آية الله العظمى الحاج ميرزا هاشم الأملي النجفي، المطبعة: المطبعة العلمية - قم، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ.

٨٨- معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨٩- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، تأليف: محمد تقي النّقوي القاييني الخراساني، بدون بيانات أخرى.

٩٠- المقنعة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بـ(الشيخ المفيد)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ.

٩١- الملل والنحل، تأليف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة

الطبع ١٤٠٤هـ.

٩٢- من لا يحضره الفقيه، تأليف: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ(الصدوق)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة الثانية.

٩٣- مناقب آل أبي طالب، تأليف: أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

٩٤- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تأليف: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، إيران - مشهد، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ.

٩٥- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تأليف: لمحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تصحيح وتهذيب: السيد إبراهيم الميانجي، الناشر: دار الهجرة إيران - قم، الطبعة الرابعة.

٩٦- مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

٩٧- موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، تأليف: حسين الشاكري، الناشر: الهادي - قم، المطبعة: ستاره، طبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ.

٩٨- موسوعة طبقات الفقهاء، إعداد: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، المطبعة: اعتماد - قم، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ.

- ٩٩- موسوعة مؤلفي الإماميّة، إعداد: مجمع الفكر الإسلامي، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي / معاونت آموزشی پژوهشی وزارت فرهنگ و ارشاد إسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ.
- ١٠٠- الميزان في تفسير القرآن، تأليف: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.
- ١٠١- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، تأليف: الفقيه المقداد السيوري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٠٢- نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، تأليف: السيّد علي الحسيني الميلاني، بدون بيانات أخرى.
- ١٠٣- النكت الاعتقاديّة، تأليف: محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقّب بـ(الشيخ المفيد)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، البعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١٠٤- نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، تأليف: الشيخ محمد باقر المحمودي، بدون بيانات أخرى.
- ١٠٥- نوادر المعجزات، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في قم، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ.
- ١٠٦- النوادر، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي، تحقيق وتقديم: السيّد محمد مهدي السيّد حسن الموسوي الخراسان، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ -

٢٠٠٨ م.

١٠٧ - الهداية في الأصول والفروع، تأليف: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ(الصدوق)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هـ.

١٠٨ - الوافي، تأليف: الحكيم العارف محمد محسن المشتهر بـ(الفيض الكاشاني)، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة في أصفهان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ.

١٠٩ - الولاية التكوينية لآل محمد عليهم السلام، تأليف: السيد علي عاشور، بدون بيانات أخرى.

## فهرس الموضوعات

٣٨٥.....	ملخص البحث
٣٨٨.....	المقدمة
٣٩٢.....	المبحث الأول: مقارنة قدرات الأئمة وخصائصهم بالثابت من ذلك للأنبياء
٣٩٤.....	الأمر الأول: العصمة
٤٠٢.....	الأمر الثاني: الآيات الدالة على صدقهم والمعروفة بـ(المعجزات)
٤٠٧.....	المبحث الثاني: العلم بين الأنبياء الكرام والأئمة الاثني عشر
٤١٠.....	أولاً: علم الشرائع
٤١٢.....	ثانياً: علم الغيب
٤٢٧.....	المبحث الثالث: تفضيل الأئمة على الأنبياء باستثناء محمد ﷺ
٤٣٨.....	الخاتمة
٤٤٠.....	ثبت المصادر والمراجع
٤٥٨.....	فهرس الموضوعات

**النصوص التوراتية  
بالوعد الإلهي وأرض الميعاد  
ومحاولة تهويد القدس  
عرض ونقد**

**د. أبوبكر عبد المقصود محمد كامل**

أكاديمي مصري، أستاذ مساعد بكلية الشريعة وأصول الدين، جامعة  
نجران بالسعودية، وكلية أصول الدين والدعوة، جامعة المدينة العالمية،  
ماليزيا



## ملخص البحث

حرّف اليهود ما في التوراة من تعاليم ونصوص بغية الاستيلاء على أرض فلسطين وغيرها، وحذفوا ما جاء عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بخصوص الوعد، مع أنه الابن البكر، وإن ما في التوراة عن حدود أرض إسرائيل قد تلاعبت به العقول، وحرفته أيديهم على امتداد سبعة قرون.

كما اعتقد اليهود بأن الله قد أمرهم بإزهاق الأرواح، وسفك الدماء في سبيل تحقيق ما فيه مصلحة بني إسرائيل دون العالمين، وزوّر اليهود حقائق التاريخ القديم لتتمشى مع أطماعهم وأحلامهم، باسم تفويض الرب إياهم، أو اختياره لهم، وإن فكرة إقامة دولة يهودية، أو مملكة إسرائيلية راودت عقول يهود السبي البابلي، فحرفوا وبدلوا النصوص؛ لتوافق خيالهم المريض، وإنه لا حقّ لليهود تاريخياً في فلسطين، يشهد بذلك ما يلي:

أ- أن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وبني إسرائيل الأوّل (الأسباط)، كانوا طارئين عليها، وقد عاشوا فيها غرباء.

ب- أن الوجود اليهودي في فلسطين لم يزد على أربعة قرون، وهي فترة لا تحسب شيئاً في عمر الزمن.

ج- أن اليهود قد تعرضوا للإبادة (القتل والأسر) على أيدي الكثير من الأمم المجاورة كالأشوريين، والمصريين، والبابليين، وأخيراً بالرومان الذين لم يُبقوا في المدينة من اليهود أحداً.

د- أن الوعد الإلهي (من النيل إلى الفرات) الذي ادّعوه لم يكتب له

التحقيق، والتنفيذ طوال التاريخ من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، بل حتى إلى عصرنا هذا، وإذا كان النص الأصلي صحيحاً فإن الوعد تحقق بنبي الإسلام وسيد الأنام محمداً ﷺ وبأفضل الأمم وهم المسلمون.

هـ- أن العهد أو الوعد الذي قطعه الرب مع أبرام هو الختان، بنص التوراة التي بين أيديهم.

- لا تقف المطامع الصهيونية عند حدود أرض فلسطين، بل تتطلع دومًا إلى قيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

- لا تمثل الصهيونية الحديثة الديانة اليهودية، بل هي نزعة سياسية استعمارية عنصرية تتخذ من التعاليم الدينية قناعًا للتمويه والتضليل.

- لم تكن قداسة أرض فلسطين لارتباطها بصهيون، أو علاقتها بالمسيح يسوع، بل لأنها منبت عقيدة التوحيد، ومن ثم طهارتها من مظاهر الشرك والوثنية، علمًا بأن هذه الطهارة ممتدة إلى يوم القيامة، وأن الوعد الإلهي بالإرث والتمكين في هذه الأرض المباركة من ثمرات الإيمان الصحيح، وقد تحقق لهذه الأمة الخاتمة، وأن ملكية المسلمين لهذه الأرض المقدسة حق مشروع بمقتضى إيمانهم بالرسالة الخاتمة؛ لإقامة دين الله فيها من جهة، والحفاظ على ميراث الأنبياء المسلمين السابقين من جهة أخرى يشهد بذلك التاريخ، والقرون الماضية.

د. أبو بكر عبد المقصود محمد كامل

abobkr75@yahoo.com

***The Texts in the Torah about the Divine Promise and the Promised Land and the Judaization of Jerusalem***

***Dr. Abu Bakr Abdul Maqsud Mohammad Kamil***

*Egyptian academic, assistant professor in the College of Sharia and Theology in Najran University, and assistant professor in the College of Theology and Da'wah in al-Madinah International University, Malaysia*

***Abstract***

*The Jews distorted the texts and the teachings in the Torah seeking to reign over the land of Palestine and other than it, and they removed parts of the Torah pertaining to Ismael about The Promise, even though he was the elder son. They have played with the minds for over seven centuries about what is mentioned in the Torah concerning the land of Israel boundaries.*

*The Jews also believed that Allah had ordered them to slaughter people and spill blood in order to achieve what benefits the children of Israel without concern for other than them. And they falsified the truths about the old history so that it coincides with their desires. All this, in the name of what they perceived as the Lord's will, and that He has chosen them. The idea of establishing a Jewish state or an Israeli Kingdom is something that the minds of the Jewish prisoners of Babylon were infatuated with, therefore they distorted the texts so that they agree with their twisted visions. There's no historic right for Jews over the land of Palestine as is evidenced by the following:*

*i) Ibrahim (Abraham), Ishaq (Isaac), Ya'qub ( Jacob) and his sons, came upon this land and lived therein as outsiders.*

*ii) The Jewish presence in Palestine didn't extend beyond four centuries - a negligible period amongst the ages.*

*iii) The Jews faced killing and persecution at the hands of many from amongst their neighbouring nations such as the*

*Assyrians, the Ancient Egyptians, the Babylonians and finally the Romans who didn't leave a single Jew in the city.*

*iv) The divine promise (the promised land - from the Nile river to the Euphrates river) that the Jews claimed was not materialised over the course of history - from the time of Ibrahim until the time of Sulayman, rather even until now. If the text was correct then this promise would have been realised by the prophet of Islam and leader of mankind, Muhammad (may Allah exalt his mention and send peace on him), and by the best of nations - the Muslims.*

*v) The promise that the Lord gave to Ibrahim was circumcision according to the very text of the Torah.*

*The visions of the Zionists do not stop at the borders of Palestine. Rather, they will persist until a Jewish state between the Nile and the Euphrates is reached.*

*Zionism does not represent Judaism. Rather, it's a political, imperial, discriminatory offshoot taken from the religious teachings and camouflaged by intentional misleading and misdirection.*

*The sacrosanctity of the land of Palestine is not due to its link with Zion or its link with Isa (Jesus), but rather, it owes this to the fact that it is a source of monotheistic faith, and secondly it's purity from the symbols of polytheism and idolatry. Bearing in mind that this purity will remain until the Day of Resurrection and that the divine promise of obtaining this blessed land is from the fruits of the correct belief. The dominion of the Muslims over these holy lands is a legislated right - owing to their belief in the final message (from Allah) - so that they may establish the religion of Allah on one hand, and so that they may preserve the heritage of the preceding Muslim prophets on the other hand. The history and the old generations bear witness.*

## مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فلقد أحبّ الله تعالى من خلقه أشياء وكرّمها وشرّفها، وندبنا إلى حبها وتقديسها وتشريفها، كالملائكة، والنبیین، والصدیقین، والشهداء، والصالحین، وأحبّ سبحانه من مخلوقاته أزماناً وفضلاً، وأمرنا بحبها وتكريمها وتفضيلها كشهر رمضان وليلة القدر، ويوم النحر ويوم الجمعة والثلاث الأخير من الليل.

وأحبّ الله عزّ وجل من مخلوقاته أماكن وقدسها، وأمرنا بحبها فأحب مكة المكرمة، وكعبتها المشرفة وقدسهما، وأحب المدينة المنورة ومسجدها وقدسهما، وأحب بيت المقدس ومسجدها الأقصى وقدسهما، ونحن نحب من خلق الله ما أحبه الله، ونختار من مخلوقاته ما اختاره الله وما اصطفاه.

ولأن الصراع والنزاع بين أهل الحق وأتباع الباطل متصل غير منقطع، ودائم لا يتوقف ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك، الأمر الذي دفعني إلى أن أكتب هذه الدراسة التي تعالج قضية مكان مبارك أحبه الله وقدسها، وأحبه أنبياء الله وأوليائه وقدسوه، ذلكم المكان المطهر هو بيت

المقدس والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

### أهمية الموضوع:

إن بيت المقدس هي الأرض المقدسة، وهي البقاع الطيبة المباركة، مهد الرسالات، وأرض الأنبياء، والشهداء، والحواريين، والصحابة، والأتقياء، مهبط الملائكة، أرض الرباط الدائم، والجهاد المتواصل إلى قيام الساعة ولا غرو!

أجل! فقد ارتبطت بالدين عقيدة وحضارة، وتكالت عليها القوى عبر مراحل التاريخ، وما زالت مسرحاً للأحداث الخطيرة والكبيرة، ومن هنا فإن قضية فلسطين ومسجدها هي قضية الأمس واليوم والغد، ومن ثمّ فالدفاع عنها دفاع عن الإسلام، ومقدسات ومصير أمة الإسلام؛ فهي الأرض التي جمعت بين خيرى الدنيا والآخرة؛ أرض المحشر والمنشر يوم يقوم الناس لرب العالمين<sup>(١)</sup>. وهي أرض الرسالات، ومهد النبوات، أرض هجرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، جمعت بين الرسالات الثلاث. وبها:

**المسجد الأقصى:** الذي بارك الله حوله، أولى القبلتين في صلاة المسلمين أتباع سيدنا محمد ﷺ، وثاني المسجدين في الأرض قاطبة، مع المسجد الحرام بمكة، وثالث ثلاثة مساجد تُشدُّ إليها الرحال مع المسجد

(١) لحديث مِيْمُونَةَ مَوْلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، اثْنَتَا فَضْلًا فِيهِ... الحديث رواه ابن ماجه في سننه (٤١٣/٢)، والبزار في مسنده (٣٨٢/٩)، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٣/١٢).

الحرام ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة، أُسري بنينا محمد ﷺ إليه، وصلى فيه إماماً بالأنبياء، وربط البراق في حلقة من حوائطه، بشر النبي ﷺ بفتحه، ورغب في زيارته وإتيانه وإرسال الزيت ليُسرج فيه، وأخبر ﷺ أن الصلاة فيه بخمسائة صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي، وصفه لأهل مكة وقد أراه الله إياه ينظر إليه، تسلّم عمر بن الخطاب مفاتيحه، وكتب عهد الأمان لسكان مدينته، دخله عمر من الباب الذي دخل منه النبي ﷺ ليلة الإسراء، وصلى في مقدمة المسجد في محراب داود، وطهر الصخرة من القمامة، اعتنى به الخلفاء الراشدون، والأمويون، والعباسيون، ومن بعدهم، حتى سقط في يد الاحتلال الصليبي في شعبان ٤٩٢ هـ / يونيو ١٠٩٩ م، فقتلوا نحوًا من سبعين ألفًا، وخرّبوا أثار المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وظلّوا يشيعون فيه الفساد إحدى وتسعين سنة إلى أن أذن الله بتحريره على يد صلاح الدين الأيوبي في رجب ٥٨٣ هـ / ١١٩٢ م، وظلّ في رعاية المسلمين حتى الدولة العثمانية، وخلافتها الإسلامية حتى دبّ المرض في جسدها، وانتشر الضعف بين ولاياتها، فلقت بالرجل المريض، وتحالفت دول الغرب مع الصهيونية لإنشاء وطن قومي يجمع شتاتها لمّا ضعفت الدولة العثمانية، وألغيت الخلافة الإسلاميّة.

وعقدت المؤتمرات وشكّلت المنظمات للعودة -في تصورهم- (إلى أرض الميعاد، وميراث الآباء المنحة الإلهية، ومسكن الحضرة الربانية)، وكانت هذه في أذهانهم أحلامًا سرعان ما تجسّدت حقائق عندما أعطوا وعد بلفور ١٩١٧ م بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وكانت هذه هي البداية،

فشجعوا الهجرات اليهودية، وكان الإرهاب الصهيوني بالإمداد الغربي حتى احتلوا القدس والضفة الغربية في ١٩٦٧م، ومن وقتها لعبت أصابع الصهيونية في بنيان ومقدسات الساحة المطهرة، التي تشمل المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، والمسجد العمري، فكانت الحفريات، والتنقيبات، وحريق المسجد الأقصى ١٩٦٩م؛ لمحاولة هدمه وتقويضه لإقامة هيكلهم المزعوم.

### الدراسات السابقة:

لقد ألفت في موضوع أرض الميعاد كثير من المؤلفات تتناول الجوانب والأبعاد السياسية، وهل هي حقيقة أم أسطورة، وكيف خطط الصهاينة لهذا الموضوع وساعدتهم القوى الغربية، كأرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة، وحمى سنة ٢٠٠٠، وهل سيهدم الأقصى، وغيرها، لكن الجديد في هذا البحث أنه قد تتبع كل النصوص التوراتية المتعلقة بالوعد الإلهي في العهد القديم والجديد، وقمت في هذا البحث بتفنيده هذه الوعود من خلال تفنيده هذه الوعود من العهد القديم نفسه والعهد الجديد والقرآن والسنة، ومن الجانب التاريخي أيضًا والقانوني والأثري؛ ليصل البحث في النهاية إلى النتائج التي توصلت إليها والمدونة في نهاية الفصل.

وقد جاء هذا البحث في فصلين:

الفصل الأول: ادعاء اليهود الوعد الإلهي (أرض الميعاد) ومحاولة تهويد القدس.

ويشتمل على خمسة مباحث:

- المبحث الأول: الوعد الإلهي من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
- المبحث الثاني: الشروط الإلهية للوعد الإلهي (أرض الميعاد) لبني إسرائيل.
- المبحث الثالث: الغاية والهدف من تملك اليهود أرض الميعاد.
- المبحث الرابع: قدسية أرض الميعاد وتراها في تصورات اليهود.
- المبحث الخامس: الوعد الإلهي وأرض الميعاد في فكر وعقيدة اليهود.
- الفصل الثاني: مناقشة النصوص التوراتية بالوعد الإلهي وأرض الميعاد.
- ويشتمل على أربعة مباحث:
- المبحث الأول: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الديني.
- المبحث الثاني: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب التاريخي.
- المبحث الثالث: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب القانوني.
- المبحث الرابع: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الأثري.
- الخاتمة: وتشمل، أهم المراجع ونتائج البحث والفهرس.



## الفصل الأول

### ادعاء اليهود بالوعد الإلهي بأرض الميعاد ومحاولة تهويد القدس

ويشتمل على خمسة مباحث:

- ✿ المبحث الأول: الوعد الإلهي من إبراهيم حتى سليمان  
عليهما السلام.
- ✿ المبحث الثاني: الشروط الإلهية والوصايا الربانية  
المرتبطة بالوعد الإلهي.
- ✿ المبحث الثالث: الغاية والهدف من الوعد الإلهي وحدود  
أرض الميعاد.
- ✿ المبحث الرابع: قدسية أرض الميعاد وترابها عند اليهود.
- ✿ المبحث الخامس: أرض الميعاد في فكر وعقيدة اليهود  
المعاصرين.

## المبحث الأول

## الوعد الإلهي من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

## ● تمهيد

لقد زعم اليهود أن الله قد أعطاهم ما يسمونه أرض الميعاد هبة مقدسة منه، كما زعموا أنهم شعب الله المختار، معتمدين في ذلك على نصوص من العهد القديم.

ومن هنا باتت الصهيونية الحديثة تحلم بإقامة إمبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم، وتستعبد الشعوب الإسلامية والنصرانية على السواء، معتمدين في ذلك على ما نسجته أسطورة أرض الميعاد من نسيج حاكته من سحب الماضي المتوغل في القدم، وجعلت سداه عقيدة الأرض الموعودة، ولُحمته بتغلغل هذه العقيدة، ورسوخها في صدور كل فرد من أفراد الجالية اليهودية.

وهذه العقيدة سواء أخفاها كل فرد من أفراد اليهود - اتقاءً وتسترًا -، أم جهر بها - تيهًا وتفاجرًا - هي القائلة بأن فلسطين هي منحة إلهية وملك أبدي؛ لتكون عاصمة لمملكة يهودية تشمل قاعدتها كل الرقاع المترامية من النيل إلى الفرات<sup>(١)</sup>، وقد قالها هرتزل<sup>(٢)</sup> (١٨٦٠ - ١٩٠٤ م) وليد الصهيونية البابلية،

(١) أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة. د/ محمد بيومي مهران، ص ١٢.

(٢) تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) صحفي يهودي نمساوي مَجْرِيٌّ، مؤسس الصهيونية المعاصرة، التحق هرتزل بكلية القانون وبدأت تتشكل أفكار هرتزل الصهيونية بالتفكير في المشكلة اليهودية، وألف كتاب: دولة اليهود الذي نشر سنة ١٨٩٦، والذي وضع

ومؤسس الصهيونية الغربية:

«قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسي أو قانوني أو تاريخي، ولكنها حق لنا على أساس حق ديني وروحاني»<sup>(١)</sup>، ومن ثم فالمشكلة دقيقة وحرجة؛ ذلك لاستناد الفكر الصهيوني في دعوته إلى المصدر الديني المحض ولاستمداد مادته من المدد العاطفي البحت، بل لاعتماد الصهيونية العالمية اعتماداً كلياً على هذين المصدرين مستهدفة من وراء ذلك امتلاك العالم عن طريق فلسطين أولاً، ومن بعدها بلاد الشرق الأوسط؛ لتقيم على أنقاضها الإمبراطورية اليهودية التي حلم بها (تيودور هرتزل) وليد الصهيونية البابلية والتي رسم رقعته علي صفحات كتابه «الدولة اليهودية»، والذي صدر عام (١٨٩٦ م)، والذي كان دون ما ريب حجر الأساس في افتعال دولة إسرائيل، وجرَّ على العالم هذه الجريرة بجرة قلم واحدة جاءت تقول: «إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ننساه»<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن هذا الكتاب شطحات فكرية، بل كان دليلاً للعمل الصهيوني، وآمنت الحركة الصهيونية بمضمونه، واعتبرته دستوراً لمستقبلها، وسارت على

---

حجر الأساس لظهور وتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية ١٨٩٧ وانتخاب هرتزل رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية. بعد ذلك بدأ هرتزل عدة مباحثات مع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠١، بحثاً عن مؤيدين للمشروع الصهيوني.

(١) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ألكار السقاف، ص ٣٥٨.

(٢) أرض الميعاد بين الحقيقية والأسطورة. د/ محمد بيومي مهران، ص ١٤٠.

خطى أفكاره حتى تم بناء الدولة اليهودية.

وقد قال بن جوريون<sup>(١)</sup> في تل أبيب في مارس سنة ١٩٤٢ م: «إن الصهيونية قد انتهت من وضع خطتها النهائية، وهو أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وأن اليهود لن يستغنون عن أي قسم من فلسطين حتى قمم الجبال وأعماق البحار»<sup>(٢)</sup>.

يقول هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية): «إن الدولة اليهودية ضرورية للعالم، ولذلك سوف تقوم، لعلّ شبابنا الطموح - وقد أصبح كلُّ طريق أمامه للتقدم مغلقاً - يرى هذه الدولة اليهودية مستقبلاً مشرقاً بالحرية والسعادة مفتوحاً أمامهم، فيحرص على نشر الفكرة، وإن نجاح الفكرة يعتمد فقط على عدد مؤيديها، وإن اليهود الذين يريدون الدولة اليهودية ستكون لهم وسوف يستحقونها، وإن فكرة استعادة الدولة اليهودية موعلة منذ القدم، والعالم يردد صيحات صاخبة ضد اليهود، وهذه الصيحات هي التي أيقظت الفكرة من سباتها»<sup>(٣)</sup>.

(١) بن جوريون: ولد ديفيد بن جوريون في بولنسك (بولندا الآن) التابعة لروسيا عام ١٨٨٦ م. وصف نفسه أنه صهيوني منذ ولادته، فمنذ الثالثة من عمره بدأ يتعلم العبرية وفي ذلك الوقت استمع من والده عن (أرض إسرائيل)، وهكذا تعلم بن جوريون من والده حباً واحداً هو حب صهيون.. وعندما كان في الرابعة عشر من عمره عام ١٩٠٠ أسس مع اثنين من رفاقه الرابطة الشبيبة (عيزرا). توفي ديفيد بن جوريون سنة ١٩٧٣ م إثر جلطة دماغية، عن عمر ناهز ٨٧ عاماً.

(٢) أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة. د/ محمد بيومي مهران، ص ١٢.

(٣) الدولة اليهودية. تيودور هرتزل، ص ٤٥.

ويناشد (هَرْتزل) اليهود، ويستنهض همهم، ويستحث عزائمهم، فيناديهم قائلاً:

«فيا إخواننا من اليهود هذه هي أرض الميعاد لا أسطورة هي ولا خرافة، وكل إنسان يستطيع أن يختبر حقيقتها بنفسه؛ لأن كل إنسان يحمل معه قطعة من أرض الميعاد بعضُها في رأسه، وبعضُها بين ذراعيه، وبعضها في ملكيته المكتسبة.

إن اليهود الذين يريدون الدولة اليهودية ستكون لهم، وسوف نحيا أخيراً رجلاً أحراراً على أرضنا وسنموت بسلام في بيوتنا، وسوف يتحرر العالم بتحررنا، ويغتني بثروتنا ويعظم بعظمتنا»<sup>(١)</sup>.

إن المنطق الصهيوني العالمي الذي يرسل اليوم على مسمع العالم فحيحه سعيّاً يصبح: (إن فلسطين هي أرض اليهود) الذين يعتبرون أنفسهم سلالة إسرائيل، وأنهم مهما تباينت جنسياتهم، واختلفت أصولهم عبريون.

### ● **المطلب الأول: الوعد الإلهي وأرض الميعاد مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ**

إنَّ زعم الصهيونية وادّعاءها الحق في امتلاك فلسطين إنما هو حجة لا تقوم إلا على أساس من القول بأن أرض فلسطين هي الوطن التاريخي لبني إسرائيل، وأنها قد مُنحت لهم منحةً إلهيةً أبدية، وأنها وعدٌ - في زعمهم - منَّ الله به عليهم، اعتماداً على قدسية التوراة عند المؤمنين بها.

(١) الدولة اليهودية. ص ١٣٢.

ولتكن بدايتنا مع الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ينسب إليه اليهود أسطورة وعدهم المقدّس، وتحدثنا التوراة أن إبراهيم قد خرج من حاران، وأخذ معه ساراي امرأته، ولوطاً ابن أخيه، وكل مقتنياتهم، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتوا إلى أرض كنعان، واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم<sup>(١)</sup> إلى بلوطة مورة<sup>(٢)</sup>، وكان الكنعانيون هناك: «فأخذ أبرام ساراي امرأته، ولوطاً ابن أخيه، وكل مقتنياتهما التي اقتنيا، والنفوس التي امتلکا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لأبرام، وقال: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للربّ الذي ظهر له»<sup>(٣)</sup>.

ففي هذا النص وعد لإبراهيم في بلوطة مورة.

### ● المطلب الثاني: بداية حدود الأرض الموعودة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأول مرة تحدثنا التوراة أن جزءاً محدداً من فلسطين قد أصبح هو الأرض الموعودة: «وظهر الرب لأبرام، وقال: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذه الأرض،

(١) شَكِيم: اسم عبري معناه: كتف أو منكب، وهي مدينة لها سور، عند سفح جبل جرزيم على أرض افرايم المرتفعة. قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٠.

(٢) بلوطة مورة: اسم كنعاني معناه: بلوطة المعلم وهو موضع بقرب شكيم وجبل عيبال وجزيم مرجع سابق ص ٣٢٠.

(٣) سفر التكوين: ١٢ / ٥-٧.

فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل<sup>(١)</sup> ونصب خيمته، فبنى هناك مذبحاً للرب، ودعا باسم الرب، ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب<sup>(٢)</sup>، ويبقى إبراهيم ما شاء الله له أن يبقى في أرض كنعان، ثم يرحل عنها إلى أرض النيل بسبب مجاعة حلت بأرض الكنعانيين: «وحدث جوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر؛ ليتغرب هناك»<sup>(٣)</sup> حيث يبقى في أرض الكنانة حيناً من الدهر يعود بعدها، وقد أفاء الله عليه من خيرها.

ويستقر إبراهيم في أرض كنعان ومع وعد إلهي جديد: «وقال الرب لأبرام: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيتها ولنسلك إلى الأبد»<sup>(٤)</sup>.

وفي سفر التكوين يوجد نصُّ يزيد في رقعة الأرض: «قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيتها، فنقل أبرام خيامه، وأتى وأقام عند بلوطات

(١) بيت إيل: اسم عبري معناه-بيت الله-، نصب أبرام خيمته في الأراضي المرتفعة قرب بيت إيل، ورأى هناك رؤياه العظيمة، فدعا اسم المدينة حينئذ بيت إيل، وذلك لأن الله ظهر له في تلك الليلة، أما موقع المدينة فالى شرقي خط يمتد من أورشليم إلى نابلس على بعد واحد من كلتا المدينتين، وكانت قديماً محل إقامة ملوك الكنعانيين. قاموس الكتاب المقدس ص ٨٠.

(٢) سفر التكوين: ١٢/٧-٩.

(٣) سفر التكوين: ١٢/١٠.

(٤) سفر التكوين: ١٣/١٤، ١٥.

مَمْرًا التي في حبرون، فبنى هناك مذبحًا للرب»<sup>(١)</sup>، ويشكو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ربه أنه ليس له وارث من صلبه، وأن الذي سيرثه إنما هو إيعازر الدمشقي<sup>(٢)</sup> (أمين داره): «فإذا كلام الرب إليه قائلاً: لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك، ثم أخرجه إلى خارج، وقال: انظر إلى السماء وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تُعَدَّهَا، وقال له: هكذا يكون نسلُك»<sup>(٣)</sup>، ثم ينتقل الحديث من الوعد إلى الميثاق؛ ليزيد من رقعة الأرض الموعودة إلى مساحات شاسعة: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلاً: لِنَسْلِكَ أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»<sup>(٤)</sup>.

وهذا النص بالأخص يُعتبرُ الأساسَ الدينيَّ لمطلب اليهود بفلسطين، وإلى السموم التي ينفثها متعصبة اليهود من أن دولتهم الموعودة لا بدَّ أن تشمل كل البقاع، حتى اتخذوا من هذا النص: «هذه أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل» شعارًا لهم على الكنيست<sup>(٥)</sup>، ويحقق الرب وعده لأبرام، فيهبه نسلًا من زوجته هاجر المصرية: «فولدت هاجر لأبرام ابنًا، ودعا أبرام

(١) سفر التكوين: ١٣/١٧، ١٨.

(٢) لعازر: اسم عبري وهو مختصر إيعازر من يعينه يهوه. المسكن المذكور في مثل الغني والمسكين وعند موتها رفع المسكين إلى حضن إبراهيم وأما الغني فذهب إلى الهاوية أي جهنم. قاموس الكتاب المقدس ص ٣٢٠.

(٣) سفر التكوين: ١٥/٤٥.

(٤) سفر التكوين: ١٥/١٨.

(٥) أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة. د/ محمد بيومي مهران. ص ١٨.

اسم ابنه الذي ولدته هاجر: إسماعيل»<sup>(١)</sup>.

واقترن الوعد بمولد إسماعيل فهو الذي أشارت إليه التوراة بقولها: «الذي يخرج من أحشائك هو يرثك»<sup>(٢)</sup>، وهذا النص لا ينطبق إلا على إسماعيل؛ لأن إبراهيم حتى هذه المرحلة ولمدة أربع عشرة سنة أخرى بعد ذلك لم تكن له ذرية سوى إسماعيل فقط.

ثم ظهر الرب بعد ذلك لإبراهيم ليعقد معه عهداً: «فاجعل عهدي بيني وبينك، وتكون أباً لجمهور من الأمم، فلا يُدعى اسمك بعدُ أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم، وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك؛ كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم»<sup>(٣)</sup>، والعهد الذي أوجبه الربُّ على إبراهيم هو الختان: «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم: ابن ثمانية أيام يختن منكم؛ كلُّ ذكر»<sup>(٤)</sup>.

### ● المطلب الثالث: الوعد الإلهي أرض الميعاد مع إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ

تحوّل الوعد من إبراهيم ونسله الوحيد إسماعيل في التوراة إلى إسحاق الذي لم يكن الابن الموعود، فضلاً عن أن يكون الابن الموجود: «وقال

(١) سفر التكوين: ١٦/١٥.

(٢) سفر التكوين: ١٥/٤.

(٣) سفر التكوين: ١٧/٢٨.

(٤) سفر التكوين: ١٧/١٠.

إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأمّا إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه، ها أنذا أباركه وأثّمره وأكثره كثيراً جداً وأجعلهم أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية»<sup>(١)</sup>، وهكذا نجد في سفر التكوين استبعاد إسماعيل وأبنائه من بعده من حقوق الوعد الذي تلقاه إبراهيم من الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن البكر هو إسماعيل وليس إسحاق، ومن البديهي أن التوراة حرمت من الوعد كذلك أبناء إبراهيم من قطورة الكنعانية: «وعاد إبراهيم فأخذ زوجةً اسمها قطورة، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان وبشباق وشوحا»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا جاء الحرمان من الوعد الإلهي على كل أبناء إبراهيم ما عدا إسحاق: «وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأمّا بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم، فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرّفهم عن إسحاق ابنه شرّقاً إلى أرض المشرق وهو بعدُ حي»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا تجعل التوراة كل أبناء إبراهيم عدا إسحاق أبناء سراري، هذا فضلاً عن أنه إنما يُسبغ على إسحاق وحده لقب ابنه؛ أي: ابن إبراهيم، أما بقية إخوة إسحاق من أبناء إبراهيم إنما ينسبهم إلى أمهاتهم، بل لا يدعوهم

(١) سفر التكوين: ١٧/١٨-٢١.

(٢) سفر التكوين: ٢٥/١٢.

(٣) سفر التكوين: ٢٥/٥-٦.

إلا أبناء السراري: «إذا كان لرجل امرأتان؛ إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له بنين، المحبوبةُ والمكروهةُ، فإن كان الابنُ البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ما كان له؛ لا يحل له أن يقدم ابنَ المحبوبة بكرًا على ابنِ المكروهة البكر، بل يعرف ابنَ المكروهة بكرًا؛ ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده؛ لأنه هو أول قدرته، له حق البكورية»<sup>(١)</sup>.

وتمر الأيام ويلجأ الإسرائيليون للذهاب إلى جرار بسبب الجوع:

«وظهر له الرب، وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك تتغرب في هذه الأرض، فأكون معك، وأباركك؛ لأنني لك ولنسلك أعطي جميع هذه الأرض، وأني بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي، فأقام إسحاق في جرار»<sup>(٢)</sup>.

### ● المطلب الرابع: الوعد الإلهي أرض الميعاد مع يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

تذكر التوراة أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر هي أيام غربته، وأنهم سيستعبدون فيها قرونًا أربعة: «ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات، فقال لأبرام: اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست

(١) سفر التثنية: ١٥/٢١-١٧.

(٢) سفر التكوين: ٢٦/١-٥. وجرار: اسم عبري معناه جرة، وهي: مدينة قديمة شهيرة جنوب

فلسطين على بعد ثمانية أميال من جنوب شرقي غزة، احتلها الفلسطينيون قديمًا، وهذه المدينة

أتى إليها كل من إبراهيم وإسحاق بسبب الجوع. قاموس الكتاب المقدس: ص ٢٥٤.

لهم، ويُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ، فَيُذَلُّونَهُمْ أَرْبَعِمِئَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ الْأُمَّةَ الَّتِي يَسْتَعْبَدُونَ، أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلَاقٍ جَزِيلَةٍ، وَأَنْتَ فَتَمَضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلَامٍ، وَتَدْفَنُ بِشِيْبَةِ صَالِحَةٍ»<sup>(١)</sup>.

الرب يظهر ليعقوب في أرض الميعاد «حاران»<sup>(٢)</sup>:

«فخرج يعقوب من بئر سبع»<sup>(٣)</sup>، وذهب نحو حران، واضطجع في ذلك المكان، وهو ذا الرب، واقفاً ورأى حلمًا؛ وإذا سلمٌ منصوبة على الأرض، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيتها لك ولنسلك، وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض؛ لأنني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به»<sup>(٤)</sup>.

الرب يظهر ليعقوب حين جاء من فدان أرام (بيت إيل): «وظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان أرام وباركه، وقال له الله: اسمك لا يُدعى فيما

(١) سفر التكوين: ١٥/١٣-١٥.

(٢) حاران: اسم من أصل أكادي معناه (طريق، قافلة) وهي مدينة بين النهرين، على نهر بليخ، فرع للفرات، وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق. وكانت مركزاً تجارياً، وقد اتخذت إله القمر إلهاً لها. قاموس الكتاب المقدس ص ٨٥.

(٣) بئر سبع: كلمة عبرية معناها: بئر السبع أو بئر القَسَم دعيت هكذا بسبب إعطاء إبراهيم سبع نعاج لأبيمالك شهادة على حفره إياها، ومن بعده رجع إسحاق إلى نفس الموضع وجدّ البئر، وأطلق اسم البئر على المدينة التي نشأت حولها، وهي تبعد عن حبرون نحو ثمانية وعشرين ميلاً إلى الجهة الجنوبية. قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥.

(٤) سفر التكوين: ٢٨/١٠-١٥.

بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق؛ لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أُعطي الأرض، ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل»<sup>(١)</sup>.

يعقوب ينزل مصر: «فارتحل إسرائيل وأتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق، فكلم الله إسرائيل، وقال يعقوب يعقوب، فقال: هأنذا، فقال: أنا الله إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر؛ لأنني أجعلك أمة عظيمة هناك أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضًا، ويضع يوسف يده على عينيك، وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم، وأخذوا مواشيهم ومقتنياتهم الذي اقتنوا في أرض كنعان، وجاؤوا إلى مصر، يعقوب وكل نسله معه»<sup>(٢)</sup>.

يعقوب يفارق الحياة ويوصي يوسف ابنه: «وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان، وعاش في أرض مصر سبع عشرة سنة، ولما قربت أيام إسرائيل أن يموت دعا ابنه يوسف، وقال له: لا تدفني في مصر، بل أضطجعني مع آبائي وتدفني في مقبرتهم»<sup>(٣)</sup>، «وقال يعقوب ليوسف: الله القادر على كل شيء، ظهر لي في لوز أرض كنعان وباركني، وقال لي: ها أنا أجعلك مثمرًا، وأكثرك وأجعلك جمهورًا من الأمم، وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكًا أبدياً»<sup>(٤)</sup>.

(١) سفر التكوين: ٣٥/٩-١٥. مختصرًا.

(٢) سفر التكوين: ٤٦/١٦.

(٣) سفر التكوين: ٤٧/٢٧-٣٠.

(٤) سفر التكوين: ٤٨/٣٤.

يوسف يجدد الوصية بالوعد الإلهي: «وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه، وقال يوسف لإخوته: أنا أموت، ولكن الله سيفتقدكم فيصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلاً: الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا، فحنطوه ووُضع في تابوت في مصر»<sup>(١)</sup>.

### ● المطلب الخامس: الوعد الإلهي وأرض الميعاد مع موسى وداود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

تمر الأوقات ويلجأ بنو إسرائيل إلى أرض الكنانة هرباً من قحط أصاب أرض كنعان، وهناك يلقون ضيافة كريمة، فينعمون بخيرات أرض النيل، ولكنهم سرعان ما يقبلون ظهر المجنّ لمن أكرم ضيافتهم، ويرسل الله تعالى نبيه الكريم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون طالباً منه إطلاق بني إسرائيل، ويخرج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ببني إسرائيل من مصر إلى سيناء.

وتعود التوراة لتكرّر الوعد الإلهي مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فتقول: إن الرب خاطب موسى: «فقال الرب لموسى: الآن تنظر ما أنا فاعل بفرعون، وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله على كل شيء، وأيضاً أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها، وأنا أيضاً قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين سيستعبدهم المصريون، وتذكرت عهدي وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق

(١) سفر التكوين: ٥٠/١٤-٢٢.

ويعقوب، وأعطيتكم إياها ميراثاً أنا الرب، فكلم موسى هكذا بني إسرائيل، ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية»<sup>(١)</sup>.

ثم تخصص التوراة موسى بالوعد والمكان هو وشعبه وراثته من بعد الآباء، وتستبعد أصحاب الأرض وسكانها من كنعانيين، وأموريين، وحيثيين، ويوسيين: «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ اصْعَدْ مِنْ هُنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. وَأَنَا أُرْسِلُ أَمَامَكَ مَلَكَ، وَأَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، إِلَى أَرْضِ تَفِيضِ لَبْنًا وَعَسَلًا»<sup>(٢)</sup>.

ونعود بالوعد إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث لا يقتصر الوعد مع الآباء فقط، بل هو معهم أيضاً: «ودعا موسى جميع إسرائيل، وقال لهم: اسمع يا إسرائيل الفرائض والأحكام، الرب إلها قطع معنا عهداً في حوريب<sup>(٣)</sup> ليس مع آبائنا قطع العهد، بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعاً أحياء، وجهاً لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار»<sup>(٤)</sup>.

(١) سفر الخروج: ٦/٢٩.

(٢) سفر الخروج: ٣٣/١٠.

(٣) حوريب هو سيناء: اسم جبل يطلق عليه أيضاً جبل حوريب واسم البرية المحيطة بهز ويذكر الكتاب المقدس بركة سيناء وجبل سيناء ٣٥ مرة، وفي ١٧ مرة تسمى حوريب وقد قضى العبرانيون عند هذا الجبل سنة في طريقهم من مازة والبحر الأحمر. قاموس الكتاب المقدس ص ١١٥.

(٤) سفر التثنية: ٥/١ - ٤.

ويذكر سفر التثنية أن الوعد كان للآباء وذرياتهم من بعدهم خاصة قوم موسى: «وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات انظر قد جعلت أمامكم الأرض، ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم»<sup>(١)</sup>.

ويذكر الله عز وجل موسى بنعمه، وأفضاله، وبالعهد الذي منحه إياه، وحذره من نسيان أوامر الرب ووصاياه: «ومتى أتى إلهك إلى الأرض التي حلف لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك إلى مدن عظيمة لم تبناها وبيوت مملوءة كلّ خير لم تملأها وآثارًا محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها فأكلت وشبعت، فاحترز لئلا تنسى الرب الذي أخرجك من أرض العبودية»<sup>(٢)</sup>.

أرض الميعاد وداود عَلَيْهِ السَّلَام: من ذرية إبراهيم تختار التوراة إسحاق، ومن نسل إسحاق تختار يعقوب، ومن بني يعقوب (إسرائيل) تختار سبط يهوذا، ثم بيت داود لتصل في نهاية المطاف إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: «حيثُذ في ذلك اليوم جعل داود يحمد الرب، يا ذرية إسرائيل عبده وبني يعقوب مختاريه، هو الرب إلهنا في كل الأرض أحكامه، اذكروا إلى الأبد عهده؛ الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل، الذي قطعه مع إبراهيم وقسمه لإسحاق، وقد أقامه ليعقوب فريضة، ولإسرائيل عهدًا أبدًا قائلاً: لك أعطي

(١) سفر التثنية: ١٨/١.

(٢) سفر التثنية: ٦/١٠-١٢.

أرض كنعان جبل ميراثكم»<sup>(١)</sup>. وخاطبهم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: «وقد اختارني الرب إله إسرائيل من كل بيت أبي لأكون ملكاً على إسرائيل إلى الأبد؛ لأنه إنما اختار يهوذا رئيساً ومن بيت يهوذا بيت أبي ومن بني أبي سربي ليملكني على كل إسرائيل والآن في أعين كل إسرائيل محفل الرب، وفي سماع إلها احفظوا واطلبوا جميع وصايا الرب إلهكم؛ لكي ترثوا الأرض الجيدة وتورثوها لأولادكم بعدكم إلى الأبد»<sup>(٢)</sup>.

## المبحث الثاني

### الشروط الإلهية للوعد الإلهي (أرض الميعاد) لبني إسرائيل

#### ● تمهيد

لقد كان الوعد بأرض الميعاد لبني إسرائيل بشروط ووصايا، وبقاء الوعد لهم مشروطاً ببقاء صلاحهم والمحافظة على وصايا الرب، وإذا تخلفوا عن وصايا الرب زال عنهم الوعد الإلهي، وها هي الشروط: «جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها؛ لكي تحبوا وتكثروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم، وتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في الفقر»<sup>(٣)</sup>.

(١) سفر أخبار الأيام الأول: ١٦/١٣-١٨.

(٢) سفر أخبار الأيام الأول: ٢٨/٤٨.

(٣) سفر التثنية: ٨/١٣.

## ● المطلب الأول: دخول الإسرائيليين أرض كنعان لكثرة إثم أهل كنعان

إن بني إسرائيل ما أمروا بدخول الأرض المقدسة لأنهم شعب الله المختار، كما زعموا؛ وإنما دخلوها بسبب آثام وذنوب تلك الشعوب ولتحقيق خلافة الله في أرضه بإقامة دينه وعبادته سبحانه، جاء في سفر التثنية: «ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفني بالكلام الذي أقسم الرب عليه لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها؛ لأنك شعب صلب الرقبة»<sup>(١)</sup>.

ورغبهم في العودة إلى حفظ وصاياهم والعمل بها: «فالآن يا إسرائيل تعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك وتحبه وتسلك في كل طرقه وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لخيرك، إنما التصق الرب بأبائك ليحبهم، فاختر من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب»<sup>(٢)</sup>.

## ● المطلب الثاني: بقاء أرض الميعاد والوعد الإلهي بحفظ وصايا الرب

أخبر الله بني إسرائيل أن العهد الذي قطعه معهم لا بقاء له إلا بحفظهم لوصاياهم:

«يأمر لك الرب بالبركة في خزائنك، وفي كل ما تمتد إليه يدك، ويباركك

(١) سفر التثنية: ٩/٦.

(٢) سفر التثنية: ١٠/١٢-١٤.

في الأرض التي يعطيها الرب إلهك، يقيمك الرب لنفسه شعباً مقدساً كما حلف لك إذا حفظت وصايا الرب إلهك وسلكت في طرقه، فيري جميع شعوب الأرض أن اسم الرب قد سُمِّي عليك ويخافون عليك، ويزيدك الرب خيراً في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك، وثمرة أرضك التي حلف الرب لآبائك أن يعطيك»<sup>(١)</sup>.

وحذرهم الله من الانحراف وعبادة الأصنام، فإن فعلوا ذلك فإنه سيعاقبهم كما عاقب من قبلهم: «إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناءكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي؛ فرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فأني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي»<sup>(٢)</sup>.

«وقال الرب لي: توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين الذين أبوا أن يسمعوا كلامي، وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها، قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم. قال الرب: ها أنذا جالب عليهم شرّاً لا يستطيعون أن يخرجوا منه ويصرخون إليّ فلا أسمع لهم»<sup>(٣)</sup>.

### الوصايا العشر:

ذكرت التوراة وصايا الرب والتي تتفق فيها مع جميع الرسالات السماوية

(١) سفر التثنية: ٢٨/٨-١١.

(٢) سفر الملوك الأول: ٩/٦٩.

(٣) سفر إرميا: ١١/١٠-١٢.

الصحيحة: «لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ سِوَايَ. لا تصنعُ لكِ تَمَثالًا مَنحوتًا ولا صورةَ شيءٍ مِمَّا في السَّماءِ ولا مِمَّا في الأرضِ مِنْ تَحْتِ. لا تسجدُ لها ولا تَعْبُدُها. لا تَحْلِفُ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ باطلاً. اذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ وَكِرْسَهُ لِي. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِيَطُولَ عُمُرِكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ. لا تَقْتُلْ. لا تَزْنِ. لا تَسْرِقْ. لا تشهَدُ على غيرِكَ شَهَادَةً زُورٍ. لا تشتهِ بيتَ غيرِكَ. لا تشتهِ امرأةَ غيرِكَ ولا عبدهُ ولا جاريتهُ ولا ثورَهُ ولا حمارَهُ ولا شيئاً مِمَّا لَهُ»<sup>(١)</sup>.

### ● المطلب الثالث: الوعد الإلهي في العهد الجديد وتحذيرات المسيح

«لما كانت أمة النصارى قد ورثت أمة اليهود، فإن النصارى نظروا إلى أنفسهم على أنهم الشعب المختار الثاني، فهم كانوا من بني إسرائيل أيضًا، وقد نظروا إلى اليهود بعد كفرهم بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أنهم أمة مرتدة كافرة، ولهذا فهم أولى بوراثة المقدسات من اليهود ومن أجل ذلك فقد ظلوا مدة من التاريخ ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ورثة الوعد الإلهي»<sup>(٢)</sup>.

ينتظر اليهود مسيحهم الموعود، وكذلك النصارى ينتظرون مسيحًا موعودًا، وكل فريق لا يؤمن بمسيح الآخر، ولما كانت الأهداف مشتركة والنتيجة واحدة هو (حكم العالم من صهيون، ومن الهيكل والبقعة المقدسة) تعاون الفريقان اليهود والنصارى تحت مسمى الصهيونية؛ لتحقيق هذا الهدف المشترك.

(١) سفر الخروج: ٢٠/١٨ مختصرًا.

(٢) حمي سنة ٢٠٠٠ د/ عبد العزيز مصطفى كامل. ص ٢٣.

وقد ظهر ذلك جلياً في أثناء الحروب الصليبية، لما جيشت أوربا الصليبية جيوشها لاحتلال القدس والعالم الإسلامي وفق نصوص الوعد الإلهي، وأملاً في حكم العالم من جبل صهيون، وهذه بعض النصوص.

### نصوص الوعد الإلهي في العهد الجديد وتحذيرات المسيح:

لقد حذر عيسى قومه من الانحراف عن وصايا الرب حتى لا يطردوا من ملكوت الله: «قال لهم يسوع الحق أقول لكم: إن العشاريين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به، وأما العشارون والزواني فآمنوا به؛ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم وتعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه»<sup>(١)</sup>.

وتأكيداً لوعد الآباء ووراثته قال لهم: «فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد وورثته»، «فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم، بل ببر الإيمان؛ لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثته، فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد؛ لأن الناموس ينشئ غضباً إذ حيث ليس ناموسٌ ليس أيضاً تعدُّ»<sup>(٢)</sup>.

وقد قام بابا الفاتيكان بزيارات إلى الأماكن المسيحية في أور بالعراق، حيث ميلاد إبراهيم صاحب الوعد، ثم إلى جبل الطور الذي كلم الله موسى

(١) سفر إنجيل متى: ٢١/٤٣-٤٤.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل غلاطية: ٣/٢٩، رسالة بولس إلى أهل رومية: ٤/١٤-١٨.

عليه، ثم إلى مدينة بيت لحم حيث ميلاد عيسى، ثم قال: «أشعر برغبة جامحة في الصلاة في تلك المناطق المقدسة التي ترك الله فيها آثاره، والتي كنت أود زيارتها منذ كنت أسقفًا عام ١٩٦٥م»<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثالث

#### الغاية والهدف من تملك اليهود أرض الميعاد

##### ● تمهيد

إن من حكمة الله أن يرسل الله لكل أمة نبيًا بشيرًا ونذيرًا؛ ليبليغهم شرعه ويؤيده الله عز وجل بالمعجزات، ويجعل له حواريين وأنصارًا، ويعده بالنصر والتمكين هو وأتباعه من بعده، وجعل الله الدعوة واجبة على أتباع كل نبي آمنوا به، وحملوا رسالته، وأمرهم أن يسيحوا في الأرض؛ لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة، ولكن الوضع يختلف عند بني إسرائيل، فهم يعتقدون أن الله منحهم الأرض ملكًا أبديًا؛ لإبادة البشر لا لدعوتهم وهدايتهم: «وكلم الرب موسى: كلم بني إسرائيل، وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتنحتون جميع تصاويرهم، وتبديدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون جميع مرتفعاتهم، تملكون الأرض وتسكنون فيها؛ لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها»<sup>(٢)</sup>.

(١) جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٥/٧/١٩٩٩م.

(٢) سفر العدد: ٣٣/٥٠-٥٥.

## ● المطلب الأول: ضرب الفلسطينيين بالسيف وحرقتهم بالنار

إن اعتقاد اليهود في أرض الميعاد أنهم ملكوها؛ لضرب أهلها بالسيف، وحرقتهم بالنار:

«فصرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرقها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد، لا تُبنى بعد، ولا يلتصق بيدك شيء من محرم؛ لكي يرجع الرب من حمو غضبه، ويعطيك رحمة ربك، ويكثرك كما حلف لآبائك»<sup>(١)</sup>.

وليحرقوا البلاد على أهلها ويستعبدوهم: «وأما مدن هؤلاء الشعوب فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرقها تحريقاً الحثين والأموريين والكنعانيين والفرزيين واليبوسيين»<sup>(٢)</sup>.

وليحرقوهم: «فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجوا راحاب وأباها وأمها وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، أما الفضة والذهب وآنية النحاس جعلوها في خزانة بيت الرب»<sup>(٣)</sup>.

«وأنتم تقومون من المكمن وتملكون المدينة ويدفعها الرب إلهكم، ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تُضرمون المدينة بالنار كقول الرب

(١) سفر التثنية: ١٣/١٥-١٨.

(٢) سفر التثنية: ٢٠/١٢، ١٦.

(٣) سفر يشوع: ٦/٢٣-٢٥.

تفعلون، انظروا قد أوصيتكم، ولم يبق في عاي أو في بيت إيل رجل لم يخرج وراء إسرائيل، فتركوا المدينة وسعوا وراء إسرائيل»<sup>(١)</sup>.

### ● المطلب الثاني: حدود أرض الميعاد

يتمسك اليهود بالنص التوراتي الذي ورد في سفر التكوين لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»<sup>(٢)</sup> على أن هذه الأرض المقدسة ملكهم، وكتبه على الكنيسة الإسرائيلي، وقد صرح بذلك بنُ جوريون رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق صراحة، فقال: «قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسي أو قانوني، ولكن فلسطين لنا على أساس حق روحاني، فهي الأرض التي وعدنا بها وأعطانا الله إياها».

فما هي حدود هذه الأرض؟ أول حدود الأرض الموعودة، وبدايتها كانت في حاران: «فأخذ إبراهيم ساراي امرأته ولوطاً، وكل مقتنياتهما التي امتلکا في حاران»<sup>(٣)</sup>، وتمتد أرض الميعاد لتشمل شكيم (نابلس) إلى بلوطة مورة: «واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة وظهر الرب لأبرام، وقال: لنسلك أُعطي هذه الأرض»<sup>(٤)</sup>.

تجاوزت حدود الأرض الموعودة إلى بيت إيل: «ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل، ونصب خيمته، وله بيتٌ إيل من المغرب وظهر

(١) سفر يشوع: ٨/ ١٥-١٧.

(٢) سفر التكوين: ٨/ ١٥.

(٣) سفر التكوين: ١٢/ ٥.

(٤) سفر التكوين: ١٢/ ٨.

الرب لأبرام، وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض»<sup>(١)</sup>.

واتسعت رقعة أرض الميعاد: «لنسلك أعطي هذه الأرض؛ من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»<sup>(٢)</sup>.

وبتحديد أبعاد الأرض الموعودة نعود إلى هذه النصوص: «هذا الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل، في عبر الأردن، في البرية، في العربة، قبالة (سوف) بين (فاران) و(توفل) و(لابان) و(حضيروت) وذو ذهب، أحد عشر يوماً من (حوريب) على طريق جبل سعير إلى (قادش برنيع)»<sup>(٣)</sup>.

ففي النص السابق أن الحد الشرقي يشمل بعض قرى الأردن.

-وتشمل أرض تركيا ولبنان: «تحولوا ارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات، تمتلكون الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم»<sup>(٤)</sup>.

كما كلمت موسى؛ من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس»<sup>(٥)</sup>.

(١) سفر التكوين: ٩/١٢.

(٢) سفر التكوين: ٨/١٥.

(٣) سفر التثنية: ١٢/١.

(٤) سفر التثنية: ١/٥٩.

(٥) سفر يشوع: ١/٣-٤.

وتشمل دمشق بسوريا: «وحيّ من جهة دمشق، هو ذا، دمشق تُزال من بين المدن، ونزول الحصن من أفرايم، والملك من دمشق، وبقية أرام فتصير كمجد بني إسرائيل»<sup>(١)</sup>.

كما تضم الحدود إليها حماة بسوريا: «ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماة، وتكون مخارج التخّم إلى صدد»<sup>(٢)</sup>.

كما تشمل أيضًا شرق الأردن: «فالآن قم اعبر هذا الأردن، أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم؛ أي: لبني إسرائيل، تعبرون الأردن هذا؛ لكي تدخلوا فتمتلكوا الأرض التي يعطيكم الرب إلهكم لتمتلكوها»<sup>(٣)</sup>.

إذاً حدود أرض الميعاد كما في العهد القديم من الفرات في سوريه إلى جنوب العراق إلى النيل شرقاً، وفيه الضفة الشرقية من مصر (سيناء)، والوجه البحري، وفلسطين، وما بين الفرات والنيل، والبحر المتوسط، وتركيا لتضم سوريا، ولبنان، والأردن وبعض أراضي تركيا.

وهذا النص: «من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»<sup>(٤)</sup> هو آخر حدود الأرض الموعودة في التوراة.

(١) سفر إشعيا: ١٧/١٣.

(٢) سفر يشوع: ١/١-٢.

(٣) سفر يشوع: ١٧/١٣.

(٤) سفر التكوين: ١٥/٨.

والنصوص القديمة وتفسيراتها القديمة والمعاصرة تكشف بوضوح عن حدود تلك الأرض الموعودة، يقول الدكتور (بوست): «الأرض الموعود بها إبراهيم الموضوعة في كتاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تمتد من جبل هور إلى مدخل حماة، ومن نهر مصر والعريش إلى النهر الكبير نهر الفرات، وأكثر هذه الأرض كانت تحت سلطة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان التخيم الشمالي حينئذ سورية، والشرقي الفرات وتربة سورية، والجنوبي برية التيه وأدوم في سيناء، والغربي البحر المتوسط»<sup>(١)</sup>.

ويقول (هرتزل) في يومياته: «إن القاعدة يجب أن تكون في فلسطين أو بالقرب منها، إن علينا تشييد البنيان على أساس قوميتنا اليهودية، ولذلك لا بد من حصولنا على وسائل للجذب السياسي، إنني لا أستطيع الإيضاح أكثر من هذا»<sup>(٢)</sup>.

وهذا عضو الوكالة اليهودية الحاخام (فيشتمان) يتقدم بخريطة توضيح حدود الدولة اليهودية التي يري اليهود أن لهم الحق الكامل في استردادها تنفيذاً لوعود التوراة ومشاريع (هرتزل)، ووقف (فيشتمان) ليعرض تلك الحدود «من مدينة الإسكندرية محيطة بمنطقة الدلتا غرباً في مصر، ثم تمتد جنوباً مع مجرى نهر النيل؛ لتتجه شرقاً في خط مستقيم قاطع للجزيرة العربية حتى محاذاة مصب نهر الفرات، ثم تصعد الحدود مع مجرى الفرات حتى حدود تركيا؛ لتصل إلى سوريه لتقفل الدائرة بعد ذلك بالحدود الشرقية

(١) عقيدة اليهود في تملك فلسطين. د/ عابد توفيق الهاشمي، ص ٤٨ بتصرف.

(٢) الدولة اليهودية. تيودور هرتزل: ص ٤٥.

للبحر الأبيض المتوسط»<sup>(١)</sup>.

أهذه مجرد أوهام وأحلام أم هي الحقيقة التي يسعى اليهود لإبرازها على أرض الواقع؟ نقول: إن العلم الإسرائيلي يجيب عن هذا السؤال هذا العلم ذو الخطين.

### ● المطلب الثالث: علم إسرائيل<sup>(٢)</sup> وحدود أرض الميعاد

إن علم إسرائيل ذو الخطين الأزرقين اللذين يرمزان إلى نهري النيل والفرات، وهذه النجمة السداسية المدعاة (نجمة داود) التي ترمز إلى مملكة داود، والتي يتطابق مثلثاتها للدلالة على تعاضد السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد ملك سليمان، وهذه اللافتة المنصوبة على مدخل الكنيسة الإسرائيلي متضمنة الوعد المذكور في التوراة، وهذه العملة المعدنية الإسرائيلية متضمنة الوعد المذكور في التوراة

(١) عقيدة اليهود في تملك فلسطين: ص ٥٢.

(٢) علم إسرائيل: صورة علم الدولة والعلاقات بين الأبعاد التي حددت وأعلنت في البيان الرسمي لمجلس الدولة: يبلغ طول العلم ٢٢٠ سم، وعرضه ١٦٠ سم، الخلفية بيضاء وعليها خيطان لونهما أزرق داكن، والمساحة بينهما ٢٥ سم، مائلة إلى كل طول العلم من الضلع إلى الضلع، المسافة بين الخط العلوي والخط السفلي تبلغ ١٥ سم، ويتوسط الخلفية البيضاء بين الخطين الأزرقين بمسافة متساوية: (نجمة داود) المتكونة من ستة خطوط زرقاء عرضها ٥.٥ سم لكل منهما، يندمج فيها مثلثان متساويا الأضلاع، وقاعدتهما تتوافق مع طول الخطين الأزرقين للعلم، هذا العلم كان معروفاً باسم (ريشون لتسيون). نجمة داود و علم إسرائيل دان ميلر ص ١٢.

والتي يتعامل بها اليهود صغارًا وكبارًا نساءً ورجالًا وأطفالًا؛ لتذكرهم كل يوم، بل كل لحظة بالحلم الباقي والذي لم يكتمل، وهو إسرائيل الكبرى، حيث رسمت على العملة خريطة لتلك الأرض بحدودها من النيل إلى الفرات<sup>(١)</sup>.

## المبحث الرابع

### قدسية أرض الميعاد وترابها في تصورات اليهود

#### ● تمهيد

إن المنزلة الدينية للأرض عند اليهود تكاد تصل إلى مستوى الفرائض والأركان، والتلمود الذين يفسرون به التوراة يقول: «واجب على كل يهودي أن يعيش في أرض إسرائيل، وهذا الواجب يعلو على أي التزام آخر، وأرض إسرائيل طاهرة لا بد من دفن المتقين من إسرائيل فيها، وإن لم يتيسر ذلك يوضع مع الكفن شيء من التراب المجلوب منها، والذي يتمشى أربعة أذرع في أرض إسرائيل على يقين أنه من أبناء الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

«فكل يهودي يؤمن بالتوراة والتلمود، ويقدهما يؤمن في الوقت نفسه بحديثهما عن أرض إسرائيل، وحديثُ التوراة عن إسرائيل ينصرف في الغالب إلى الأرض الموعودة بحدودها الواسعة، واليهود يفهمون ذلك على أن تلك الأراضي ملك لهم، سواء سكنوها أم لم يسكنوها، وسواء

(١) حمى سنة ٢٠٠٠. د/ عبد العزيز مصطفى كامل: ص ٨٣.

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الدين خان: ص ٦٦.

استطاعوا السيطرة عليها أم لم يستطيعوا؛ لذلك فلا غرو أن يبذلوا كل مسعى لتأكيد حياة من يعيش عليها من غيرهم إذا لم يستطيعوا هم البقاء فيها، فأعمال الآخرة لا يمكن وفق تعاليم التلمود أن يقوم بها اليهود على الوجه المطلوب في الأرض الموعودة، والأرض عند اليهود هي الحياة الدنيا، وهي أرض الرب، وهي مغفرة الذنب، وهكذا حوّل التحريف ديانة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الإلهية السماوية إلى ديانة محرّفة بسبب خيالات اليهود المريضة، وأهوائهم الباطلة»<sup>(١)</sup>.

ويسمونها الأرض المختارة كما ادّعوا أنهم شعب الله المختار، يقول (بن جوريون) أول رئيس وزراء لدويلة اليهود عن هذا المعنى: «من يعيش داخل أرض إسرائيل يمكن اعتباره مؤمناً، أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له». «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون؛ لأنني ها أنذا آتي وأسكن في وسطك، يقول الرب»<sup>(٢)</sup>.

وعن تراب الأرض الموعودة جاء في التوراة: «أما أنت يا رب تقوم وترحم صهيون؛ لأنه وقت الرأفة؛ لأنه جاء الميعاد؛ لأن عبيدك قد سُروا بحجارتها وحنوا إلى ترابها. إذا بنى الرب صهيون يرى بمجده»<sup>(٣)</sup>.

وعلى أنهار بابل كانوا يندبون أورشليم، ويحنون إلى ترابها: «على أنهار

(١) حمى سنة ٢٠٠٠. ص ٣٩.

(٢) سفر زكريا: ١٠/٢.

(٣) مزمو: ١٣٧/٤، ٥، ٦.

بابل هناك جلسنا بكينا أيضاً كطيف نترنم ترنيمه الرب، أرض غريبة، إن نسيتهك يا أورشليم أنسى يميني، يلتصق لساني بحنكي، إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرجي»<sup>(١)</sup>.

### ● المطلب الأول: أورشليم (صهيون) مقدسة ومباركة عند اليهود

وعن منزلة القدس عند اليهود جاء في التوراة: «لأن الرب قد اختار صهيون، اشتهاها مسكناً له، هذه هي راحتي إلى الأبد، ها هنا أسكن؛ لأنني اشتيتها، طعامها أباركُ بركةً، مساكنها أشبعُ خبزاً، كهنتها ألبس خالصاً، وأتقياؤها يهتفون هتافاً»<sup>(٢)</sup>.

«ارفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب يباركك الرب من صهيون، الصانع السماوات والأرض»<sup>(٣)</sup>.

كلام الله وحديثه يصدر من القدس (أورشليم): «الرب من صهيون يزمجر، ومن أورشليم يعطي صوته، فترجف السماء والأرض. ولكن الرب ملجأً لشعبه وحصن لبني إسرائيل، فتعرفون أني أنا الرب إلهكم ساكناً من صهيون جبل قدسي، وتكون أورشليم مقدسة، ولا يجتاز فيها الأعاجم فيما بعد»<sup>(٤)</sup>.

«فقال: إن الرب يزمجر من صهيون، ويعطي صوته من أورشليم، فتنوح

(١) مزمو: ١٣/٤، ٥، ٦.

(٢) مزمو ١٣٢/١٦.

(٣) سفر المزامير: ١٣٤/٢٣.

(٤) سفر يوثيل: ٣/١٦، ١٧.

مراعي الرعاة ويبيس رأس الكرمل»<sup>(١)</sup>.

إسرائيل شعبها منصور: «ليس مثل الله الإله القديم، يسكن إسرائيل آمنًا وحده، تكون عين يعقوب إلى أرض حنطةٍ وخمرٍ، وسماؤه تقطر ندى، طوباك يا إسرائيل، مَنْ مثلك يا شعبًا منصورًا بالربّ ترسٍ عونك وسيفٍ عظمتك، فيتذلل أعداؤك، أنت تطأ مرتفعاتهم»<sup>(٢)</sup>.

### • **المطلب الثاني: أورشليم (صهيون) مسكن «رب إسرائيل» ونجاة لليهود**

يعتقد اليهود أن أورشليم هي مسكن الرب: «وكان كلام رب الجنود قائلاً: غرت على صهيون غيرة عظيمة، وبسخطٍ عظيمٍ غرت عليها، هكذا قال الرب، قد رجعت إلى صهيون، وأسكن في وسط أورشليم، فتُدعي أورشليم مدينة الحق وجبل رب الجنود الجبل المقدس»<sup>(٣)</sup>.

ويسكن فيها: «والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطي صوته، فترجف السماء والأرض، فتعرفون أن الربَّ إلهكم، ساكنًا في صهيون جبل قدسي، فتكون أورشليم مقدسة ولا يجتاز فيها الأعاجم فيما بعد»<sup>(٤)</sup>، وهو مكان النجاة: «لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون النجاة كما قال الرب»<sup>(٥)</sup>.

(١) سفر عاموس: ٢/١.

(٢) سفر التثنية: ٣٣/٣٦-٣٩.

(٣) سفر زكريا: ١/٨، ٢، ٣.

(٤) سفر يوشع: ٣/١٥، ١٧.

(٥) سفر يوشع: ٢/٣٣.

«وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة ويكون مقدسًا، ويرث بيت يعقوب موارثهم، ويصعد مخلصون على جبل صهيون؛ ليدينوا جبل عيسو، ويكون الملك للرب»<sup>(١)</sup>.

### المبحث الخامس

## الوعد الإلهي وأرض الميعاد في فكر وعقيدة اليهود المعاصرين

### ● تمهيد

ماذا تمثل القدس لليهود: «لقد كان لتمسك أهل الكتابين بموروثاتهم الباطلة حيث تصدوا بباطلهم الموروث لدعوات الحق، واشتدت مواجهتهم لأمة الإسلام، ولبس على اليهود فيها وظنوا أن استيلائهم على القدس، ووصولهم إلى حائط المعبد الكبير بعد تسعة عشر قرنًا من الحرمان والتشردم هو إكرام لهم، ودليل على أن رؤية أنبيائهم تحقق لصالحهم، وكذلك انخدع النصارى الذين زرعوا اليهود في الأرض المقدسة، وسقوا نبتهم الخبيث فيها، وظنوا أن ما معهم من الدين هو الحق؛ لأن يتوافق مع نبوءات مدعاة عن عودة اليهود في آخر الزمان إلى الإيمان بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ينزل إلى تلك الأرض.

لقد ظلت المشاعر الدينية تتعاضم في مجتمعات اليهود أنفسهم، وفي بعض مجتمعات النصارى، وظهرت أثارها على شكل جماعات ومنظمات سرية وعلنية، دون أن يظهر أثر واضح على مستوى سياسات القمة، والعصر

(١) سفر عوبديا: ١٧/١-٢١.

الحاضر يراه اليهود عصر العلو الكبير، والسيطرة الكاملة، والعودة الجماعية لأرض الميعاد.

وعلى تلك الأرض الموعودة يكون الموعد، وسيكون اللقاء الحتمي، والصدام الكبير، حيث ستشهد تلك الأراضي الواقعة بين النيل والفرات أعظم الملاحم وأكبر الأحداث والتحويلات في الزمان الأخير كما شهدت أعظم الأحداث في الزمن القديم»<sup>(١)</sup>.

إن مع اليهود نبوءات، ومع النصارى نبوءات، وعند المسلمين أصدق النبوءات بأن أرض الشام والحجاز وما حولها سوف تكون حلبة الصراع الأخير بين الأمم.

واليهود والنصارى يعتقدون أن الأراضي المقدسة، والشعب (المقدس)، والزمن المقدس أو شكوا جميعاً على الالتحام في أرض الميعاد التي ستشهد الأحداث الأخيرة، فكلا الأمتين تعتقدان أن الفصول الكبرى في ملحمة نهاية التاريخ ستكون على هذه الأرض (أرض الميعاد)، أو (أرض المعاد)، أو (إسرائيل الكبرى)، كما يسمونها؛ ولهذا فإن مساعي اليهود في التوسع مع هذا التدرج، فالدائرة الكبرى من النيل إلى الفرات والدائرة التالية أرض الشام التي بدؤوا باغتصابها بإعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م، ثم باحتلال القدس سنة ١٩٦٧م، ثم بإزالة المباني في الأراضي المحيطة بالمسجد الأقصى<sup>(٢)</sup>.

(١) حمى سنة ٢٠٠٠، د/ عبد العزيز مصطفى كامل: ص٣.

(٢) قبل أن يهدم الأقصى: ص٣٧.

## ● المطلب الأول: أقوال ناتجة عن معتقدات دينية

إن قضية العودة إلى فلسطين لتحقيق الوعد الإلهي؛ لتشغل فكر وعقول زعماء الصهيونية، فضلاً عن حاخامات وعامة اليهود، وإن هذه الفكرة والعودة لتراودهم من أزمنة بعيدة ترجع في القديم إلى زمن السبي البابلي، وظلت لا تغيب عن خواطرم وعقولهم حتى جاء القرن التاسع عشر، وحل المرض بجسد الدولة العثمانية، ودب الخلاف والضعف في ولاياتها، وكشّر الأعداء عن أنيابهم، وتحركت القلوب، وتطلعت الأشواق لأرض الميعاد عند اليهود، فعُقد مؤتمر بال بسويسرا عام ١٨٧٩ م، المؤتمر الصهيوني الأول لتحقيق مشروع الدولة اليهودية الذي أعده وليد الصهيونية البابلية، ومؤسس الصهيونية الغربية (تيودور هرتزل)، هذا البرنامج لتحويله إلى واقع تطبيقي.

- قال هذا الصهيوني في هذا المؤتمر: «إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ننساه، أقترح عليكم في الوقت الحالي برنامج فلسطين الكبرى قبل فوات الأوان؛ لأنه من غير المعقول أن تضع عشرة ملايين يهودي في بلاد مساحتها ٢٥ ألف كم<sup>٢</sup>».

وقال هرتزل أيضاً: «إذا حصلنا يوماً على مدينة القدس وكنت لا أزال حياً، وقادراً على القيام بأي عمل فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لليهود فيها، وسوف أحرق جميع الآثار التي مرت عليها قرون»<sup>(١)</sup>.

- وهذا رئيس وزراء إسرائيل (ديفيد بن جوريون) في لقاء صحفي نشرته

(١) يوميات هرتزل ومذكراته: ص ٧٠٢.

صحيفة معاريف الإسرائيلية في ١٦ / ١ / ١٩٦٩ م يقول: «إسرائيل هي أرض أسلافنا، وهي تمتد على جانبي نهر الأردن، والقدس عاصمتنا منذ آلاف السنين، وهي لنا كما أن باريس للفرنسيين ولندن للإنجليز»، وقال أيضًا: «لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا: «فلسطين حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدنا الله، وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل؛ ولذا وجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وإن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها يعتبر مخالفًا لتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي».

- ويقول (موشى ديّان) في عام ١٩٦٧ م أما حائط المبكى: «ها قد عدنا إلى الهيكل الأقدس، ولن نبرحه أبدًا»<sup>(٢)</sup>.

- وقال شلومو غورين<sup>(٣)</sup>: «إن الصهيونية وأهدافها ستبقى معرضة للخطر مادام المسجد الأقصى وقبة الصخرة قائمين أمام أعين المسلمين وأفئدتهم. الأمر الذي يتطلب والحالة هذه إزالتها من على سطح الأرض».

- وهذا مائير كهانا<sup>(٤)</sup> يقول: «إن ما كان ليس يهوديًا لا يحق له العيش،

(١) عقيدة اليهود في تملك فلسطين توراة وإنجيلًا وقرآنًا تاريخًا. د/ عابد توفيق الهاشمي: ص ٢٥.

(٢) حمى سنة ٢٠٠٠. ص ١٨.

(٣) شلومو غورين: ولد عام ١٩١٧ كان الحاخام العسكري الأول في جيش الدفاع الإسرائيلي هو مؤسس الحاخامية العسكرية لقوات الدفاع الإسرائيلي وعمل رئيسًا لها. كما أصبح ثالث رئيس لحاخامات اليهود الأشكناز في إسرائيل من ١٩٧٣ إلى ١٩٨٣.

(٤) مائير كاهانا: المعروف أيضا بعدة أسماء مستعاره مثل مايكل الملك وديفيد سيناء

والبقاء على أرض إسرائيل، وليس له حق الملكية، أو الجنسية، أو أية حقوق سياسية، فهذه هي تعاليم التوراة، وهذه هي اليهودية الحقيقية»، «إن سكوت اليهود على المسلمين على أرض إسرائيل يعتبر معصية لرب إسرائيل؛ لذلك فإن طردهم ليس عملاً سياسياً فقط، بل واجباً دينياً، وبدلاً من أن نخشى ردود فعل الغرباء المسلمين إذا طردناهم، علينا أن نرتعد خوفاً من غضب رب إسرائيل إذا لم نفعل ذلك، ولهذا فهيا بنا يا شعب الله المختار نطرد الغرباء؛ لنجلب الخلاص لشعب إسرائيل».

- ويقول (بيجال ألون) نائب رئيس وزراء إسرائيل: «جاء اليهود إلى البلاد؛ لكي يسترخوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم، الأرض التي وعدنا الله لهم، ولذرايرهم في العهد القديم قبل آلاف السنين بين الله وإبراهيم، وهي فلسطين أرض كنعان، وما حولها من أرض الميعاد كما توضح التوراة»<sup>(١)</sup>.

### ● المطلب الثاني: أقوال ناتجة عن أهداف سياسية واقتصادية

١- من أقوال السياسي اليهودي الصهيوني الغربي (كامي كوهين): «أؤكد قيام دولة يهودية في فلسطين تدور في فلك أوروبا الغربية، وتصبح المخفر

(١٩٣٢-١٩٩٠)، حاخام إسرائيلي ومؤسس حركة كاخ وعضو سابق في البرلمان

الإسرائيلي الكنيست. (اشتهر بالعداء الكبير للعرب ومن تلاميذه باروخ جولد شتاين.

(١) وما قبلها: إسرائيل في الكتاب المقدس، مجموعة من أساتذة اللاهوت: ص ٩، عقيدة

اليهود في تملك فلسطين. عابد توفيق الهاشمي. ص ١٣٨.

الأممي للعالم المتمدن يقف في وجه آسيا التي بدأت تستيقظ».

٢- وفي محاضرة مونتريال في كندا (١٩٤٧م) أعلن (ناحوم غولدمان) رئيس المنظمة الصهيونية قائلاً: «لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي والديني بالنسبة إليهم، ولا لأن مياه البحر الميت فقط تغطي تبخراً ما قيمته ثلاثة آلاف دولار من المعادن، وأشباه المعادن، وليس أيضاً لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكتين مجتمعين؛ بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا، وفلسطين تشكل في الواقع نقطة ارتكاز حقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم».

وأعلن رئيس وزراء بريطانيا السابق (ونستون تشرشل) قائلاً: «إذا أتيح لنا في حياتنا -وهو ما سيقع حتماً- أن نشهد قيام دولة يهودية لا في فلسطين وحدها، بل على ضفتي نهر الأردن معاً تقوم على حماية التاج البريطاني، وتضم نحو ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق مع المطامع الحيوية للإمبراطورية البريطانية».

ويقول (جورج شولتز) وزير الخارجية الأمريكية في أثناء فترة رئاسة (رونالد ريغان) لأمريكا: «لقد بات الأمريكيون يدركون أهمية إسرائيل الكبيرة كشريك في السعي وراء الحرية الديمقراطية، وكشعب يشاركنا مثلنا العليا، وكحليف استراتيجي أساسي».

وما قاله (إيباك): «أدت العلاقة الوثيقة مع إسرائيل إلى تعزيز نفوذ

الولايات المتحدة في العالم العربي وليس إلى تقليص»<sup>(١)</sup>.

وما أكدته السناتور (البرت غور) المرشح لمنصب نائب الرئيس الأمريكي عام ١٩٩٢م: «إن إسرائيل أفضل أصدقاءنا وأقوى حلفائنا، لا في الشرق الأوسط وحده، وإنما في أي مكان آخر في العالم»<sup>(٢)</sup>.

وهذا (ناحوم غولدمان) يقول في مؤتمر عام ١٩٤٧م: «لقد كان ممكناً لليهود أن يحصلوا على أوغندا، أو مدغشقر، أو غيرها من الأقطار؛ لينشئوا فيها وطناً يهودياً، ولكن اليهود لا يريدون على الإطلاق غير فلسطين، وليس لاعتبارات دينية فحسب، ولا لأن أرض فلسطين تحتوي على ثروات عظيمة؛ بل لأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، والمركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم، وهذه النظرة مرجعها القصص الدينية التي يؤمن بها اليهود أنهم يرثون أمجاد العالم أجمع بملك إسرائيل»<sup>(٣)</sup>.

(١) حمى سنة ٢٠٠٠م. د/ عبد العزيز مصطفى كامل: ص ٣٤، عقيدة اليهود في تملك

فلسطين توراتاً وإنجيلاً وقرآناً. د/ عابد توفيق الهاشمي: ص ١٤٠.

(٢) إسرائيل في الكتاب المقدس. مجموعة من أساتذة اللاهوت. ص ١٤.

(٣) لال ن يمحي الأقصى: ص ١٨.



## الفصل الثاني

### مناقشة النصوص التوراتية بادعاء اليهود الوعد الإلهي

#### وأرض الميعاد

ويشتمل على أربعة مباحث:

- ✿ المبحث الأول: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الديني.
- ✿ المبحث الثاني: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب التاريخي.
- ✿ المبحث الثالث: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب القانوني.
- ✿ المبحث الرابع: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الأثري.

## تمهيد

زعم اليهود أن الله قد أعطاهم ما يسمونه أرض الميعاد هبةً مقدسة منه، كما زعموا أنهم شعب الله المختار معتمدين في ذلك على نصوص التوراة التي كتبها يهود الأسر البابلي [٥٨٧ - ٥٣٩ ق.م].

ويزعم اليهود أنهم أصحاب حق في فلسطين، وفي دولة إسرائيل كما يقولون: إن فلسطين موطن آباءهم الأقدمين، ويحتجّون لذلك بأن الكتاب المقدس قد تنبأ بتأسيس دولة يهودية مستقلة في فلسطين، فضلاً عن أسباب تاريخية ثابتة.

فأما إذا كان اليهود يستندون في إقامة دولتهم في فلسطين إلى أن وعداً إلهياً قد صدر قبل أربعة آلاف سنة، وتكرّر مراراً، ومؤداه أن تعطى أرض لشعب معين، وأن هذا الوعد يجعل ذلك الشعب مالِكاً لتلك البلاد باسم الحق المقدس، وإذا كان اليهود يستندون إلى ذلك، فيجب أن نعلن بطلان هذا السند.

لقد ارتبطت الحركة الصهيونية بمطلبين أساسيين:

أولاً: الحصول على ما يسمى بأرض الميعاد، أو أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات.

ثانياً: إعادة الشعب اليهودي إلى أرضه التاريخية؛ لأن الحياة خارج فلسطين مخالفة للدين اليهودي.

يقول بن جوريون: «إن كلَّ يهودي لا يعود إلى أرض الميعاد محروم من

رحمة إله إسرائيل»<sup>(١)</sup>.

ولإبطال هذه الادعاءات لا بد أن نعلم لمن منحت هذه الوعود؟ ثم ما هي حدود الأرض الموعودة؟ وهل كان الوعد مطلقاً بلا قيد أو مقيداً بشروط؟

ثم لمناقشة هذه الادعاءات لا بد أن نناقشها:

أولاً: من الجانب الديني.

ثانياً: من الجانب التاريخي.

ثالثاً: من الجانب القانوني.

رابعاً: من الجانب الأثري.

## المبحث الأول

### مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الديني

#### ● المطلب الأول: المصدر الإسلامي (القرآن والسنة)

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأَنْتُمْ هَتُوْلَاءَ حَجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(١) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة إيكار السقفاف: ص ٤٩٧، وبنو إسرائيل د/ محمد

﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَئِيُّ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٨].

في هذه الآيات يتبين لنا ما يلي:

أولاً: إبراهيم عليه السلام ليس على ملة اليهود؛ لأن زمانه سابق لليهودية،  
 والنصرانية، والتوراة، والإنجيل، فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً، ولا دليل  
 على هذا من عقل أو نقل، وهذه الآيات نزلت بسبب دعوة كل فريق من  
 اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على دينه فردّ الله تعالى قولهم؛ لأنه كان  
 بين إبراهيم وموسى مئات السنين، وبين موسى وعيسى ما يزيد على الألف  
 سنة، فكيف يكون على دين لم يكن إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة.

ثانياً: إن أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل هم الذين اتبعوه على دينه،  
 روى عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي ولادة من  
 النبيين وإن وليي منهم أبي و خليل ربي عز وجل ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ  
 بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨]»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: تعريض باليهود والنصارى أنهم انحرفوا عن الدين الحق، فإبراهيم  
 كان على التوحيد، أما اليهود فوقعوا في الشرك مع كفرهم بالأنبياء وقتلهم  
 أحياناً، والنصارى اعتقدوا إلهية المسيح، فليس في القرآن الكريم وعد أو عهد  
 لإبراهيم بأن يعطي الله ذريته تلك الأرض الموعودة، وعلى فرض ذلك -وهو

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود (١/٤٠٠)، سنن سعيد بن منصور

غير حاصل، - فليس اليهود وحدهم هم أبناء إبراهيم دون سواهم، فإن العرب لهم نفس الحق؛ لأنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

### الأقصى قبله المسلمين الأولى:

قال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وفي الحديث الصحيح: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»<sup>(٢)</sup>، وفي الصحيحين: عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: «يا رسول الله، أي مسجد وضع على الأرض أولاً؟ فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً ثم قال: فأينما أدرتكَ الصلاة فصل»<sup>(٣)</sup>.

ويستفاد من هذه النصوص ما يلي:

أولاً: أن المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين، وأن القدس هي أرض الإسراء والمعراج، وهي ثالث المدن المقدسة في الإسلام بعد مكة والمدينة، وهي أرض النبوات، والبركات، والخيرات.

(١) تفسير القرطبي: ج٤، ص١١٥، والكشاف للزمخشري: ج١، ص٤٣٤، تفسير للقرآن

العظيم لابن كثير: ج١، ص٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمع (١١١٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب حديث الأنبياء (٣١٧٢)، ومسلم كتاب المساجد (٥٨٠٨).

ثانياً: أن بناء المسجد الحرام سابق على بناء المسجد الأقصى بأربعين سنة، ومن الثابت أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ جدد بناء البيت الحرام بعد بناء آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثالثاً: أن القدسية لتلك المدينة المقدسة تستوجب على المسلمين أن يكونوا على جهاد ورباط حتى يتم تحريرها من دنس اليهود، وهذا من دلائل نبوته ﷺ، ولقد أخبر النبي ﷺ أن المسلمين سيقاتلون اليهود حتى يقول الحجر والشجر للمسلم: يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعالي فاقتله.

قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٦].

ومن الأحاديث النبوية: «أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَالتُّرَابُ طَهُورًا، وَكَانَ النَّبِيُّ يَرْسُلُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَبِي خَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ»<sup>(١)</sup>.

ويستفاد من هذه الآيات والحديث ما يلي:

(١) الأرض ملك لله يورثها من يشاء، وهي لبني آدم مسلمهم وكافرهم،

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير حديث رقم: ١١٩.

والعاقبة لأهل التقوى- وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها- وفق سنته وحكمه، فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت ممكّن في الأرض غير مزحزح عنها، فالله هو صاحب الأرض ومالكها، وهو الذي يقرر متى يطردهم منها.

(٢) أخبر الله حتمًا وقضاءً أن الحق في وراثته الأرض المقدسة، بل في الأرض كلها يرجع إلى الثبات على الدين، والدخول في ركب المؤمنين؛ فإن بني إسرائيل لما سكنوا تلك الأرض- قبل اللعنة والطرده- كانوا أحق بها من الوثنيين العرب، ثم لما تجرد اليهود عن وصف الصلاح، ودخل العرب في الدين الحق، ورثهم الله تعالى أرض المقدسات ليحموها، وأخبر سبحانه في التوراة والزبور- وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض- أن يورثها أمة محمد ﷺ الأرض، ويدخلهم الجنة وهم الصالحون فما هي هذه الوراثة؟ ومن هم الصالحون؟

والوراثة: هي تحقيق مدلول الإيمان، وهو العمل الصالح والنهوض بتبعات الخلافة؛ ليتحقق وعد الله وتجري سنته، ويرثها عباد الله الصالحون، أي: المؤمنون بعد إجلاء الكفار، وقيل: الأرض المقدسة ترثها أمة محمد ﷺ.

إذا فالوعد الذي يدّعيه اليهود ليس لأمة بعينها لانتخاب سلالة، أو خيرية شعب، أو عنصرية نوع، وإنما الوعد الإلهي بالوراثة، والتمكين، والنصر، والتأييد للمؤمنين الصالحين من أي أمة، ولخاتمة الأمم أمة الإسلام.

(٣) دلت الآيات والأحاديث على أن الميراث الذي يتركه الأنبياء ويورثونه ليس المال أو الأرض، وإنما حمل الرسالة، وتبليغها، والعلم

والشرعي، وإن كان للأنبياء - أمثال إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان - وارثون، فإنما ميراثهم هو النبوة والحكمة، وليس الملك أو المال.

(٤) أخذ الله الميثاق والعهد على جميع النبيين لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه، وأقرهم على ذلك، وأشهدهم على هذا العهد والميثاق الشديد، فأقروا وشهدوا، وأخبر النبي أنه لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلا اتباعه ﷺ، وأتم الله هذا الإقرار بالقولي بالإقرار الفعلي، فصلّى النبي إمامًا بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج، وأعطاه الله خمسًا لم يُعطهن نبي من الأنبياء<sup>(١)</sup>.

(٥) إن الانحراف عن منهاج الله، وطاعة رسله، وإقامة حدوده لهو معول هدم لأي أمة مهما كانت صفاتها، ومهما ادّعت لنفسها من ادعاءات المحاباة، والقراية، والوعود، وتلك حكمة الله في استخلاف البشرية للأرض، وبيان هداه لهم، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا نِينَكُم مِّنِّي هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

**عدم التسليم بجميع نصوص التوراة لوقوع التحريف فيها:**

قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً<sup>ط</sup> يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

وقال: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ<sup>ف</sup> بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

(١) في ظلال القرآن. سيد قطب ج ٣ ص ١٣٥٥. ط/ دار الشروق القاهرة.

من هذه الآيات يظهر لنا طرفٌ من الطبيعة اليهودية على النحو التالي:

أولاً: كان الضلال، والكفر، والشرك ظاهراً في بني إسرائيل حتى في زمن نبيهم موسى وأخيه هارون ومن بعدهما، والعجيب أن بني إسرائيل بعدما رأوا الآيات الباهرة من إهلاك فرعون، ونجاتهم، ومجاوزتهم البحر بشكل عجيب يحملهم على الإيمان بالله، وطاعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بعد هذا كله حين مرّوا على قوم يعبدون أصناماً، ومستغرقين في الوثنية إذا هم يطلبون من نبي التوحيد الذي أخرجهم من مصر باسم التوحيد أن يتخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد.

ثانياً: طبيعة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم عرضاً صادقاً دقيقاً أميناً في شتى المناسبات طبيعة مخلخلة العزيمة، ضعيفة الروح، لا تكاد تهتدي حتى تضل، ولا تكاد ترتفع حتى تنحط، ولا تكاد تمضي في الطريق المستقيم حتى تتركس وتتكس؛ ذلك لغلظ في القلب، وتصلب عن الحق، وقساوة في الحس والشعور، وفي حين أن موسى كان في حضرة ربه اتخذ قومه عجلاً جسداً من ذهب له صوت صنعه رجل من السامرة، ولم يملك هارون لقومه حولاً ولا قوة؛ ليصرفهم عن هذا الضلال المبين، والظلم الواضح، وقد كانت الجماهير الضالة المتدفقة على العجل أقوى من هارون، ومحاولته ردهم عن تلك الوثنية قال تعالى: ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ثالثاً: يقرر القرآن أن الله أنزل التوراة على موسى فيها هدى ونور، لكن

اليهود كما انحرفت فطرتهم عن التوحيد أفسدوا التوراة بطرق وصور شتى:

- تحريف الكلم عن مواضعه. - بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم.
- يكتُمون الحق وهم يعلمون. - يلوون ألسنتهم بالكتاب.
- يلبسون الحق بالباطل. - نسوا حظاً مما ذكروا به.

وهذه الطرق والصور كفيّلة لإخراج النص الإلهي عن مكانه، فلقد ظهرت نسخ متعددة للتوراة تختلف في أحجامها وأحكامها صحيحها وسقيمها.

رابعاً: كما حرّف اليهود التوراة وعصوا نبيهم موسى، أضاعوا الحياة الجميلة من أماكن وجودهم، فلم ينعم أحد معهم باستقرار، ولم يهنأ معهم أحد بسلام، الغدر طبيعتهم والخسة ديدنهم، ونقض العهد والمواثيق صفة ذميمة فيهم، وقسوة القلب لا تفارقهم، وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

ولقد كتب الله لبني إسرائيل؛ أي: فرض عليهم وأمرهم بدخول الأرض المقدسة، وهو فرض كالصلاة والزكاة، وكتب الله لكم، أي: قدر وقضى أن تكون مساكن لكم دون الجبارين بشرط الإيمان، وطاعة الأنبياء، والجهاد في سبيل الله؛ لنصرة الحق، وكتب الله لكم لا تفيد التملك، والاستطراد في الآية يفيد أنهم حرموا من الدخول إليها، وهم على أبوابها أربعين سنة يتيهون في الأرض، وحرّموا من دخول الأرض المقدسة جزاءً لجنهم، وتخاذلهم،

وانحرفهم عن منهاج الأنبياء.

وشعب الله المختار هم أمة محمد ﷺ إذا حققت شروط الخيرية وضوابط الصلاح، والإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي الأمة الوسط، وهي خير أمة، وعباد الله الصالحون الذين يرثون الأرض من بعد أهلها، والذين أورثهم الله الكتاب، واصطفاهم من عباده، ولا تقوم الساعة حتى يقاتلون اليهود فينطق الله الحجر والشجر، وينادي بلفظ الإسلام والعبودية: يا مسلم، يا عبد الله. وأما استشهاد اليهود بقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]، قال الإمام الرازي: «وفضلناهم على العالمين، أي: على عالمي زمانهم»<sup>(١)</sup>.

### ● المطلب الثاني: مناقشة الادعاء من المصدر النصراني (العهد الجديد وشروحه):

(١) تحذيرات يسوع لبني إسرائيل من الانحراف عن وصايا الرب:

في إنجيل متى: «قال لهم يسوع الحق: أقول لكم: إن العشاريين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق، فلم تؤمنوا به، فأما العشاريون والزواني فآمنوا به؛ لذا أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن يسقط عليه هو يسحقه»<sup>(٢)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج١ ص٣٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج١، ص١٥٨.

(٢) إنجيل متى: ٢١/٣٢.

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية: «فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم، أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم، بل ببر الإيمان؛ لأنه إن كان الدين من الناموس هم ورثة، فقد تعطل الإيمان، وبطل الوعد لأن الناموس ينشئ غضباً؛ إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعدُّ؛ ليكون الوعد وطيدة لجميع النسل ليس هو من الناموس فقط، بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا»<sup>(١)</sup>.

## ٢) يسوع يوبخ اليهود على أفعالهم وشرورهم:

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون؛ لأنكم تأكلون بيوت الأراامل، ويل لكم؛ لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً، ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل، فليس بشيء، أيها الجهال العميان أيهما أعظم؛ الذهب أم الهيكل؟ أيها الجهال العميان أيهما أعظم؛ القربان أم المذبح الذي يقدس القربان؟ ويل لكم؛ لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون، وتركتهم أثقل الناموس؛ الحق والرحمة والإيمان، أيها القادة العميان الذين يُصَفِّون عن البعوض ويبلعون الجمل، ويل لكم؛ لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة، وهما من الداخل مملوآن اختطافاً ودعارة، ويل لكم؛ لأنكم تنبشون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين، فأنتم تشهدون أنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم، أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء، فمنهم تقتلون

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية: ٤/١٣ - ١٧.

وتضلون، ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة؛ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هايل الصديق إلى دم زكريا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح، الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتي على هذا الجيل»<sup>(١)</sup>.

في هذه النصوص من الأناجيل نجد:

أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أوضح في هذا العدد مقصده من هذا المثل تفسير الكرم بملكوت الله ينزع من ليهود، والمراد: أنه ينزع منهم كل وسائل النعمة، والبركات المختصة بشعب الله الخاص كاستئمانهم على أقوال الله، وإرثهم للمواعيد، ويعطى لأمة، أي: إن الأمم تعطى وسائل النعمة التي أهملها اليهود، ونجرت هذه النبوءة بإيمان ألوف كثيرة منهم، وتمت أيضًا من جهة اليهود بخراب مدينتهم وتشتتهم في العالم.

وخلاصة هذه النصوص: أن الوعد الإلهي - إن صح - فهو ليس لليهود فقط، بل لكل ذرية إبراهيم، الذين آمنوا بالله ورسله، والتزموا بما أمر الله ورسله، وإن أهملت الأمم منهج الله ووحيه؛ سلبت منهم الأرض، ونزع ملكوت الله، ويعطى لأمة طائعة خيرة أو للمؤمنين من أي أمة، وتلك حكمة الله في استخلاف البشر في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [يونس: ١٣]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

(١) إنجيل متى: ٢٣ / ١٤ - ٣٠ باختصار.

## ● المطلب الثالث: مناقشة الادعاء من المصدر اليهودي (العهد القديم والكتابات اليهودية)

إن حجة الصهيونية بادعائها الحق في امتلاك فلسطين إنما هي حجة لا تقوم إلا على أساس من القول بأن أرض فلسطين هي الوطن التاريخي لبني إسرائيل، وأنها قد منحت لهم منحة إلهية أبدية من عهد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وظهور الرب له، وبمناقشة هادئة للنصوص التي اعتمدوا عليها في ادعائهم أرض الميعاد، ينجلي لنا كذب ادعائهم، وبطلان حججهم: فنقول: إن هذا الوعد الذي ظنوا أنه سيظل أبد الدهر إنما أضغاث أحلام تراود عقولاً مريضة من اليهود.

وتتحدث عن التوراة، فتقول: إن الرب ظهر لإبراهيم في حران: «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك وعشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة، فذهب أبرام كما قال الرب، وذهب معه لوط»<sup>(١)</sup>.

والنص كما يبدو بوضوح لم يحدد بعد مكاناً بعينه يذهب إليه إبراهيم غير أن التوراة سرعان ما تستطرد في الرواية، فتقول: «وظهر الرب لأبرام، وقال لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له»<sup>(٢)</sup>، وهنا نجد لأول مرة بأن جزءاً من فلسطين قد أصبح الأرض الموعودة،

(١) سفر التكوين: ١٢ / ١-٣.

(٢) سفر التكوين: ١٢ / ٧.

وذلك حين ظهر الرب لأبرام.

وهكذا يحدد النص أرض الميعاد بالمنطقة المحصورة فيما بين شكيم وبلوطة مورة، وهذا كله لا يعد إلا جزءاً صغيراً جداً من أرض فلسطين، ويبقى إبراهيم ما شاء الله له أن يبقى في أرض كنعان، ثم يرحل جنوباً إلى مصر: «ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته، وبني هناك مذبحاً للرب، ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب»<sup>(١)</sup>، ويبقى هناك في أرض مصر ما شاء الله له، ثم يعود بعدها، وقد أفاء الله عليه من خير الكنانة، ويعود إلى أرض كنعان؛ لتبدأ حلقة جديدة من أسطورة أرض الميعاد لا تقتصر على الأطماع في المنطقة ما بين شكيم وبلوطة مورة فحسب، ولكن تتسع على طول النظر من إبراهيم، ومن كل الجهات، وهذا يعني بوضوح أن فلسطين حتى هذه المرحلة لم تصبح بعد هي الأرض الموعودة؛ لأن إبراهيم لا يستطيع أن يرى كل أرض فلسطين شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، «وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً؛ لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد»<sup>(٢)</sup>.

وجاء نص آخر ليزيد في رقعة الأرض الموعودة في صورة حديث الرب مع إبراهيم: «قم امش في الأرض طولها وعرضها؛ لأني لك أعطيها، فنقل أبرام خيامه، وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون، فبنى هناك مذبحاً

(١) سفر التكوين: ١٢/٨.

(٢) سفر التكوين: ١٣/١٤.

للرب»<sup>(١)</sup>.

وعند هذه المرحلة تُحوّل التوراة الوعد إلى مرتبة الميثاق، وتزيد في رقعة الأرض الموعودة من النيل إلى الفرات: «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»<sup>(٢)</sup>، وهذا النص الأخير بالذات يعتبر الأساس الديني لمطالب اليهود بفلسطين، والسموم التي ينفثها متعصبة اليهود من أن دولتهم الموعودة لا بد أن تشمل كل تلك البقاع حتى اتخذوا من هذه العبارة: «هذه أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات» شعاراً لهم على الكنيسة.

وبدأ تحقيق وعد الذرية لإبراهيم: فوهب الله لإبراهيم نسلاً من زوجته هاجر المصرية، وهكذا اقترن الوعد بمولد إسماعيل دون أن يدري كاتب التوراة: «الذي يخرج من أحشائك يرثك».

ولم تكن لإبراهيم ذرية وقتها سوى إسماعيل فقط، ثم يظهر الرب لإبراهيم ليعقد معه عهداً على أن يكون أباً لجمهور من الأمم ويكون العهد معه، ومع بيته من بعده إلى أبد الأبدين: «لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً ابدياً»<sup>(٣)</sup>.

ومن الأهمية الإشارة إلى أن هذا النص إنما يتعارض مع نص سابق «من

(١) سفر التكوين: ١٣/١٧، ١٨.

(٢) سفر يشوع: ١/٤.

(٣) سفر التكوين: ١٧/٨.

نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»، فإذا بها الآن وعلى ضوء النص الأخير لا تضم سوى أرض كنعان مما يشير بوضوح إلى الاضطراب في نصوص التوراة، وهذا أمر قد اعتدناه كثيراً، وينفي عنها القدسية، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وحتى هذا الوقت من الوعد لم يكن من ذرية إبراهيم سوى إسماعيل، وإسماعيل جد العرب ذلك؛ لأن إسحاق جد بني إسرائيل، لم يكن لإبراهيم ذرية وقت ذاك سوى إسماعيل، بل إن إسحاق حتى هذه المرحلة لم يكن الابن الموعود فضلاً عن أن يكون الابن الموجود، وعلى أية حال فإن العهد الذي أوجب الرب على إبراهيم ونسله حفظه هو فيما تروي التوراة: «وقال الله لإبراهيم: هذا هو عهدي الذي تحفظون بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم»<sup>(١)</sup>، ثم تستطرد التوراة، فتذكر أن إبراهيم قد وفى عهده مع ربه، فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته، وجميع المبتاعين بفضة، كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لهم غرلتهم: «وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته في ذلك اليوم عينه، ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه»<sup>(٢)</sup>.

وننتقل إلى الوعد مع إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ: فنجد أول انحراف في توجيه

(١) سفر التكوين: ١٧/١٠، ١١.

(٢) سفر التكوين: ١٧/٢٥، ٢٦.

الوعد نحو بني إسرائيل دون بقية ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويبدأ مؤلف سفر التكوين بتحويل الوعد من إسماعيل إلى إسحاق: «فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك معه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً»<sup>(١)</sup>.

ويتعمد سفر التكوين إخراج إسماعيل وأبناء من بعده من حقوق الوعد الذي تلقاه إبراهيم من الله تعالى، ومن البديهي أن التوراة حرمت من الوعد كذلك ذرية إبراهيم من زوجته قطورة الكنعانية: «وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا»<sup>(٢)</sup>.

وطبقت التوراة قانون الحرمان من الوعد على كل أبناء إبراهيم عدا إسحاق: «وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم، فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق، وهو بعد حي»<sup>(٣)</sup>.

وتطلق التوراة على جميع أبناء إبراهيم ما عدا إسحاق أبناء السراي، وليس هناك شريعة من عند الله تفرق العنصرية البغيضة بين الناس، فضلاً عن أن يكون ذلك بين الإخوة، وهو الأمر الذي تمتلئ به صفحات

(١) سفر التكوين: ١٧ / ٢٠.

(٢) سفر التكوين: ٢٥ / ١ - ٢.

(٣) سفر التكوين: ٢٥ / ٥ - ٦.

التوراة، مع أن التوراة نفسها تمنع التفرقة بين الأبناء، فتقول:

«إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدت له بنين، فإن كان الابن البكر للمكروهة لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرًا على ابن المكروهة البكر، بل يعرف ابن المكروهة بكرًا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده؛ لأنه هو أول قدرته، له حق البكورة»<sup>(١)</sup>.

والمعروف أن البكورية عند اليهود ميراث روحي يعطى صاحبه عدة امتيازات يمتاز بها الابن البكر عن إخوته من أهمها:

- ١- أن يكون مكرسًا للرب.
- ٢- أن يكون مستودعًا للأسرار الإلهية، ونقلها إلى البشرية.
- ٣- حق وراثته كل مواعيد اليهود التي قطعها الرب مع إبراهيم.
- ٤- نيابة الابن الأكبر عن أبيه في البيت عند غيابه.
- ٥- أن يعطى نصيبًا زائدًا عن إخوته.

لذا فإن اليهود كانوا يلقبون كل كبير الأهمية بالبكر، ولعل من الأهمية أن نذكر بلا ريب، وطبقًا لنصوص التوراة أن كل مميزات البكورية وعلى رأسها مواعيد الله لإبراهيم إنما هي لإسماعيل وليست لإسحاق؛ لأن إسماعيل هو بكر أبيه إبراهيم ومن ثم فالوعد لإسماعيل، وليس

(١) سفر التثنية: ٢١/١٥.

لإسحاق<sup>(١)</sup>.

### مناقشة الوعود الإلهية التوراتية مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

من خلال قراءتنا وعرضنا للنصوص التي استند إليها الصهاينة في ادعائهم- أن الله منحهم أرض الميعاد، وهذا لهم وعد إلهي- وجدنا ما يأتي مبطلاً ادعائهم، ومفنداً لحججهم، ومسقطاً لمزاعمهم:

١- إسماعيل وإسحاق قد اشتركا في دفن إبراهيم دون تفرقة بينهما: «وأسلم إبراهيم روحه، ومات بشيئة صالحة، ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه»<sup>(٢)</sup>.

٢- تتحدث التوراة عن ذرية إسماعيل قبل ذرية إسحاق: «وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية»، وعن مواليد إسحاق: «وهذه مواليد إسحاق بن إبراهيم، ولد إبراهيم إسحاق»<sup>(٣)</sup>.

٣- كثيرٌ من العرب صحبوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فلسطين، ونجاح موسى يعود إلى ما لقيه من عطف كاهن مدين الذي تزوج موسى من ابنته، والمدانيون هم العرب من نسل قطورة التي ولدت لإبراهيم ستة أبناء من بينهم مديان.

(١) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: ص١٥٨، أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة. ص

٨، ٩. سفر التكوين: ١٧/ ٢٠.

(٢) سفر التكوين: ٢٥/ ٩.

(٣) سفر التكوين: ٢٥/ ١٩.

٤- تذهب التوراة إلى أن الذبيح هو إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ مع وعد الله لإبراهيم بأنه سيكون لإسحاق نسلٌ، وسيقيم الرب معه عهده، فكيف يذبح إبراهيم ابنه الموعود.

٥- «من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل» إذا كان ذلك حقًا، فكيف تذكر التوراة نفسها أيام إقامة بني إسرائيل في مصر في العصر الفرعوني على أنها أيام غربة: «اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمئة سنة»<sup>(١)</sup>.

٦- تضارب الوعود بين إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فقد وعد إبراهيم آخر وعد من نهر مصر إلى نهر الفرات، ووعد إسحاق ويعقوب وموسى أرض كنعان فقط، فكيف أصبحت الآن لها هذه الحدود الشاسعة من النيل إلى الفرات.

٧- في التوراة أن الختان هو العهد بين الله وإسرائيل تمييزًا لهم من بقية الشعوب، مع أن الختان كان شعيرة ضرورية في مصر الفرعونية.

٨- انقسام مملكة بني إسرائيل التي لم تمتد إلى أقصى اتساعها يوما من الأيام، أي: أنها لم تصمد أكثر من ثلاثة أرباع القرن على أيام داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فحسب (١٠٠٠-٩٢٢ ق.م)، ومن قبلها لم تتسع أكثر من دان إلى بئر سبع من الشمال إلى الجنوب هذا فضلًا عن أنها لم تشمل كل أجزاء فلسطين، ولو كان الوعد حقًا لما تفرقوا، ولما انقسمت دويلتهم إلى

(١) سفر التكوين: ١٥/١٣.

مملكتين صغيرتين: إسرائيل وعاصمتها السامرة، ويهوذا وعاصمتها أورشليم.

٩- نص الوعد: «من النيل إلى الفرات» يتناقض مع تحذير رب إسرائيل لبني إسرائيل من دخول أرض أدوم أبناء عيسو أخو يعقوب: «أنتم مازون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير، فاحترزوا جدًّا لا تهجموا عليهم؛ لأنني لا أعطيك من أرضهم ولا وطأة قدم»<sup>(١)</sup>.

ولعبت المرأة دورًا هامًا في تغيير الوعد من إسماعيل إلى إسحاق: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرده هذه الجارية وابنها؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا أخرجت التوراة إسماعيل جد العرب من الوعد لا لشيء؛ إلا لأن سارة جدة اليهود أرادت ذلك (على زعمهم)، وكذلك الأمر مع إسحاق وزوجته رفقة التي كانت تحب يعقوب أكثر من أخيه عيسو، فاحتالت على إسحاق ليأخذ يعقوب بركته<sup>(٣)</sup> كما كان من قبل، وكما أرادت سارة.

(١) سفر التثنية: ٢/٤، ٥.

(٢) سفر التكوين: ٢١/١٠.

(٣) "فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: يَا أَبِي. فَقَالَ: «هَأَنْذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ يَعْقوب لأبيه: «أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك». فَقَالَ إِسْحَاقُ لابنه: «ما هذا الذي أسرعَ لتجد يا ابني؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ قد يَسَّرَ لِي». فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقوبَ: «تَقَدَّمْ لِجَسَدِكَ يَا ابْنِي. أأَنْتَ هُوَ ابْنِي عيسو»

## ● المطلب الرابع: عدم تحقيق الوعد طوال عصر التاريخ

لم يتحقق الوعد مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا مع إسحاق، ولا مع يعقوب، ولا حتى مع موسى، أو داود، وسليمان، عليهم جميعاً الصلاة والسلام، كما تزعم التوراة.

أولاً: مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: لقد انتهى المطاف بإبراهيم بعد رحلاته المتعددة من العراق إلى فلسطين، ومن فلسطين إلى مصر، ومن مصر إلى فلسطين ثانية، ومن فلسطين إلى الحجاز حيث أسكن إسماعيل هناك، وبنى البيت الحرام، وأخيراً لفلسطين حيث لقي ربه الكريم، وفي كل ذلك لم ينل إبراهيم من الوعد شيئاً ما عدا المال المنقول، والمذابح التي بناها لتقديم القرابين، حتى إنه عند موت زوجته سارة لم يجد مكاناً يدفنها فيه، فاشترى مغارة المكفيلة من «عفر بن صوحر»، -ودفن هو فيها بعد ذلك-: «وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون، وقام إبراهيم من أمام ميته، وكلم بني حث قائلاً: أنا غريب ونزير عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي، بعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة جبل المكفيلة التي هي حبرون»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: مع إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم يكن حظ إسحاق في تحقيق الوعد بأفضل من حظ أبيه إبراهيم، فقد أقام في ضيافة أبيمالك (من ملوك كنعان) التي تبعد

أَمْ لَا؟». ٢٣. «فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّ  
الْيَدَيْنِ يَدَا عَيْسُو ٢٣». سفر التكوين: ٢٣/١٨.

(١) سفر يشوع: ١٥/١٣.

١٣ كم جنوب شرق غزة، ثم نزل في وادي جرار، ثم إلى ممرا، ثم إلى حبرون حيث مات هناك، ودفن بجوار أبيه إبراهيم وأمه سارة، ولم يتحقق في عصره من الوعد شيء<sup>١</sup>.

ثالثاً: مع يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ورد في التوراة أن كنعان كانت أرض غربة لإبراهيم وبنيه: «وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان»<sup>(١)</sup>. ويستأذن يوسف فرعون أن يذهب بجثمان أبيه؛ ليدفنه في أرض كنعان، ويدفن مع إبراهيم وإسحاق وسارة ورفقة في مغارة المكفيلة، وهكذا لم يكن نصيب يعقوب من أرض الميعاد إلا مكاناً يوارى فيه جثمانه مع آبائه.

رابعاً: مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ويأتي زمان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويخرج ببني إسرائيل من مصر فاراً بهم من فرعون، ويكتب عليهم التيه في صحراء سيناء أربعين سنة، ومات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودفن في أرض مؤاب بعد أن نظر إلى أرض الميعاد، ولم يدخل أبداً أرض الميعاد؛ لأن رب إسرائيل قد حرّم عليه أن تطأ قدماه أرض الميعاد، ودخلها بنو إسرائيل بعد موسى حتى إذا ما أتى القرن العاشر قبل الميلاد أقام داود (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م)، وسليمان (٩٦٠ - ٩٢٢ ق.م) عَلَيْهِمَا السَّلَامُ دويلة صغيرة في أرض كنعان سرعان ما انقسمت بعد موت سليمان مباشرة، ولم يقدر لليهود يوماً أن يبسطوا سلطانهم على الضفة الغربية، ومن هنا كان الكنعانيون من ناحية، والفلسطينيون من ناحية أخرى يضعون بني إسرائيل بين شقى الرحى، الأمر الذي دعا بني إسرائيل إلى الوحدة، والاعتصام، وإلا ذهبت ريحهم، وطردهوا من فلسطين، وهذا ما

(١) سفر التكوين: ٣٧/١.

حدث بالفعل على يد الآشوريين سنة ٧٢٢ ق.م، ثم البابليين ٥٨٧ ق.م. وبهذا انتهت دويلة اليهود في فلسطين باستثناء عهد إعادة بناء الهيكل (زر بابل ٥٣٨-٥١٥ ق.م)، ثم هيكل هيرودس (٢٠ ق.م) حتى أتى عام ٧٠م، ودمر طيطس الهيكل تدميراً، وجاء عام ١٣٥م، وسوّى أدريان معالم المدينة، ولم يُبق من اليهود أحداً<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثاني

### مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب التاريخي

#### ● المطلب الأول: موجز عن تاريخ بني إسرائيل «اليهود»

##### أولاً: نشأة بني إسرائيل (١٨٠٠-١٦٧٥ ق.م)

ينتسب بنو إسرائيل إلى نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو المسمى بإسرائيل، والذي ولد ونشأ بأرض فلسطين حيث استقر المطاف بجده إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عقب عودته من مصر، ثم إلى الجزيرة العربية، ومكة المكرمة، ثم عودته إلى أرض فلسطين حيث قضى نحبه بها.

##### ثانياً: بنو إسرائيل في مصر (١٦٧٥ - ١٢٥٠ ق.م)

ولد ليعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ اثنا عشر ولداً، وهم: يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وإخوته، ثم انتقل يعقوب وبنوه إلى أرض مصر بعد أن أصبح يوسف ابنه وزيراً الخزائن مصر، واستدعى أهله بعد أن نزغ الشيطان بين يوسف وإخوته، والقصة

(١) أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة: ص ١٦.

مبسوطة في سورة يوسف، واستقر بهم المقام هناك في أفضل المناطق وأحسنها، وقد كان حكام مصر آنذاك من الهكسوس، فلاقى بنو إسرائيل منهم كل إكرام وتبجيل، غير أن الأمر لم يستقم على ما هو عليه؛ إذ ما لبث أن زال حكم الهكسوس في حوالي القرن السادس عشر قبل الميلاد، وتولت الأسرة التاسعة عشر المصرية إدارة دفة الحكم في البلاد، وقد لاقى بنو إسرائيل منهم كل ذل وهوان، وخاصة في عهد رمسيس الثاني، فكانوا كما أشار القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩].

وأغلب الظن أن هذا التغيير والانقلاب في الحال لم يحدث لهم إلا بعد أن ابتعدوا عما كان عليه آباؤهم إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهذه سنة الله في خلقه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وكما هي العادة، فقد اقتضت سنة الله في أن يبعث لهم رسولا، فكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ذكر القرآن المجادلات التي حدثت بينه وبين فرعون مصر، والتي انتهت بخروج بني إسرائيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد بقيادة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من مصر، وأغرق الله فرعون وجنوده أمام أعين موسى، ومن نجا معه<sup>(١)</sup>.

### ثالثًا: بنو إسرائيل في برية سيناء (١٢٥٠-١٢١٠ ق.م)

لقد سرد لنا القرآن الكريم قصة بني إسرائيل بعد هذا الخروج بصورة

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. محمد عزة دروزة، ص٦٤، ط/بيروت ١٩٨٩.

تكشف عن طبيعة النفسية اليهودية وأفكارهم؛ إذ لم يلبثوا أن رأوا قوماً يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تكون لهم آلهة محسوسة ملموسة كهذه يعبدونها، فنهاهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (١٣٨) **إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَطُلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٣٩) **قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** (١٤٠) [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

ثم بعد ذلك تعجل موسى لقاء ربه، فذهب للقائه بعد أن أمر أخاه هارون أن يقوم مقامه في قومه، فانقلبت طائفة من بني إسرائيل، وصنعوا عجلاً جسداً له خوار فعبدوه، وقد أوحى الله إلى موسى يخبره بحال قومه، ثم تاب الله عليهم، وأمرهم بدخول فلسطين، فتخاذلوا عن ذلك وخارت عزائمهم، فضرب الله عليهم التيه في بركة سيناء أربعين عاماً توفي في أثنائها هارون وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

#### رابعاً: بنو إسرائيل في فلسطين (١٢١٠-١٢٠٠ ق.م)

دخل الجيل الجديد من بني إسرائيل أرض فلسطين من الجهة الشرقية بزعامة يوشع بن نون، الذي قاتل الجبابرة<sup>(١)</sup>، واستولى على أريحا، ومناطق عدة من فلسطين، وعبر نهر الأردن، وقاتل من بقى من الكنعانيين، وانتصر عليهم<sup>(٢)</sup>.

(١) الجبابرة: هم الأموريون، أول شعب سامي استوطن سوريا وأقام بها، وانتشروا بعد ذلك في لبنان وفلسطين.

(٢) تاريخ القدس: ص ٣٨، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: ص ٦٨، والبداية والنهاية: ج ١ ص ٣١٨، وتاريخ الأمم والملوك للطبري: ج ١ ص ٤٣٣.

### خامساً: بنو إسرائيل في عهد القضاة (١٢٠٠ - ١٠٠٤) ق.م.

تولى أمور بني إسرائيل بعد يوشع بن نون قضاة منهم نشؤوا فيهم، واشتهروا بأعمالهم الحربية، وبسالتهم، فكانوا يفصلون بين الشعب أيام السلم، ويتولون الأحكام، ويدفعون عنه شر الغزاة الذين كانوا يغيرون على البلاد من أونة لأخرى، وقد بلغ عدد هؤلاء القضاة خمسة عشر قاضياً، وكانت مدة حكمهم بعد يوشع مائتي سنة، اعترف الإسرائيليون بالولاية لهم، وفزعوا إليهم في فض مشاكلهم، وحسم منازعاتهم، فيقضون بينهم بحسب شريعة الله، وبحسب ما يوحيه إليهم التقليد والعقل السليم، غير أن هذه الحالة لم يستمر عليها بنو إسرائيل؛ إذ إنهم لم يلبثوا أن طلبوا من آخر قضاتهم صموئيل النبي (١٠٢٠ - ١٠٠٤ ق.م) - كما أشار إلى ذلك ابن كثير والزمخشري والمراغي أن ينصب لهم ملكاً يقاتلون معه فولّى عليهم طالوت ملكاً، وإلى هذا يشير القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا...﴾ [الآيات [البقرة: ٢٤٧-٢٤٩]، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن النبي المراد في الآية السابقة الكريمة هو (شموئيل) معرّب (صموئيل) (١).

### سادساً: بنو إسرائيل في عهد الملوك (١٠٠٤ - ٥٨٦) ق.م.

بدأ هذا العهد سنة (١٠٠٤ ق.م، وانتهى ٥٨٦ ق.م) بسبي اليهود وإزالة ملكهم، وتولى الملك بعد طالوت داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي قاتل الجبارين، وقتل

(١) تفسير الكشاف للزمخشري: ١/ ٣٧٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج١ ص ٣٠٠،

تفسير المراغي: ج٢ ص ٢١٤.

زعيمهم جالوت قال الله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقد اتسعت دولة بني إسرائيل في عهده وازدهرت، وخلفه ابنه سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقد توفي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة ٩٢٨ ق.م، وخلفه ابنه رحبعام، والذي لم يكن علي قدر من الحنكة والسياسة، فضعفت الدولة في عهده، وانقسمت إلى مملكتين:

#### ١ - مملكة إسرائيل الشمالية (٩٢٨-٧٢٠ ق.م): وتتكون من عشرة أسباط

انشقوا عن رحبعام بن سليمان، وكونوا مملكة إسرائيل، وجعلوا عاصمتها السامرة، وكانت أكثر ثراءً، وأكثر تعرضاً للغزو الأجنبي من المملكة الجنوبية، ولم يكن لملوكها سياسة خارجية واضحة، وكانت غير مستقرة سياسياً حكمها تسعة عشر ملكاً ينتمون إلى تسع أسر خلال واحد وثلاثين عاماً، مات منهم عشرة عن طريق العنف، وبقي في الحكم سبعة ملوك، حكم كل واحد منهم أقل من سنتين، وكان أول ملوكها يربعام الأول (٩٢٨ - ٩٠٧).

#### ٢ - مملكة يهوذا الجنوبية (٩٢٨-٥٨٦ ق.م): كانت تحت رئاسة قبيلة

يهوذا، وعاصمتها القدس كانت أكثر استقراراً من المملكة الشمالية لصغر حجمها، وقلّة أهميتها السياسية والاقتصادية، وفقرها وبعدها عن طرق الجيوش الغازية ظهر فيها معظم الأنبياء، كما دوّنت فيها معظم نصوص العهد القديم، وكان أول ملوكها رحبعام بن سليمان (٩٢٨ - ٩١١ ق.م)، وتكونت من سبطي يهوذا وبنيامين، وقد حاصر الآشوريون مملكة يهوذا،

وفي سنة ٦٠٨ ق.م زحف فرعون مصر إلى مملكة يهوذا فاحتلها، ثم احتل مملكة إسرائيل، ثم غزاها بختنصر عام ٥٩٧ ق.م ثم غزاها مرة أخرى، وحطمها نهائيًا عام ٥٨٧ ق.م، وسبى الكثير من سكانها في بابل (السبي المشهور)، وقضى على مملكتي إسرائيل ويهوذا.

وقد مرت السيطرة البابلية على دويلة يهوذا بسياستين:

الأولى: التبعية والموالاة. الثانية: القهر والإذلال والقضاء على كيان الدويلة نفسها، واستعباد السكان بالسبي والرق.

ولما استولى قورش ملك فارس على بابل أعاد اليهود من أسر بابل سنة ٥٣٨ ق.م، لكنهم لم يؤسسوا دولة، فقد كانت عودتهم تمثل جماعة تابعة للحكم الفارسي خاضعة له.

ثم وقعوا تحت أسر السوريين السلوسيين سنة ٢٠٣ ق.م، ثم قام الكاهن مكابياس اليهودي بثورة فاشلة سنة ١٦١ ق.م، فدفح حياته ثمناً لفشله، ولم يحقق شيئاً من الاستقلال لليهود، وبعد ذلك وقعوا تحت حكم الرومان<sup>(١)</sup>.

وفي عام ٧٠م قام الإمبراطور الروماني طيطس بتدمير الهيكل الذي بناه زر بابل، وفي مطلع سنة ١٣٢م قام باركوكبا يسانده الحاخام أكيبا بحركة ثورية ضد الإمبراطور الروماني هادريان، ولكن القائد الروماني تمكن من إخماد الثورة، ودخل أورشليم بعد تدميرها، وأقام معبداً للإله جوبيتر مكان

(١) القدس عبر العصور، خالد عمّار: ص٢٤، ٢٥. بتصرف، وأهمية القدس في الإسلام،

المعبد اليهودي القديم، وفي عام ٣٢٠م عندما عاد القائد بطليموس إلى مصر بعد غزو فلسطين رافقه عدد كبير من اليهود واتخذوا من الإسكندرية موطناً لهم وهؤلاء اليهود الذين استوطنوا الإسكندرية لم يفكروا إطلاقاً في العودة إلى أورشليم، فقد استقروا في موطنهم الجديد، وتأثروا بالبيئة اليونانية المحيطة بهم، كما تركوا بدورهم أثرهم في هذه البيئة بما حملوه من تعاليم دينية، وإبان الحكم الروماني على فلسطين كان عدد المؤمنين باليهودية في أنحاء العالم أضعاف العدد الموجود في الأرض المقدسة.

ولما فتح المسلمون بلاد الشام شعر اليهود الذين بقوا فيها بالاستقرار لأول مرة في تاريخهم الطويل والقلق، وعاشوا عيشة ناعمة في ظل الإسلام يتمتعون بمكاسبهم المادية، ويمارسون شعائرهم الدنيوية دون ما تدخل من أحد، واشتغلوا بالتجارة، وازدهرت حالهم في عواصم بلاد الإسلام مثل بغداد، والقاهرة، ودمشق، وقرطبة، ومن أوائل القرن التاسع الميلادي صار لهم مراكز في القاهرة، وفارس، والمغرب، وحظوا بالقرب من خانات المغول المسلمين<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول: إن العبرانيين كانوا دخلاء على هذه الأرض دون أن يكون لهم جذور فيها، ومع ذلك فقد امتنعت عليهم فلسطين جارة الكنعانيين، بل وهزمهم الفلسطينيون في كل المعارك التي التقوا بهم على أرضها، وأوقفوا تقدمهم المرة تلو المرة في منطقة التلال الداخلية، أما

(١) اليهود واليهودية التاريخ والعقيدة والأخلاق، د/ السيد أحمد فرج: ص ٤٦، ما ثمن

إسرائيل الفرد، ليلنتال ترجمة ياسر هواري: ص ١٣.

السواحل البحرية فقد بقيت في أيدي الفلسطينيين، وفي المناطق التي كان يدخلها اليهود الغزاة كانوا يجدون مقاومة من سكان فلسطين الأصليين، وأن مدة وجودهم كمحتلين لهذه الأرض من دخول يوشع حتى سقوط دويلة يهوذا حوالي خمسة قرون كان البابليون والسوريون من الشمال والمصريون من الجنوب يشعرون خلالها بأن اليهود جنس غريب - مع أن اليهود خير منهم يومئذ - أكثر تخلفاً، وانحطاطاً، ومرضٍ معدٍ يجب استئصاله من المنطقة، ولم يكن لهم بال حتى قضوا عليها المرة بعد المرة، ولكن كانت تعيدهم قوة أخرى، كما فعل معهم قورش الفارسي، ومع هذا فقد قضى عليهم نهائياً، وانتهت أحلام اليهود القديمة على هامش الحقيقة الكبرى المتمثل في تاريخ مصر، وسوريا، وبابل، وآشور، وفينيقيا في ذلك الزمن القديم<sup>(١)</sup>.

### سابعاً: اليهود في العصر الحديث:

بعد الفتح الإسلامي عاش اليهود في ظل سماحة الإسلام، وعدله، وحمایته للذميين والمعاهدين عيشة الرخاء والسعادة، وهم قلة متفرقون، بعد أن طهرت الجزيرة العربية من طوائف اليهود (بني قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة ويهود خيبر) حتى استقر أكثرهم بالشام خاصة في أذرعات. وظل اليهود كذلك مشتتين تعاني الدول من فساد أخلاقهم، وغدرهم،

(١) دائرة المعارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي: ج١ ص ٢٨٤. مقارنة الأديان

اليهودية، د/ أحمد شلبي: ص ٨٢.

وخيانتهم، ولاقوا أشد أنواع الاضطهاد في زمان هتلر وما بعده حتى طرحت فرنسا لأول مرة فكرة توطين اليهود في فلسطين مقابل مساندة اليهود للحملات الفرنسية لاحتلال الشرق الإسلامي.

وفي عام (١٧٩٨م) فور وصول نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية على مصر أصدر نابليون بياناً حثّ فيه جميع يهود آسيا وأفريقيا على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة مجدهم الغابر، وإعادة بناء القدس القديمة، ولما تولى الوالي العثماني محمد علي حاكم مصر جعلت بريطانيا تفكر جدياً في توطين اليهود في فلسطين لحماية مصالحها في تلك الديار، ومن ثمّ قامت بريطانيا بافتتاح أول قنصلية لها في القدس في يوليو سنة ١٨٣٨م برئاسة المستر يانج، وكانت القوانين العثمانية تنص بصراحة ووضوح على منع بيع الأراضي والعقارات في القدس وضواحيها لليهود، ومارست بريطانيا ضغطاً بحيث تصبح القدس مفتوحة لليهود، وتمكن موسى مونثفوري في عام ١٨٥٥م من الحصول على فرمان من السلطان عبد الحميد تسنى له بموجبه شراء أول قطعة أرض في القدس خارج سور المدينة القديمة، وبدلاً من أن يقيم عليها مستشفى - كما ورد في فرمان - أقام عليها أول حي سكني يهودي عرف فيما بعد باسمه حي «مونثفوري»<sup>(١)</sup>.

وفي ١٨ أكتوبر سنة ١٨٩٨م تمكن هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية من مقابلة القيصر في العاصمة العثمانية الأستانة، وعرض عليه مشروعه

(١) موسوعة اليهود واليهودية: ج٤، ص٩٦، والقدس قضية كل مسلم. د/ يوسف

الاستيطاني في فلسطين تحت الحماية الألمانية، وعلى هذا يمكننا الإشارة إلى أنه لم يحدث في تاريخ مدينة القدس ما يشكك في أصولها العربية وهويتها الإسلامية حتى أصدرت الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧م تصريح بلفور، والذي تضمن وعداً بريطانياً بتمكين اليهود من إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وصدر هذا التصريح في ظل ظروف سياسية اقتضتها الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م)، وعندما تهيأت الظروف، وانتقل النشاط الصهيوني إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م - ١٩٤٥م) أخفقت الصهيونية في تهويد القدس الشريف حتى أحالت حكومة الانتداب البريطانية القضية الفلسطينية برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة في مايو عام ١٩٤٧م، وقد جدد برنادوت مقترحاته في صدور التعديلات الإقليمية التي يرى إدخالها على مشروع التقسيم، وقدمها إلى هيئة الأمم في ٢٧ يونيو ١٩٤٨م، وأعلنت إسرائيل دولة رسمية من وقتها وطمع الإسرائيليون وساستهم في ضم المزيد من الأراضي حتى يتحقق لهم ما ترنوا إليه أبصارهم من جعل القدس بكاملها العاصمة لدولتهم، ويعد ذلك أحد الأسباب التي دفعت إسرائيل لشن عدوانها الغاشم في سنة ١٩٦٧م.

وبدأت الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات الدينية بعد احتلال إسرائيل للقدس في عام ١٩٦٧م، كالحريق الذي اندلع في المسجد الأقصى، والاعتداءات والحفريات التي تعرض لها المسجد مع ترويع الأمنين، وهدم المنازل، وقتل الأبرياء، ونقض العهود والمؤتمرات، وصدق الله العظيم إذ

يقول: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

### ● المطلب الثاني: موجز عن تاريخ القدس عبر أطوار مختلفة

بعدما قدمنا عرضاً موجزاً عن تاريخ بني إسرائيل، ونشأتهم نتناول مدينة القدس، وتاريخها، وساكنيها لتبين وجه الحق في أحقية الملكية والشرعية لهذه المدينة، وهل لليهود حق في تملك القدس وفلسطين؟ أم أنه مجرد ادعاء لا تثبت له أقدام؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نوضح ما يلي:

أولاً: من المسلم به من الوجهة التاريخية أن اليهود ما عرفوا فلسطين عامة، والقدس خاصة إلا غزاة محتلين، أو بدواً مهاجرين، ولقد كان العبرانيون في الأصل من البدو الرحل الذين يعيشون على أطراف المدينة، وينتقلون على الطرق الأساسية للتجارة، ومن المعلوم قطعاً أن موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لم يدخلوا فلسطين.

وتفيد التوراة أن يوشع بن نون - فتى موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - حين دخل فلسطين - وهي أرض كنعان حفيد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ - أعمل القتل والإبادة في مدنها، وبعد غزو العبرانيين أطلق على تلك الأرض أرض إسرائيل والأرض المقدسة، وأرض الموعد، وأرض العبرانيين، وبنو إسرائيل ليسوا سكان فلسطين الأصليين، وهناك شعوب وأقوام سابقون سبقوا إلى تلك المنطقة، وهم عرب أقاموا في تلك المنطقة في الألف الثالثة قبل الميلاد<sup>(١)</sup>.

(١) اليهودية. د/ أحمد شلبي: ص ٩٠.

ومرت القدس بأطوار مختلفة (يبوس - أورشليم - إيلياء - بيت المقدس) الطور الأول (يبوس): سكن اليبوسيون القدس، وهم أقدم سكانها، وأطلق على المدينة اسم ييوس نسبة إلى أحد أولاد كنعان، ويرجع تاريخ وجودهم في المدينة إلى حوالي ٣٠٠٠ سنة ق.م، واليبوسيون بطن من بطون العرب الأوائل نشؤوا في الجزيرة العربية، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية، ومن ملوكهم: (ملكي صادق)، وكان أول من خطط لبناء مدينة ييوس (القدس)، ثم قام بتحسينها، وكان قبل ذلك يسكن هو وقومه الكهوف، عرف بالتقوى، وكان محباً للسلام حتى أطلق عليه ملك السلام، ومن هنا جاء اسم المدينة (سالم) أو (شالم)، وعرفت بعد ذلك باسمها الكنعاني (أوروسالم)، أي: مدينة السلام، واختيار اليبوسيون هذا الموقع (القدس) اختياراً موفّقاً، فهو موقع استراتيجي منيع حصين لا يُغري أحداً للذهاب إليه أو الإغارة عليه، فهو على ربوة مثلثة الشكل، أي: تل مرتفع يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ - ٢٤٦٩ قدماً، فهي تقع على خط عرض ١٣٣١ / ٤٥ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ١٣٣٥ / ٢٥ شرق جرينتش، وقد شيد أحد ملوكها (سالم اليبوسي) برجاً بقصد الدفاع عن المدينة فوق الهضبة الجنوبية فوق جبل (صهيون)، وكانت مدينة ييوس ذات أهمية من الناحية التجارية، فهي تقع بين طريقين من أهم طرق التجارة طريق يربط البحر بالصحراء، والآخر يربط حبرون (الخليل) ببيت إيل من أعمال رام الله، ولما تفرقت كلمة اليبوسيين استغل العبرانيون الفرصة فراحوا يغزونهم، وكادوا يقتحمون مدينتهم؛ وذلك لأن العبرانيين كانوا كلما دخلوا مدينة

أعملوا السيف والنار فيها، وفي سكانها، ومنهم - أي: من اليوسيين - اشترى داود الأرض التي بنى عليها الهيكل كما سبق بيانه: «فقال داود: لأشترى منك البيدر لكي أبني مذبحًا للرب»<sup>(١)</sup>.

ويضاف إلى تأكيد الهوية العربية أن من أسماء القدس (أورشليم)، وقد جاءت من (أورسالم)، أي: مدينة السلام، وهي كلمة ييوسية (يورشليم) من مقطعين (يور) بمعنى: يؤسس أو مدينة، (شالم) أو (شليم) بمعنى الإله السامي للسلام، وقد ورد اسمها في الكتابات المصرية المعروفة كما وردت في مراسلات تل العمارنة<sup>(٢)</sup>.

الطور الثاني (إيليا): لقد تم تدمير القدس والهيكل مرات عدة سبق بيانها، والآن مع وقفة مع هيكل هيردوس آخر وجود للهيكل اليهودي الذي تم على عهد طيطس الروماني سنة ٧٠م.

لقد أمر الأباطرة الرومان في ذلك الوقت بدءًا من عهد فسباسان (٧٠-٧٩م) إلى عهد تراجان (٩٨-١١٧م) بالبحث عن أي يهودي يزعم أنه من سلالة داود؛ لإعدامه، وضربت القدس، وكان يصعب على الزائر أن يصدق أن أورشليم يومًا كانت مدينة مأهولة، أما سبب هذه التسمية إيليا أو إيلياء، فإن الرومان عندما غزوا أرض فلسطين عمد الإمبراطور الروماني (إيلوس هدریان) (١٣٠-١٣٨م) إلى إكمال ما بدأه طيطس من هدم المدينة

(١) سفر صموئيل الثاني: ١١/٢٤.

(٢) تاريخ القدس: ص ٤٠، وأهمية القدس في الإسلام: ص ١٣.

والهيكل، وأجلى عنها اليهود، وأقام مكان المعبد هيكلًا لوثن الرومان (جوبيتر)، وهو كبير آلهتهم، ووضع في المعبد تمثالاً لهذا الإله المزعوم، كالتمثال الذي في معبد (الكاييتول) الروماني، وقرر الإمبراطور (إيلوس هديران) محو وتغيير كل أثر لليهودية في المدينة المقدسة حتى اسمها، فإنه اختار اسمًا جديدًا يتكون من كلمتين إحداهما مأخوذة من اسمه هو (إيلوس)، والثاني من اسم معبد الرومان (كاييتول)، فأصبح اسم المدينة (إيليا كاييتولينا)، ويقال: إن معنى (إيلياء) بيت الله، كما أن تسمية المدينة ببيت المقدس معروفة عند العرب كما في حادثة الإسراء في السيرة النبوية، ومن أسمائها أيضًا: القدس، والأرض المقدسة، والأرض المباركة، وهي تسميات ثابتة في القرآن والسنة<sup>(١)</sup>.

### الطور الثالث (بيت المقدس): ظل بيت المقدس في قبضة الرومان

الوثنيين، ثم المسحيين لمدة سبعة قرون تقريبًا من عام ٦٤ ق.م حتى ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي، وحدثت مواجهات بين المسلمين والرومان، ففي غزوة مؤتة (٨هـجرية-٦٢٩م) كانت الطليعة الأولى لتلك المواجهات، ثم غزوة تبوك (٩هـ-٦٣٠م)، ثم كان بعث أسامة بن زيد في السنة الحادية عشرة من الهجرة ٦٣٢م، ثم كانت فتوحات أبي بكر الصديق سنة (١٣هـ-٦٣٤م) حيث وجهت أربعة جيوش إلى بلاد الشام بقيادة يزيد بن أبي سفيان وأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحيل بن

(١) قبل أن يهدم الأقصى: ص٦٧، المسلمون واسترداد بيت المقدس محمد محمد الفحام.

حسنة، ثم سير أبو بكر جيشاً آخر بقيادة خالد بن الوليد، ثم كانت خلافة عمر واستمرت الفتوحات في بلاد الشام، وفي سنة (١٥هـ - ٦٣٦م) حاصر أبو عبيدة بيت المقدس حتى أجابه أهلها إلى الصلح على أن يكون المتولي للصلح عمر بن الخطاب، فاستجاب لذلك عمر واستقبله صفروينوس بطريك بيت المقدس، فأعطاه عمر وثيقة الأمان المعروفة بالعهد العمري.

### ● المطلب الثالث: الوثيقة العمرية

كتب عمر بن الخطاب وثيقة لنصارى بيت المقدس يوم فتحت هذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء

رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة»<sup>(١)</sup>.

وأقام عمر مسجداً في القدس أمام الصخرة، بعدما طرح بنفسه ومن معه القمامة من المكان الذي اتخذه مسجداً، ثم جاء عبد الملك بن مروان فبنى مسجد قبة الصخرة، ويعتبر آية في العمارة الإسلامية، كما قام ببناء المسجد الأقصى، وكان المبدأ في ذلك المعمار عام ٦٦ هـ - ٦٨٥ م، وأوقف عبد الملك خراج مصر لسبع سنين لتشيدهما، وتم البناء عام ٧٢-٧٣ هـ، وعهد بذلك لأبي المقدم رجا بن حيوة، ومعه يزيد بن سلام، ولما فرغ من البناء، وبقي مائة ألف دينار كتب إليهما الأمير قد أمرت بها لكم جائزة لما وليتها من عمارة البيت الشريف المبارك فكتبا إليه: «نحن أولى أن نزيده من حلّى نسائنا فضلاً عن أموالنا»، وبلغ التسامح في الإسلام مبلغه حين استخدم المسلمون بعض الخدم من اليهود والنصارى، كما أطلقوا على بعض أبواب المسجد الأقصى أسماء أنبياء بني إسرائيل: باب داود وباب سليمان، وسموا أحد الأبواب باب حطة.

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢/٤٩٩) وتاريخ القدس: ص ١٥٤، وقبل أن يهدم

ويستفاد من تلك الكتابات السابقة:

١ - حكم داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الممالك اليهودية وفلسطين بعد أن رفض اليهود دخولها زمان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكنهم دخلوا بأمر الله أيام يوشع بن نون فتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢ - لم يُبق لنا تاريخ إلا أن نعترف بعروبة القدس ابتداءً وانتهاءً دون النظر إلى هذه الترهات والأباطيل التي يروجها الصهاينة الملحدون، وما هم عليها إلا غزاة محتلون، ولقد أمرهم الله بدخولها من زمان نبينهم موسى فأبوا وجبنوا.

٣ - طبعت القدس بطابع إسلامي، وعادت إليها عربتها، وقدم عليها العرب المسلمون واستوطنوها، وعنى بها الخلفاء والأمراء من عهد الخلافة الراشدة إلى الدولة العثمانية، وبعد عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد من أعظم العهود التي مرّت بالمدينة المقدسة عمارة، وتشيداً واكتسيت المدينة المقدسة الطابع الإسلامي الواضح.

٤ - التسامح الإسلامي مع جميع الطوائف، فبعد الفتح مباشرة وافق صفروينوس على عدم السماح لليهود بسكنى بيت المقدس، وكان قد حظر على اليهود سكنى أورشليم ونواحيها منذ أمد طويل، غير أن عمر قام بإلغاء ذلك الترتيب فيما بعد، فلم يكن هناك سبب وجيه لأن ينكر على اليهود حق سكنى مدينة داود، ولذا قام عمر بدعوة سبعين عائلة من طبرية للاستيطان في بيت المقدس، وخصصت لهم المنطقة الواقعة حول بركة سلوام في الركن الجنوبي الغربي من الحرم، وأنه من المؤكد أن النظام سمح للناس من

مختلف العقائد أن يتعايشوا في تناغم نسبي، وضمن بشكل أساسي بأن تعامل الأقليات معاملة شرعية كريمة، ونعم سكانها في ظل الحكم الإسلامي على اختلاف مراحلها بالاستقرار، والأمان، والتسامح، وحرمة التدين.

### المبحث الثالث

#### مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب القانوني

##### ● تمهيد

فتح وعد بلفور عام ١٩١٧م، والانتداب البريطاني الذي تلاه، والذي تضمن هذا الوعد، آفاقاً جديدة لم تكن الصهيونية لتحلم بها، وكان الغرض الرئيس لنظام الانتداب خلق البيئة الملائمة للصهيونية لإرساء قواعدها في البلاد، وأحدث ثورة جذرية في الأوضاع الراهنة على جميع المستويات:

أولاً: بالنسبة إلى التوازن العددي عن طريق هجرة اليهود.

ثانياً بالنسبة إلى ملكية الأرض الزراعية عن طريق الزيادة المطردة لمساحة الأراضي التي في حوزتهم.

ثالثاً: بالنسبة إلى الوضع الاقتصادي عن طريق الاستيلاء على مرافق البلاد الحيوية.

ولقد حاولت الصهيونية منذ البدء أن تقلب الوضع الراهن بالنسبة إلى الأماكن المقدسة، وركزت جهودها على الحائط الغربي، ولم يكن للصهيونية حينذاك العنفوان الذي لهم اليوم، ولذلك لم تكن وسائلها

الجرارات التي تزيل بها الآثار العربية من أسسها بين عشية وضحاها<sup>(١)</sup>.

أما أساليب الصهيونية وقتها في إثبات حقوقهم أو ادّعائهم فهي جلب الكراسي والمصايح والستائر من قبل المصلين اليهود على غير عاداتهم السابقة، ووضع هذه الأدوات أمام الحائط حتى يحدثوا سابقة تمكنهم من التقدم إلى الادعاء بحق ملكية الأرض التي يضعون هذه الأدوات عليها، وانتبه العرب والمسلمون إلى هذه الحيلة، وأخذوا بالاحتجاج لدى الحكومة المنتدبة على هذا الخرق للوضع الراهن، وأدى التوتر عند الحائط إلى انفجار عربي مسلح، وثورة عارمة ضد الجاليات اليهودية في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية ردّاً على المؤامرة الصهيونية على الحائط الغربي، وكان ذلك الانفجار والثورة عام ١٩٢٩ م.

### ● المطلب الأول: وعد بلفور وصك الانتداب

أولاً: وعد بلفور ١٩١٧ م: الصادر عن الحكومة البريطانية في ١٩١٧ م إلى الصهيونية الدولية بإنشاء وطن قومي في فلسطين، وهذا الوعد باطل لأسباب:

(١) كان وعد بلفور يتعلق بأرض لا صلة قانونية لبريطانيا بها، ويعطي هذه الأرض لمن ليس له أية صفة لتسلمها، وهو ليس اتفاقاً بين دول، وإنما خطاب أرسله اللورد بلفور إلى شخص ليست له أي صفة للتعاقد رسمياً،

(١) المسلمون واسترداد بيت المقدس. محمد محمد الفخام: ص ٢٨. ط/ مجمع البحوث

وهو الصهيوني البريطاني «اللورد رتشيلد»<sup>(١)</sup>.

(٢) عند صدور هذا الوعد (١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) لم تكن فلسطين أرضاً، أو مملكة، أو محمية بريطانية، بل كانت ولا تزال جزءاً من ولايتي دمشق وبيروت العربيتين في الدولة العثمانية، وبريطانيا لم تكن في ذلك، ولا قبله تملك أي حق من حقوق السيادة في فلسطين حين تستند إليه في منحها، أو تسوغ بموجبه تصرفها العدواني بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود العالم، وعليه فإن الوعد باطل من وجهة نظر القانون الدولي، ولا يشكل إلا مجرد وعد فردي.

(٣) وعد بلفور ملغي بمقتضى عهد عصبة الأمم المتحدة، فقد نصت المادة الثانية من عهد العصبة الذي وقعته بريطانيا بصفتها عضواً ومؤسساً في تكوين عصبة الأمم المتحدة على اعتراف الدول الأعضاء في العصبة ببطلان كل معاهدة، أو اتفاق، أو عهد سابق ارتبط به الأعضاء قبل تأسيس العصبة، وكان موضوعه يتنافى مع مبادئ عهد العصبة أو نصوصه.

وكان عهد العصبة يقوم في الدرجة الأولى على احترام حق الشعوب بالاستقلال، وتقرير المصير، وكانت مبادئه الأساسية تنص على احترام قواعد القانون الدولي، ومبادئ الحق والعدل وقيم الأخلاق والإنسانية<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: صك الانتداب :

إن الحجة القانونية الثانية التي يتذرع بها اليهود هي «صك الانتداب

(١) فلسطين والمزاعم اليهودية ص ١٤٥.

(٢) القضية الفلسطينية، صلاح الدباغ: ص ٦٤، فلسطين والمزاعم اليهودية: ص ١٤٦.

البريطاني» على فلسطين الصادر عن عصبة الأمم في (١٩٢٢م)، والذي ينص على مطالبة بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور، والعمل على إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وهذه الحججة باطلة لأسباب، هي:

(١) أن صك الانتداب على فلسطين يخالف المبدأ الأساسي الذي قامت عليه عصبة الأمم المتحدة، وهو حق تقرير المصير، فعلى الرغم من إقرار مجلس الحلفاء لهذا المبدأ الأساسي وإثباته في عهد عصبة الأمم عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)، فإن العصبة تجاهلت هذا الحق كلياً بالنسبة لفلسطين، وتجاهلت كل النداءات، والقرارات، والمؤتمرات، والاستفتاءات التي عبر بواسطتها شعب فلسطين عن إرادته في مستقبله وتحديد مصيره<sup>(١)</sup>.

(٢) إن صك الانتداب على فلسطين مخالف بشكله وموضوعه لعهد عصبة الأمم، ومبادئه، ومناقض بأهدافه، ووسائله لنظام الانتدابات، ولأحكام المادة (٢٢) من عهد العصبة، والتي تنص على: «أن بعض الجماعات التي كانت من قبل تابعة للدولة العثمانية قد وصلت من الرق إلى درجة يستطاع معها الاعتراف بقيامها بصفة أمم مستقلة، وتقوم عليها دولة منتدبة إلى أن تصبح قادرة على الوقوف وحدها، واختيار رئيس لها»<sup>(٢)</sup>.

(١) العدوان الصهيوني والقانون الدولي، شفيق الرشيدات: ص ١٣٠.

(٢) فلسطين والمزاعم اليهودية: ص ١٤٧.

## ● المطلب الثاني: قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية، ودولة يهودية، ومنطقة دولية الصادر في ١٩٤٧ م

وهذا هو المستند الثالث لليهود في ادعائهم ملكية فلسطين، وهو باطل لأسباب؛ هي:

(١) بالنسبة لتجاوز قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين دون نظام أو وصايا دولية، فإن الفقرة: (٢) من المادة (١) من ميثاق الأمم المتحدة أكدت على: «أن مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها هو إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها حق تقرير المصير».

(٢) بالنسبة لعدم صلاحية الأمم المتحدة لإصدار هذا القرار المتعلق بتقسيم فلسطين كان يجب على الأمم المتحدة أن تعالج القضية المطروحة أمامها استناداً إلى أحكام ميثاقها، فإما أن تقرر فوراً الاعتراف بحق شعب فلسطين بتقرير مصير طبقاً للمادة الأولى من الميثاق، وإما أن يقرر وضعها تحت نظام الوصايا الدولية بمقتضى أحكام المادة (٦٧) من الميثاق ذاته، غير أن الأمم المتحدة استبعدت أيّاً من الحلين الصحيحين، ولجأت إلى تأليف لجنة للتحقيق في شأن قضية فلسطين، وأسفرت اللجنة عن أغلبية (٣٣) صوتاً مع التقسيم، و١٣ صوتاً ضد التقسيم، وامتنعت ١٠ دول عن التصويت<sup>(١)</sup>.

(١) العدوان الصهيوني: ص ٤٣.

(٣) لم يكتب هذا القرار صفته النهائية القطعية بالتقسيم وإجراءات الأمم المتحدة، بل إنه قرار ملغي من قبل مجلس الأمن والجمعية العمومية ذاتها، فكان قرار مجلس الأمن رقم ٢٧١ بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٨٤ م، وقرار الجمعية العمومية الثاني بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٨٤ م إلغاءً صريحاً لمشروع تقسيم فلسطين<sup>(١)</sup>.

(٤) «مرور الزمن لا يكسب إسرائيل مسوغاً يؤكد ملكيتها لفلسطين»، إن مرور الزمن المكسب لم يقرَّ بصورة كاملة؛ لا في القانون، ولا في الواقع، ولا يعطي لإسرائيل حقاً في ملكيتها لفلسطين، ثم إن إسرائيل لم تحترم ولم تنفذ قرار الأمم المتحدة ١٩٤٧، ويؤيد ذلك العدوان الغاشم في يونيو ١٩٦٧ م، الذي يدل فعلاً على الاغتصاب، والقوة، والعدوان، وليس على مقاصد ومبادئ الأمم المتحدة، أو الشرعية الدولية<sup>(٢)</sup>.

### • **المطلب الثالث: قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن بشأن فلسطين**

صدرت قرارات عديدة عن هيئة الأمم المتحدة تدين احتلال اليهود للأراضي العربية بما فيها فلسطين، وبشكل خاص القدس، وضمها لها عام ١٩٦٧ م، فعلى سبيل المثال ما بين عامي (١٩٤٩) و(١٩٦٤) م أصدر مجلس الأمن سبعة وسبعين قراراً بإدانة إسرائيل.

#### أولاً: قرارات الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة:

(١) قرار رقم ٢٢٥٣ بتاريخ ٤ يونيو ١٩٦٧ م، ونصه: «دعوة إسرائيل إلى

(١) القضية الفلسطينية، صلاح الدباغ: ص ٢٤.

(٢) فلسطين والمزاعم اليهودية: ص ٣٢٨.

إلغاء التدابير المتخذة لتغيير وضع مدينة القدس، والامتناع عنها في المستقبل».

(٢) قرار رقم ٢٢٥٤ في ١٤ مايو ١٩٦٧م الجلسة الاستثنائية، ونصه: «إبداء الأسف للتدابير التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس، إن الجمعية إذ تحيط علماً مع أشد الأسف وأبلغ الأسى عدم التزام إسرائيل بالقرار رقم ٢٢٥٣»<sup>(١)</sup>.

(٣) قرار رقم ٢٥٤٦ أغسطس ١٩٦٩م، ونصّه: «إدانة انتهاكات حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، والطلب إلى إسرائيل الكف عن إجراءاتها القمعية»<sup>(٢)</sup>.

(٤) قرار رقم ٢٨٥١ في ٢٠ أغسطس ١٩٧١م، ونصه: «مطالبة إسرائيل بشدة بأن تلغي جميع الإجراءات لضم واستيطان الأراضي».

(٥) قرار رقم ٣٤١٤ عام ١٩٧٥م، ونصه: «الحظر من احتلال الأراضي، أو اكتسابها باستخدام القوة، والتي تعتبر أي احتلال عسكري لهذه الأراضي، ولو كان مؤقتاً، أو أي ضم لها أو لجزء منها بالقوة، عملاً من أعمال العدوان».

(٦) قرار رقم ٢٣/٥ عام ١٩٧٧م، ونصه: «الإجراءات الإسرائيلية في الأراضي العربية مخالفة لأحكام الأمم المتحدة».

(٧) قرار رقم ٣٢/٢٠ في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٧٧م، ونصه: «تدين

(١) قرارات الأمم بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٧م: ص ٢١٠.

(٢) قرارات الأمم بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي: ص ٩٢.

الجمعية استمرار احتلال إسرائيل للأراضي العربية».

٨) قرار رقم ٢ / ٧ عام ١٩٨٠ م، ونصه: «مطالبة إسرائيل بالبداية في الانسحاب قبل ١٥ مايو ١٩٨٠ م من جميع الأراضي العربية المحتلة ١٩٦٧ م».

٩) قرار ٨٦ / ٣٧ في عام ١٩٨٢ م، ونصه: «الدعوة إلى الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأرض العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ م، وإلى ممارسة الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره، وإقامة دولة مستقلة»<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من قرارات الجمعية العامة التي تطالب إسرائيل بالرجوع إلى حدود ١٩٦٧ م وإدانتها ممارستها العنيفة والوحشية على الشعب الفلسطيني وأرضه.

### ثانياً: قرارات مجلس الأمن

١) قرار ٢٤٢ في ٢٢ عام ١٩٦٧ م، ونصه: «إقرار مبادئ سلام شامل وعادل دائمين في الشرق الأوسط، وعدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق القوة، ونص على عروبة القدس».

٢) قرار ٢٥٢ في ٢١ / ٥ / ١٩٨٦ م مجلس الأمن، وينص على: «بطلان جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية، وجميع الأعمال التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأماكن التي غيرت الوضع القانوني في القدس».

(١) قرارات الأمم بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي: ص ١٠٥-١٢٥، عام ١٩٧٧ م:

ص ١١، وقرارات عام ١٩٨٠: ص ٣، وعام ١٩٨٢ م: ص ٤٨.

(٣) قرار رقم ٢٧١ في عام ١٩٦٩ م مجلس الأمن، ونصه: «إدانة إسرائيل لتدنيس المسجد الأقصى، ودعوتها إلى إلغاء جميع الإجراءات التي من تغيير وضع القدس».

(٤) قرار رقم ٤٧٨ في عام ١٩٨٠ م، ونصه: «عدم الاعتراف بالقانون السياسي الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي بشأن توحيد القدس الشرقية والغربية، وجعلها عاصمة موحدة لإسرائيل».

(٥) قرار مجلس الأمن رقم ٤٤٦ في يناير ١٩٧٩ م، ونصه: «أن الممارسات الإسرائيلية لإقامة المستوطنات عقبه خطرة في وجه السلام في الشرق الأوسط، وليس لها أي مستند قانوني».

(٦) قرار مجلس الأمن ٤٦٥ عام ١٩٨٠ م، ونصه: «مطالبة إسرائيل بتفكيك المستوطنات القائمة والتوقف عن تخطيط وبناء المستوطنات في الأرض العربية المحتلة بما فيها القدس»<sup>(١)</sup>.

### ● المطلب الرابع: أسباب مخالفة اليهود لقرارات الأمم المتحدة وعدم تنفيذها

يرجع ذلك إلى:

١- العداة الغربي للإسلام: قال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

(١) قرارات الأمم بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي: ص٤٤، قرارات عام ١٩٨٠ م:

٢- سيطرة اليهود على العالم الغربي سياسياً ومادياً وإعلامياً، لا سيما الولايات المتحدة.

٣- سوء نية اليهود المصممة على رفض الانصياع إلى قرارات المنظمة العالمية حتى قرار التقسيم، وكذلك قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن.

٤- تقاعس منظمة الأمم المتحدة في تنفيذ قراراتها ضد إسرائيل، وكل ذلك يرجع إلى تحكّم الدول الكبرى في وضع هذه القرارات وتنفيذها، وأهمها الولايات المتحدة التي تستخدم هذه المنظمة الدولية (منظمة الأمم المتحدة) لمساندة ودعم اليهود.

٥- تفرق الأمة الإسلامية وتشردمها؛ الأمر الذي أفقدها عزتها وهبتها بين دول العالم، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

## المبحث الرابع

### مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب الأثري

#### ● تمهيد

يحاول اليهود منذ أن احتلوا القدس -بل وقبلها- أن يعثروا على أي أثر يدل على مكان الأقصى والصخرة، وشارك في مراحل الحفريات التي مارستها إسرائيل علماء أثريون استقدمتهم إسرائيل، وذلك في المرحلة التاسعة من مراحل الحفريات عام ١٩٨٦م، وعلى رأسهم العالم الأثري

القسيس المسيحي (برجيل بكسنز)، وأجرى علماء الآثار بحوثهم، ودراستهم على منطقة المسجد ألقى ودون الباحثون نتائجهم على المنطقة في صورة موجزة للعصور الأثرية الناتجة عن الحفريات، فكانت دراسات لجان الآثار على النحو التالي:

### ● المطلب الأول: العصر البرونزي والعصر الحثي والعصر الحديدي المتأخر

١- العصر البرونزي، ويبدأ من ١٤٠٠ ق.م إلى ١١٠٠ ق.م. لم تكشف لنا الحفريات عن بقايا نقود تعود إلى تلك الحقبة، وأرخ بعض الباحثين الآبار على أساس أنها كانت مقابر أثرية تعود إلى تلك الحقبة نعتبرها شاهد نفي لما قيل حول الهيكل الأول.

٢- العصر الحثي من ١١٠٠ ق.م إلى ٩٧٧ ق.م: إن الحفريات الأثرية لم تقدم أي دليل علمي يدعم طرح قصة (أرونة اليبوسي)، ولم يكن هناك وجود لقصة مالكي صادق الذي ولد في العهد القديم والحفريات دلت على القدس في العصر الحثي والتي كان اسمها إريانة.

٣- العصر الحديدي ٩٧٧ ق.م إلى ٧٢١ ق.م: المساحة الأثرية والحفريات والدراسات التي تمت في منطقة المسجد الأقصى لم تقدم أي دليل على وجود بقايا حجرية يمكن إرجاعها إلى تلك الحقبة الحضارية، والتعريف الدقيق لتلك الحقبة ما ذكره (حزقيال) أحد أبناء اليهود حينما سئل عن تعريف القدس، فقال: ولادتك ونسلك كنعانية، أبوك أموري، وأمك حثية، وكانت فترة حكم داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وبعدهما عهد

القضاة إلى نهاية المملكتين يهوذا وإسرائيل.

٤- عصر ما بين ٧٢١ ق.م حتى ٥٨٦ ق.م: تمّت سيطرة الآشوريين على فلسطين وتدمير السامرة ومحاصرة القدس، وفي عام ٥٨٦ ق.م هاجم (بختنصر) المدينة ودمرها، وسبى أهلها، والحفريات والأثرية والمسوحات لم تقدّم دليلاً على وجود بقايا تدعو إلى تلك الفترة داخل منطقة المسجد الأقصى مما يدل على أن موقع القدس قد كان خارج حدود منطقة المسجد، وموقع المدينة يقع في نزلات وادي القديرون.

٥- عصر ما بين ٥٨٦ ق.م حتى ٣٢٠ ق.م تمّ احتلال الفرس والرومان وفيها أخذت ثورات عدة لليهود، حين كان معظمهم في أرض بابل.

### ● المطلب الثاني: العصر اليوناني وعصر المكابيين<sup>(١)</sup> والعصر

الهيرودي (٣٢٠ ق.م - ٧٠ م)

١- العصر اليوناني في القدس ٣٣١ ق.م - ١٤٧ ق.م: الوقائع الأثرية دلت على وجود حي يوناني أقيم في القدس وسُمي بالأكرى؛ أي: (القدس العليا)، كذلك فإن جزءاً من هذه الأنفاق التي تم حفرها في القدس هي يونانية النمط.

٢- عصر المكابيين أو الحشمونائيين من ١٤٧ ق.م إلى ٦٣ ق.م:

(١) المكابيون: الحشمونيون من حسمون أبي جد متاثياس من أبناء يهوياريب، ولقب يهوذا بن متاثياس مكابوس، ثم صار هذا اسماً لجميع الاسرة، وأخيراً لكل الحزب الذي تكوّن نتيجة لظلم السلوقين. قاموس الكتاب المقدس ص ٢١١.

خلط علماء الآثار الإسرائيليون بين النمط اليوناني في القدس، ونمط المكابية، ولقد ظهرت هذه التسمية (المكابية) بعد اليونانية والبطالمة والسلوقية حيث أرخوا اليونانية، وكأنها مكابية.

٣- العصر الهيردوي ٦٣ ق.م إلى ١٣٧ م. اهتم هيرودس ببناء المعابد الرومانية، ومباني الحكومة مثل نظام البيزليكا التي بناها في سبسطية، وكان وقت زكريا ويحيى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي عام ٧٠م قام القائد الروماني بالهجوم على القدس، وقد سواها بالأرض، ويذكر اليهود أن طيطس قد دمر الهيكل الذي بناه هيرودس، وفي عام ١٣٧م قام اليهود بتمرد وثورة على الرومان، فقضى (هادريان أدريانس) على هذه الفتنة، ودمر المدينة، ثم قام ببنائها مرة ثانية وسماها (إيليا كايبتلينا)، هذه العصور تركت بعض البقايا الأثرية في منطقة المسجد الأقصى جميع هذه البقايا نفت وجود هيكل القدس أو أي نمط معماري يهودي يوجد في منطقة المسجد الأقصى بشهادة الآثار والحفريات.

٤ - عصر هيمنة اليهودية والنصرانية على بيت المقدس من ١٣٧م حتى الفتح الإسلامي ٦٣٨م وما بعده حتى العهد الأموي والعباسي ٧٥٠م:

بقي بيت المقدس تحت هيمنة المسيحية منذ أن احتلها الرومان حتى زمان هرقل الحاكم الروماني ٦١٠-٦٤١م، حتى جاء الفتح الإسلامي سنة ٦٣٨م وقت خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهكذا أغلق التاريخ ملف بني إسرائيل من يهود ونصارى فيما يتعلق بحياسة تلك الأرض المباركة ووراثتها؛ لتنتقل الأرض والمعبد بعد ذلك إلى حيازة وورثة وصبغة الأمة الإسلامية، وارثة

الرسالات وحامية المقدسات بعد أن أسري بالنبي الخاتم محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إيدانا ببدء العهد الإسلامي للأرض المقدسة<sup>(١)</sup>.

### ● المطلب الثالث: العصر (العباسي – الفاطمي – الصليبي – الأيوبي – العثماني)

١- العصر العباسي ٧٥٠م حتى ٨٧٨م: أثبتت التواريخ والأثرية أنه في فترة العصر العباسي كان المسجد الأقصى مدمراً، حيث ضربته هزة أرضية في عام ٧٤٧م، وقام الخليفة المهدي بأول محاولة لترميمه عام ٧٨٠م، واستمرت الحضارة العباسية بأعمال الترميم والصيانة في القدس والمسجد الأقصى حتى عام ٨٧٨م، عندما قامت الدولة الفاطمية.

٢- العصر الفاطمي من ٨٧٨ إلى ١٠٩٩م: نجد في سجلات الفاطميين كثيراً من المعلومات المهمة عما أنجزه الفاطميون في منطقة المسجد الأقصى، وفي عام (١٠٢٢م-١٠٢٣م) تم ترميم مناطق عديدة في منطقة المسجد الأقصى، والصخرة الشرقية بعد الهزة الأرضية التي ضربت القدس، وكنيسة القيامة.

٣- العصر الصليبي من ١٠٩٩م حتى ١١٨٧م: احتل الصليبيون القدس، وحولوا موقع المسجد الأقصى إلى مقر للملك (فريدريك)، والصخرة حولت كذلك إلى الكنيسة، والمصلى المرواني حول إلى إسطنبول، وكذلك

(١) من كتاب المسجد الأقصى وقبة الصخرة - التاريخ - الأنفاق - الحفريات - الأثرية.

أصبحت مناطق عديدة مقرّاً لفرسان الهيكل، وفي عهد الأيوبيين أعاد صلاح الدين مرافق المسجد والقبة بعد تحريرهما إلى واقعهما الإسلامي، بعد ذلك بدأت العمارة الأيوبية تشهد تطويراً معمارياً أبرز نمطاً خالصاً.

٤- العصر الأيوبي ١٢٥٠م-١٥١٦م: لم تشهد القدس تطويراً معمارياً في تاريخها أكثر مما شهدته في هذا العصر.

٥- العصر العثماني ١٥١٦م-١٩١٧م: زار السلطان سليم القدس، وكلف ابنه سليمان القانوني بتأهيل المدينة بما فيها منطقة المسجد الأقصى، وبقيت القدس تحت الخلافة العثمانية حتى عام (١٨٣٢م-١٨٤٠م)، وعندما استولى عليها محمد علي وابنه إبراهيم باشا، وأصبحت تحت الحكم المصري - ما بين (١٨٦٤م) و(١٩٠٢م) بدأت أعمال البحث العلمي في القدس عبر تلك الموجات التي تدفقت إلى القدس، فنتج عنها مسميات كثيرة ومتعددة تمت في القدس من أجل الحصول على معلومات تطابق تلك التي ذكرت في كل من التلمود والمشناه.

#### ● المطلب الرابع: عصر الانتداب البريطاني ١٩١٧م

من أهم الأحداث التي برزت هي تلك الأعمال التي قام بها علماء المدرسة البريطانية في الآثار في منطقة المسجد الأقصى، ومنهم: (هاملتون) الذي عمل في موقع المسجد الأقصى بعد الهزة الأرضية التي ضربت القدس والأقصى عام ١٩٢٧م، وبشهادة من عالم الآثار الإسرائيلي البروفيسور (يورام سفريس) ذكر أن الحفريات التي أجراها في عام ١٩٨٦م

عندما زار هذه المنطقة المسجد الأقصى والصخرة لم تقدم أي شيء مثير يدل على أهمية ما تم اكتشافه.

والأمر الوحيد الذي يمكن اعتباره حدثاً هاماً هو تلك الآثار البيزنطية التي تم اكتشافها والتي تعود إلى حقبة متقدمة، فهي تحت الزاوية الجنوبية الشرقية من منطقة الأقصى، وذكر ويلسون الذي قام بأعمال المساحة في القدس عام ١٨٦٦م، أنه في الزاوية الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصى وجد درجاً يؤدي إلى جامع صغير حيث يوجد نمط سريري (سرير عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ) مع وجود قوس روماني خلف يدي السرير، وفي جنوب هذا القوس يوجد محراب مريم، واثنان آخران يظهران في الواجهة الشرقية، وكذلك يوجد مقام لكل من يحيى وزكريا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقد بُني المسجد من بقايا ردم معماري كان موجوداً في المنطقة، ومعظم بقاياها المعمارية التي وجدت في المسجد لا تشكل وحدة معمارية متجانسة.

وإتماماً لشهادات علماء الآثار بأنه لا يوجد أي أثر من هيكل سليمان نضيف شهادة واحد من كبار المؤرخين، وهو الأمريكي (ول ديورانت) في موسوعته (قصة الحضارة) حيث يقول: «على أن هذا الصرح الضخم لم يبق منه حجرٌ واحد، بل إن موضعه نفسه لا يعرفه أحد على وجه التحقيق»<sup>(١)</sup>.

(١) من كتاب المسجد الأقصى وقبة الصخرة - التاريخ - الأنفاق - الحفريات - الأثریات.

## نتائج البحث

بقليل من التأمل في هذا البحث تنجلي الكثير من الحقائق، نجملها فيما يلي:

١ - أن اليهود قد حرفوا ما في التوراة من تعاليم، وحرفوا نصوصها بغية الاستيلاء على أرض فلسطين وغيرها.

٢ - حذف ما جاء عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بخصوص الوعد، مع أنه الابن البكر.

٣ - أن ما في التوراة عن حدود أرض إسرائيل قد تلاعبت به العقول، وحرفته أيديهم على امتداد سبعة قرون.

٤ - اعتقاد اليهود بأن الله قد أمرهم بإزهاق الأرواح، وسفك الدماء في سبيل تحقيق ما فيه مصلحة بني إسرائيل دون العالمين.

٥ - تزوير اليهود لحقائق التاريخ القديم لتتمشى مع أطماعهم وأحلامهم، باسم تفويض الرب إياهم، أو اختياره لهم.

٦ - أن فكرة إقامة دولة يهودية، أو مملكة إسرائيلية راودت عقول يهود السبي البابلي، فحرفوا وبدلوا النصوص؛ لتوافق خيالهم المريض.

٧ - أنه لا حق لليهود تاريخياً في فلسطين، يشهد بذلك ما يلي:

أ- أن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وبنو إسرائيل الأول (الأسباط)، كانوا طارئين عليها، وقد عاشوا فيها غرباء.

ب- أن الوجود اليهودي في فلسطين لم يزد على أربعة قرون، وهي فترة لا تحسب شيئاً في عمر الزمن.

ج- أن اليهود قد تعرضوا للإبادة (القتل والأسر) على أيدي الكثير من الأمم المجاورة كالأشوريين، والمصريين، والبابليين، وأخيراً على يد الرومان الذين لم يبقوا في المدينة من اليهود أحدًا.

د- أن الوعد الإلهي (من النيل إلى الفرات) الذي ادّعوه لم يكتب له التحقيق، والتنفيذ طوال التاريخ من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بل حتى إلى عصرنا هذا، وإذا كان النص الأصلي صحيحًا فإن الوعد تحقق بنبي الإسلام وسيد الأنام محمد ﷺ وبأفضل الأمم؛ المسلمين، وأي قول خلاف ذلك يدل على أن الوعد مكذوب وغير صحيح.

ه- أن العهد أو الوعد الذي قطعه الرب مع أبرام هو الختان بنص التوراة التي بين أيديهم.

٨- أن المطاعم الصهيونية لا تقف عند حدود أرض فلسطين، بل تتطلع دومًا إلى قيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

٩- شدة التشابه بين مملكة بيت المقدس الصليبية، والكيان الصهيوني (دولة إسرائيل)، فقد قامت كل منهما على عقيدة الأرض الموعودة، وفكرة الخلاص.

١٠- أن الصهيونية الحديثة لا تمثل الديانة اليهودية، بل هي نزعة سياسية استعمارية عنصرية تتخذ من التعاليم الدينية قناعًا للتصليب.

١١- أن اليهود المعاصرين هم شرادم يهود العالم تخلّص منهم أبناء أوروبا، فألقوا بهم في الشرق الإسلامي؛ ليمتصوا جهود العرب والمسلمين، وليشعلوا الفتنة، ويفجروا القلاقل وفقًا لما رسمه الغرب من

خطط المؤامرة في العصر الحديث.

١٢- لا صلة ليهود العصر الحديث ببني إسرائيل؛ لأن دعوى هؤلاء الصهاينة بأنهم أحفاد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فضلاً عن دعوى نقاء دولتهم، واختيار سلالتهم عبر التاريخ هو ضرب من الخيال.

١٣- أن قداسة أرض فلسطين لم تكن لارتباطها بصهيون، أو علاقتها بالمسيح يسوع، بل لأنها منبت عقيدة التوحيد، ومن ثم طهارتها من مظاهر الشرك والوثنية، علماً بأن هذه الطهارة ممتدة إلى يوم القيامة.

١٤- أن الوعد الإلهي بالإرث والتمكين في هذه الأرض المباركة من ثمرات الإيمان الصحيح، وقد تحقق لهذه الأمة الخاتمة.

١٥- أن ملكية المسلمين لهذه الأرض المقدسة حق مشروع بمقتضى إيمانهم بالرسالة الخاتمة؛ لإقامة دين الله فيها من جهة، والحفاظ على ميراث الأنبياء المسلمين السابقين من جهة أخرى يشهد بذلك التاريخ، والقرون الماضية.

## أهم المراجع

- ✻ كتب التفسير والحديث.
- ✻ الكتاب المقدس. ط/ دار الكتاب المقدس ١٩٧٥.
- ✻ إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة. إيكار السقاف. ط/ مكتبة مدبولي ١٩٦٧ م.
- ✻ القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث-كارين أرمسترونج ترجمة فاطمة نصر، محمد عناني. ط/ سطور ١٩٩٨ م.
- ✻ أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة. د/ محمد بيومي مهران. ط/ جامعة الإسكندرية ١٩٩٨ م.
- ✻ الدولة اليهودية. تيودور هرتزل، ترجمة: محمد يوسف عدس. ط/ دار الزهراء ١٩٩٤ م.
- ✻ تاريخ القدس. عارف باشا العارف. ط/ دار الخيال بيروت.
- ✻ تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم المتحدة ١٩٣٠ م بشأن الحق العربي في حائط المبكى في القدس. ط/ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨ م.
- ✻ المسجد الأقصى وقبة الصخرة. العمارة والأنفاق والحفريات والأثرية. د/ إبراهيم الفني ط/ دار الشروق ٢٠٠٠ م.

✽ فلسطين والمزاعم اليهودية. أسماء عبد الهادي فاعور. ط/ دار الأمة  
١٩٩٥ م.

✽ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الإسرائيلي.

✽ عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها عابد توفيق الهاشمي. ط/ أم  
القرى السعودية د.ت.

✽ اليهودية. د/ أحمد شلبي. ط/ النهضة المصرية ١٩٨٨ م.

✽ قبل أن يهدم الأقصى. عبد العزيز مصطفى كامل. ط/ دار طيبة الرياض.

✽ حمى سنة ٢٠٠٠ م. عبد العزيز مصطفى كامل، ط/ المنتدى الإسلامي.

## فهرس البحث

٤٦١.....	ملخص البحث
٤٦٥.....	مقدمة
٤٧١	الفصل الأول: ادعاء اليهود الوعد الإلهي بأرض الميعاد ومحاولة تهويد القدس
٤٧٢.....	المبحث الأول: الوعد الإلهي من إبراهيم حتى سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
٤٨٧	المبحث الثاني: الشروط الإلهية للوعد الإلهي (أرض الميعاد) لبني إسرائيل
٤٩٢.....	المبحث الثالث: الغاية والهدف من تملك اليهود أرض الميعاد
٤٩٩.....	المبحث الرابع: قدسية أرض الميعاد وتراها في تصورات اليهود
٥٠٣.....	المبحث الخامس: الوعد الإلهي وأرض الميعاد في فكر اليهود المعاصرين
٥١١	الفصل الثاني: مناقشة النصوص التوراتية بادعاء اليهود الوعد الإلهي وأرض الميعاد
٥١٣.....	المبحث الأول: مناقشة ادعاء اليهود الوعد الإلهي من الجانب الديني
٥٣٥....	المبحث الثاني: مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب التاريخي
٥٥٢....	المبحث الثالث: مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب القانوني
٥٦١.....	المبحث الرابع: مناقشة ادعاء اليهود أرض الميعاد من الجانب الأثري
٥٦٨.....	نتائج البحث
٥٧١.....	أهم المراجع
٥٧٣.....	فهرس البحث

# Contents

❁ <i>Allah's revelation to humans are of different levels understood in the light of the verse where He says : "It is not given to any human being that Allah should speak to him unless (it be) by revelation, or from behind a veil, or (that) He sends a Messenger to reveal what He wills by His Leave. Verily, He is Most High, Most Wise" (ash Shura: 51)</i> Dr. Diyab bin Medhel Al-Eliwi .....	13
❁ <i>Theological Textual Study of the Saying of the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace on him): " His (Allah ' s) veil is the light, if he removed it (the veil) the glory of his face would burn everything of his creation, as far as his gaze reaches"</i> Dr. Maryam Hasan Tejani .....	79
❁ <i>Ruling of Remnants in the Sharia:A Theological Study</i> Dr. Khalid bin Abdul Aziz Al-Seif.....	137
❁ <i>The Sayings, Beliefs and Actions that are Required in Order to Actualize True Love of the Prophet (may Allah exalt his mention and send peace on him)</i> Dr. Muwaffaq bin Abdullah bin Kadsah .....	193
❁ <i>The Methodology of Ahlu-Sunnah wal-Jama'ah in Advising the People of Innovation.</i> Dr. Abdullah bin Abdur-Rahman al-Hudhail.....	273
❁ <i>The Clearance of Zayd bin 'Ali from the Madhhabs of Rafdh and I'tizal (The Rafidites and the Mu'tazlites)</i> Dr. Muhammad bin Ahmad Yahya Khadhy.....	339
❁ <i>The Comparison Between the Prophets and the Imams in the Religion of the Twelver Shiites</i> Dr. Badr bin Nassir Al-Awwaad.....	381
❁ <i>The Texts in the Torah about the Divine Promise and the Promised Land and the Judaization of Jerusalem</i> Dr. Abu Bakr Abdul Maqsud Mohammad Kamil.....	457

Material published in  
the Journal expresses  
the opinions of its  
author(s).

JOURNAL OF  
THEOLOGICAL STUDIES

**Editorial Board**

**Editor in Chief:**

*Prof. Saleh Mohammed Al-Aqil*

**Managing Editor:**

*Dr. Bader Muqbil Al-Dhafeeri*

**Editors:**

*Prof. Yousef Mohammed Al-Saeed*

*Prof. Abdulqader Mohammad Ata Soufi*

*Prof. Sami Ali Mohammed Al-Qaliti*

*Dr. Mohammed BaKarim Mohammed BaAbdullah*

**Journal Secretary:**

*Luay Ghaleb Al-Smadi*

*G. Header: size 12 font bold*

*H. Title: size 18 font bold*

*I. Subtitles: size 16 font bold*

- 13. Three copies of the final draft must be submitted: two on separate CDs in addition to one hard copy.*
- 14. The Journal does not guarantee that any manuscript, accepted for publication or not, will be returned to its author.*
- 15. The author shall be given three copies of the issue in which his research is published as well as fifteen offprints.*

## *Publishing Guidelines:*

*Material submitted for publication in the Journal must adhere to the following guidelines:*

1. *It cannot have been published or submitted for publication elsewhere.*
2. *The material must be exclusively for the Journal.*
3. *It must be original, unique, and contribute to knowledge.*
4. *It must adhere to the standards and methodology of academic research and be written in Arabic.*
5. *The research must be within the scope of the Journal's specialty.*
6. *The material submitted cannot be part of prior published research, or a section of one's thesis or dissertation.*
7. *The manuscript must be typed and submitted on a CD.*
8. *The manuscript should not be more than one hundred (100) pages or less than ten (10). However, the editorial board reserves the right to make exceptions where necessary.*
9. *An abstract not exceeding half a page should precede the article.*
10. *The manuscript should be accompanied by a brief biography of the author, stating his or her occupation, contact information, and most important academic works.*
11. *The author must submit five copies of the manuscript.*
12. *Manuscripts should be submitted using the following format:*
  - A. *Microsoft Word XP or a similar program*
  - B. *Lotus Linotype font*
  - C. *Quranic verses should be written as follows:*

*﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]*
  - D. *Page size: 12 x 20cm*
  - E. *Text: size 16 font*
  - F. *Footnotes: size 12 font*



## **About the Journal**

*The Journal of Theological Studies is a refereed, academic periodical published by the Saudi Academic Association for the Study of Theology, Religions, Sects, and Ideologies, which is under the supervision of the Islamic University of Madinah. The journal aims to publish research and academic studies specific to the fields of Islamic creed, comparative religion, heresiology, and ideological trends.*

*An expert board comprising several university professors is responsible for editing the journal. Manuscripts are accepted for publication following approval by two specialists. The journal was first published in Muharram 1430 (January 2009) with subsequent issues being published semiannually.*

## *Correspondence*

**All correspondence should be  
addressed to the managing editor:**

**Mobile: +966.55.253.4282**

**Phone: +966.14.847.1155**

**Fax: +966.14.847.3076**

**Email: [aqeedaamm@gmail.com](mailto:aqeedaamm@gmail.com)**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

All rights reserved  
for the Journal of  
Theological Studies

ISSN: 1658-516X



Kingdom of Saudi Arabia  
Ministry of Education  
Islamic University of Madinah  
Faculty of Islamic Preaching and Theology  
*Saudi Academic Association  
for the Study of  
Theology, Religions, Sects & Ideologies*



JOURNAL OF  
**THEOLOGICAL STUDIES**

*A Refereed Academic Journal*

**Volume 8 • Number 16**

**Muharram 1437 - October 2015**